

مجلة

مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَشْرِقِ

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقاً »



جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ
كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢ م

مطبعة القصب

دمشق - هاتف ٢٢١٥١٠

عدد النسخ (٢٠٠٠)

يَبْنِم

مَأْلَفُ السَّاجِعَاتِ ، وَمرتَعُ الشُّوَادِنِ قَدِيماً

الأستاذ حمد الجاسر

لفت نظري وأنا أَتَصَفَّحُ ديوانَ الشاعر حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ أثناءَ كتابة كلمة عن فائت شعره ، ما ورد في قصيدته الميمية المشهورة من قوله :
إِذَا شِثْتُ غَتَّتَنِي بِأَجْزَاعِ يَيْشَةٍ أَوْ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ مِنْ يَيْبَمَا
وهو البيت الثاني والتسعون من القصيدة الواردة في ديوانه^(١) ، تحقيق أستاذنا الجليل الشيخ عبد العزيز الميني - رحمه الله - ورأيته يقول في الحاشية : في « البلدان » في : يَيْبَمُ ، وَيَيْبَم . وفي « الوسيط » (يَلْمَلَمًا) مصححاً ثم نقل الأستاذ عباس عبد القادر الذي علق على الديوان ، كلام البكري في « معجم ما استعجم » في تعريف المواضع الثلاثة : يينم ، وييشة ، وتثليث .

وسبق لي أن عُنِيتُ بالبحث عن موقع يَيْبَمُ ، فكتبتُ إلى أحد إخواني في تلك البلاد ، رجوته أن يبحث لي عن تحديد الموضع ، وهو الأخ الأستاذ فَرَّاجُ بْنُ شَافِي المُلْجِمِ ، فقام برحلة في جمادى سنة ١٤٠٤ هـ وكتب إلي يقول^(٢) : يَيْبَمُ وبنات حرب والجسداء لَمْ نَجِدْ لها خَبِراً ولا اسماً في المنطقة .

كيف هذا والمواضع الثلاثة تقع على أشهر طريق كان معروفاً منذ العصور القديمة ، حين كان ملوك حمير يأتون بجيوشهم الجرارة من هذا

الطريق لإخضاع جوانب الجزيرة ، حتى كان يعرف إلى عهدنا الحاضر باسم (درب الملك الكامل)^(٣) لأنه مرَّ به حين غزا بني عامر في نجد سنة ٤١٥ م ، ثم سلكه أصحاب الفيل سنة ٥٧٠ م . وبعد أن ظهر الإسلام أَضْبَحَ طريقَ حجاج اليمن الآتين عن طريق صعدة طَوَالَ ثلاثة عشر قرناً ، وقد حَدَّدَ مؤلفو كتب المسالك المسافات بين منازل هذا الطريق ، وعَرَّفُوا كُلَّ منزلة حتى إنَّ من بينهم من حدد خطوط العرض لهذه المنازل تحديداً دقيقاً بحيث لو سار المرء على وصف ما ذَكَرَ أَحَدُهُمْ وقاس المسافات التي حددها بين منازل لا تزال معروفة - مثل بيشة وسروم الفيض - لاَهْتَدَى إلى الموقع ، وإنْ جُهِلَ اسْمُهُ ، واختفى رسمه .

ثم كان من حسن الحظ أنَّ أَكْرَمْتُ من إحدى الجهات بمجموعة من المصورات الجغرافية (الخرائط) لتلك الناحية الواقعة في جنوب المملكة ، وفي منطقة بلاد عسير بالذات حيث يمرُّ ذاك الطريق ، فما أَشَدَّ سروري حين وقع نَظْرِي على إحدى تلك المصورات (الخرائط) تحمل اسم (ابن ابن) ، فكان أول ما تبادر إلى الذهن أنه هو اسم الموضع المقصود (يَنْبَم) ، وعادةُ العامَّة تحريفُ الأَسْمَاءِ بِتَقْدِيمِ أو تأخير في الحروف ، وبإبدال بعضها ببعض بل وبتغيير بعضها أصلاً إلى ما يقاربه ، ومن الأول اسم (ينبم) غيروه إلى (ابن ابن) ، ومن الثاني (الرقم)^(٤) أبدلوا الميم في آخره (بَاءً) فصار يعرف باسم (الرقب) بالباء ، ومن الثالث تغييرهم اسم مكان سماه ياقوت (أسنان بلالة) وهي رؤوس جبال شاذجة من العرمة في الطريق بين الرياض والخرج ، سموها (ثَنَائِيَا بِلَال) ، وهكذا مما لا يتسع المقام للإفاضة في تفصيله .

كان أول ما استطعت به ترجيح القول بأنه هو الموضع المقصود مقارنة المسافات بين هذا الموضع وبين المنزلين الواقعين قبله وبعده في وصف طريق الحج عند الهمداني ، ثم مقارنة قول الهمداني نفسه بأن هذا الموضع

يقع غرب تثليث .

يبنم في الشعر القديم :

ويحسن هنا أن أورد ما استطعت العثور عليه من أشعار المتقدمين

عن هذا الموضع .

قال طَفِيلُ الْعَنَوِيِّ^(٥) :

أَشَاقَتُكَ أَظْعَانُ بِحَفْرِ يَنْبَمِ غَدَوْا بُكْرًا مِثْلَ النَّخِيلِ الْمَكْمَمِ

وقال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرِ الْهَلَالِيِّ^(٦) :

إِذَا شِئْتُ غَتَّنِي بِأَجْزَاعِ بِيْشَةٍ أَوْ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ مِنْ يَنْبَمَا

وقال العَامِرِيُّ مِنْ أَيْيَاتِ^(٧) :

يَا جَارَتِيْ وَقَدْ أَرَى شَبَهَيْكُمَا بِالْجِزْعِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ يَنْبَمَمَا

عَنْزَيْنِ يَنْهَمَا غَزَالٌ شَادِنٌ رَشًا مِنَ الْغِزْلَانِ لَمْ يَكُ تَوَامَا

وإذا صح استنتاج تحديد الموقع بالنسبة لقائله جاز القول بأنه من

بلاد بني عامر أو بقربها لوروده في شعر عامريين هما : حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرِ

الهلالي ، والعَامِرِيُّ الثاني الذي ورد قوله في كتاب « بلاد العرب » ، ومؤلفه

من أهل القرن الثالث ، ولا بد أن يكون هذا العامري قبل ذلك العهد ،

ودلالة قول حُمَيْدٍ أبلغ ، لأنه وصف موقع الحمامة التي أثارَتْ شجوه بأنه

كان في تَثْلِيثٍ وَيَنْبَمٍ ، مما يدل على أنه كان استقر في تلك البلاد ، وبنو

هلال الذين منهم حُمَيْدٌ كانوا جاوروا خَثْعَمَ التي كانت تسكن بقرب

تَثْلِيثٍ ، يضاف إلى هذا أن كثيراً من بطون بني عامر كانت منتشرة في

جنوب البلاد المتاخمة لمنازل اليمنيين ، كما يُفهم من ذكر الموضعين معاً على

تقاربهما ، وتَثْلِيثٌ من أشهر الأودية التي لا تزال معروفة ، وكانت أسافله

من منازل العامريين بني عُقَيْلٍ وغيرهم .

وإذن فينبغي أن يكون يميم بقرب تثليث .

أما ذكرُ طَفِيلٍ العَنَوِي للموضع فهو من قبيل السير على عادة الشعراء حين يصفون الظغائن المنتقلة من مكان إلى مكان ، دون أن يكون هناك ارتباط بين الموضع وبين صلة الشاعر به ، إذ إنَّ قبيلة غَنِيَّ التي منها الشاعر تقع منازلها في عالية نجد فيما بين جبال النَّير وحمى ضرية ، مع أنَّ طَفِيلًا ذكر مواضع بقرب يَنبِم في شعره مثل (القَهْر) .

تصنيف الاسم :

صواب اسم الموضع (يَنبِم) ، وقد ثَقُلَ النون مِمَّا لوقوع الباء بعدها ، وهذا أمر مطرد ، ليس خاصاً بهذا الاسم فيقال (يَنبِم) كما سيأتي في نصوص المتقدمين .

وقد وقع الاسم مُحَرَّفًا وَمُصَحَّفًا في كثير من كتب الأدب .

فقد جاء في كتاب « الأغاني »^(٨) :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتَنِي بِأَجْزَاعٍ يَشَّةٍ أَوْ النَّخْلِ مِنْ ثَلِيثٍ أَوْ مِنْ يَلْمَلَمَا
حُرِّفَ إِلَى (يَلْمَلَم) ثم زيدَ هذا التحريف في الحاشية : ويقال فيه (أَلْمَلَم) و(يَرْمَرَم) . فلم يكتب المحقق الفاضل بما وقع من تحريف في الاسم ، بل أضاف خطأ آخر هو قوله : بأنَّ يَلْمَلَم يسمى (أَلْمَلَم) و(يرمرم) ، وفرق بين يرمرم ويَلْمَلَم . فيللملم : موضع تهامي ساحلي هو ميقات حُجَّاجِ تِهَامَةَ ، وَيَرْمَرَمُ جبل نَجْدِيٍّ خارج سلسلة جبال الحجاز بقرب مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْم ، قال عنه الهَجَرِيُّ^(٩) : « قَالَ السُّلَمِيُّونَ : يَرْمَرَمُ عَلَمٌ مِنَ الْأَعْلَامِ ، أَسْوَدٌ ، أَقْرَبُ الْمَنَازِلِ إِلَيْهِ مَعْدِنُ بَنِي سُلَيْمٍ عَنْ يَمِينِ الذَّاهِبِ إِلَى مَكَّةَ مِنَ الْعِرَاقِ » ، ولا يزال هذا الجبل معروفاً ، ولكن العامة تسميه (رَمَرَم) كعادتهم في حذف الياء من أول كثير من الأسماء مثل (ينوف) : (نوف) و(ياقوت) (قوت) و(يجودة) (جودة) و(يعقوب) (عقوب) وهكذا .

ويقول الشاعر العامي مُخلد القثامي العتيبي في رمرم :

الدَّرْبَ عَانَهُ مِنْ حَصَا كُشْبٍ وَيَسَارُ

مَا حَدَّ رَمْرَمَ وَالْهَضَابَ الْعَسِيبَ^(١١)

وقال خُصَيُّوِي الْقَوْمُ الْمُرْشِدِيُّ الْعُتَيْبِيُّ من أبيات سنة ١٣٤٨ هـ :

تَعْرِفُهَا تَرَاهَا دِيرَةَ الْقَوْمِ رَمْرَمَ وَرَايَانُ لَزْمًا تَأْصَلِيْنُهُ^(١٢)

وجاء بعد صدور طبعة دار الكتب المصرية من « الأغاني » صديقنا الأستاذ أحمد عبد الستار فراج - رحمه الله - فسار في تحقيقه لهذا الكتاب على نهج ما ورد في طبعة الدار ، مع التعليق على البيت بذلك التعليق الخاطئ .

وجاء محقق كتاب (الكامل)^(١٣) للمبرد صديقنا الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم - رحمه الله - فأورد البيت كما ورد في كتاب (الأغاني) ، وحاشيته .

ومع أن شيخنا الميمني - رحمه الله - أورد الاسم صحيحاً في تحقيق ديوان حميد ، وأشار إلى أن كلمة (يللمم) تصحيف ، فإن المشرف على طبع كتاب « الوحشيات »^(١٤) الذي حققه الشيخ الميمني أورد البيت على الصفة التي قال الشيخ الميمني : إنها تصحيف .

وجاء صديقنا عبد السلام محمد هارون - رحمه الله - فأورد البيت في كتاب « الحيوان »^(١٥) كما ورد في مطبوعة دار الكتب المصرية من « الأغاني » وأشار إلى وقوع تصحيفين آخرين في مخطوطتين من مخطوطات كتاب « الحيوان » في إحدهما (بينمنا) وفي الثانية (بتللمما) .

ومن تصحيفات هذا الاسم أيضاً ما ورد في « معجم البلدان » في حرف الباء الموحدة من قوله : « يَبْعِم - بفتحين - وزن غَشْمَشْم - : موضع أو جبل ، وكذا ذكره الأزهرى والخارزنجي ولم تجتمع الباء والميم في

كلمة اجتماعهما في هذه الكلمة ، ورواه بعضهم يَنْبَم ، وقد روي على اللّغتين قولُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ حيث قال :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتَنِي بِأَجْزَاعٍ يِيشَةٍ وَبِالرَّزْنِ مِنْ ثَلَاثِ أَوْ مِنْ يَنْبَمَا
مع أنه أورد في حرف الألف ما نصه : « أُبْنِمُ - بفتح أوله وثانيه ، وسكون النون ، وفتح الباء الموحدة وميم بوزن أَفْعَل من أبنية كتاب سيبويه ، ويُروى يَنْبَم بالياء ، وذكر في موضعه ، وأنشد سيبويه لِطَفِيلِ الْغَنَوِيِّ يقول :

أَشَاقَتَكَ أَظْعَانُ بِجَفْرِ أُبْنِمِ نَعَمْ بُكْرًا مِثْلَ الْفَسِيلِ الْمَكْمِ
ثم قال في حرف الياء : « يَنْبَم - بفتح أوله وثانيه وميم ساكنة ، وباء موحدة أخرى وميم : اسم موضع قُرب تَبَالَةٍ عند يِيشَةٍ وَتَرْجٍ ، والتلفظ به عَسِيرٌ لِقُرب مَخارج حروفه ، قال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشُّوقَ - خَمسة عشر بيتاً أوردتها - وكان البيت

الثاني عشر منها :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتَنِي بِأَجْزَاعٍ يِيشَةٍ أَوْ النَّخْلِ مِنْ ثَلَاثِ أَوْ مِنْ يَنْبَمَا
وقال بعض بني عامر :

يَا جَارَتِي وَقَدْ أَرَى شَبَهَيْكُمَا بِأَجْزَاعٍ مِنْ ثَلَاثِ أَوْ يَنْبَمَا
عَنْزِينَ يَنْبَهُمَا غَزَالٌ شَادِنٌ رَشًا مِنَ الْغَزْلَانِ لَمْ يَكُ ثَوَامَا

وأضاف في حرف الياء ما نصه : « يَنْبَم - بفتح أوله وثانيه وسكون نونه ، وباء مفتوحة وميم - ويقال : أُبْنِمُ - : موضع ، وهو من أبنية كتاب سيبويه ، قال طَفِيلُ الْغَنَوِيِّ :

أَشَاقَتَكَ أَظْعَانُ بِجَفْرِ يَنْبِمِ نَعَمْ بُكْرًا مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمَكْمِ^(١٥)

ولا شك أن إيراد الاسم بالياء (يَنْبِم) تصحيف يَنْبَم ، وياقوت

- رحمه الله - كثيراً ما يكرر الاسم الذي لا يتيقن صحة ضبطه مثل

(رَنْبَة) ، أوردتها في الموضع الصحيح ، ثم أوردتها في حرف الزاي

(زئنة) .

ومن أشوأ أنواع التصحيف في هذا الاسم ما وقع في المطبوعة التي حققها الدكتور محمد حسين الزبيدي وطبعت في العراق من كتاب « الخراج » لقدامة بن جعفر ، فقد ورد فيه الاسم بهذا النص : (ومن نبات حرم إلى شميم [بدون نقط] منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة وليس به أهل ومنه إلى كُتَبَة) وكرر (كُتَبَة) مرة أخرى ، ووردت (سروم) : (شروم) ولكن اسم (يَنَبَم) ورد صحيحاً في المطبوعة الأوربية وما صور عنها .

مما تقدم يتضح أن سبب صعوبة النطق بالاسم التي عبر عنها ياقوت بقوله : (التلفظ به عسر لقرب مخارج حروفه) سبب تحريفه وتصفيحه إلى يللم ، وبينم ، إلى غير ذلك من أوجه التصحيف والتحريف .
أقوال علماء اللغة :

لعل من أقدم من ذكر اسم الموضع من اللغويين سيبويه في (الكتاب) على ما ذكر البكري وياقوت في معجميهما ، وسيأتي نص ما ذكرنا ، وقد تبعت فهرس الكتاب في مطبوعة الأستاذ عبد السلام محمد هارون فلم أعثّر على النص المنسوب لسيبويه في الكتاب .

وقال الأزهري في « تهذيب اللغة » : يَنَبَم : وذكر حميد بن ثور يَنَبَم^(١٦) : إِذَا شِئْتُ غَشَّيْتُ بِأَجْزَاعٍ يَشَّةٍ أَوْ النَّخْلِ مِنْ ثَلَاثِ أَوْ مِنْ يَنَبَمَا وقال ابن دريد^(١٧) : (ب م ب م) : لم تجتمع الباء والميم [مكررة] في كلمة إلا في يميم ، وهو جبل أو موضع .

وقال صاحب « اللسان »^(١٨) : أنيم وبينم موضع ، قال ابن بري : أنَبَم على أفنعل من أبنية الكتاب ، قال طفيل :

أَشَاقَتَكَ أَظْعَانُ بِجَفَرٍ يَنَبَم نَعَمْ بُكَرًا مِثْلَ الْفَسِيلِ الْمُكَمَّمِ

ثم نقل ما في « التهذيب » وتقدم .

وقال في « تاج العروس »^(١٩) فصل الياء مع الميم : ومما يستدرك عليه يَنْبَمُ - بفتح الياء والباء الأولى والثانية بينهما ميم ساكنة : اسم موضع قرب نباله ، قال حميد بن ثور :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتَنِي بِأَجْزَاعٍ يَنْشَةِ أَوْ الْجِزْعِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ مِنْ يَنْبَمَا
قال ياقوت : والتلفظ به عسير لقرب مخارج حروفه ، وقد أشار إليه المصنف في أول الحرف ويقال : بالآلف أيضاً بدل الياء ، وقد تقدم ذلك للمصنف أيضاً ، ويقال أيضاً بالياء الموحدة أولاً .

واختلف في وزنه فقليل : فَعَلُّ كَسَفَرَجَل ، وقيل : يَفْعَل ، ويروى أيضاً يَنْبَم بقلب الميم الأولى نوناً ، أورده ياقوت هكذا ، وبه روي قول طفيل الذي سبق في أول الحرف ، وعلى كل حال كان الواجب على المصنف الإشارة إليه هنا .

وفي « التاج » أيضاً قبل ما تقدم : ابنم : أهمله الجوهري ، وهو من أبنية كتاب سيويه وزنه أَفْعَل ، ويقال ينبم بالياء وزنه يَفْعَل ، وهو موضع قرب تَثْلِيث ، وأنشد سيويه لطفيل الغنوي :

أَشَاقَتَكَ أَظْعَانٌ بِحَفْرِ يَنْبَم نَعَمْ بُكْرًا مِثْلَ النَّسِيلِ الْمَكَّمِ
وأنشد الصاغاني لحميد بن ثور - رضي الله عنه - :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتَنِي بِأَجْزَاعٍ يَنْشَةِ أَوْ الرُّزْنِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ بِأَنْبَمَا^(٢٠)
ثم أورد كلام ياقوت في معجمه .

ومن أقوال علماء المواضع :

قال الهمداني في (شرح القصيدة الدامغة)^(٢١) بعد أن تكلم على يوم رَنِيَّة : ورَنِيَّةُ الْقُرَيْحَا ، وأورد شعراً لعمرو بن معدي كرب في ذلك اليوم ، وجواب عامر بن الطفيل له وفيه يقول :

لَا تُعْجَلْنَ يَا عَمْرُو وَانْظُرْ كَتَائِباً تُسَاقُ إِلَيْكُمْ بَعْدَهُنَّ كَتَائِبُ
إِلَى أَطَمٍ طَبِي يَغْتَلِكُنْ شَكَاثُماً مَقَانِبُ تُهْدِيهَا إِلَيْكَ مَقَانِبُ
هَذَاكَ لَا تُنْجِيكَ مِنَّا قُضَاعَةٌ وَلَا مَذْجِجٌ إِنْ سَارَ كَغَبٌّ وَخَاطِبُ

الأطم : الحصن الحصين المبني ، وطبي : موضع عمرو وهو
يَمْبَمُ ، وهو الذي ذكره امرؤ القيس فقال (٢٢) :

وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ طَبِي فَعَرَعَرَا

وَالنَّاسُ يَرْوُونَ طَبِي ، وهذا غلط ، طبي وعرعر من أودية نجد ، وقد يسميه
بعض من يجهله طب . انتهى .

والشاهد من هذا النص صلة الموضع بعمرو بن معدي كرب ،
والحمداني نفسه قد أوضح في (صفة جزيرة العرب) (٢٣) أن عمرو بن
معدي كرب من أهل تَثْلِيثَ ، فقال في ذكر بلاد بني نَهْدٍ : طَرِيبٌ وَأَرَاكُ
وَتَثْلِيثُ ، وكان لعمرو بن معدي كرب فيه حِصْنٌ وَنَخْلٌ ، وَجَاشٌ وَمَرِيعٌ
وَالْعَشَّتَانِ وَالْبِرْدَانِ . انتهى ملخصاً ، ولم تذكر إلا المواضع التي لا تزال
معروفة .

وأورد الحمداني في (صفة جزيرة العرب) (٢٤) من أرجوزة للرداعي في
وصف طريق عودته من مكة إلى اليمن بعد أن ذكر منهل بناتِ حَرْبِ :

ثُمَّ اضْطَرِي مِنْهُ إِلَى هِرْجَابٍ لِابْنِي دَدٍ فَجُلْجُلِ الْأَحْزَابِ
وَبَعْدَ نَجْرِ أُبَيٍّ لِلْمَشَابِ يَمْبَمًا مَحْمُودَةً الْإِيَابِ
إِلَى أَنْ قَالَ :

حَتَّى إِذَا أُورِدْتُهَا يَمْبَمًا وَاللَّيْلُ قَدْ أَلْقَى جِرَانًا مُظْلِمًا
قَالَ :

فَصَبَّحْتُ وَاللَّيْلُ قَدْ تَجَرَّمَا كُنَّةً إِذْ كَأَنَّ لِيُورِدِ مَعْلَمَا

ونقل عنه البكري في (معجم ما استعجم) (٢٥) ما هذا نصه : « وقال

الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني في كتاب « الإكليل » : يَسْمُ
وَحَبَوْنُ وَجَاشُ وَمَرِيْعُ مِنْ دِيَارِ مَذْحِجَ ، قال : وكذلك الهَجِيرَةُ
وَالْكُتْنَةُ ، قال : وهي اليوم لبني نَهْدٍ ، وكل هذه المواضع معروفة سوى
يَسْمُ .

وقال أيضاً^(٢٦) : قال الهمداني : حَبَوْنُ مِنْ دِيَارِ مَذْحِجَ ، وكذلك
جَاشُ وَمَرِيْعُ وَيَسْمُ قال : هي اليوم لبني نَهْدٍ .
وقال البكري أيضاً : « يَسْمُ - بفتح أوله وثانيه وبعده نون وباء
أخرى - : وادٍ شَجِيرٌ قَبْلَ ثَلَاثِ ، قال حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ :
إِذَا شَتَّ غَشَّيَ بِأَجْزَاعِ بِشَّةٍ أَوْ الْجَزْعِ مِنْ ثَلَاثِ أَوْ مِنْ يَسْمَا
وذكر سيويه في الأُيُنَّةِ : أُبْنَمُ - بالهمز على وزن أَفْعَلٍ ، وهي لغتان فيها
الهمزة والياء كما هي في (يَلْمَلَمُ) ولم يَذْكُرْ سِيَّوِيهِ فِيهِ الْيَاءُ » .
وتقدم كلام صاحب « معجم البلدان » .

ومن أقوال علماء المسالك :

تقدم القول بوقوع (يَسْمُ) في أشهر الطرق التي تأتي من اليمن إلى
داخل الجزيرة ، ويحسن إيراد بعض أقوال أصحاب المسالك في ذلك ، ولعل
من أقدمهم ابنُ خُرْدَاذِيَّةٍ فقد جاء في كتابه (المسالك والممالك) يصف
طريق المتجه إلى اليمن بعد بَابَلَةَ^(٢٧) : ثم إلى بِشَّةٍ بُعْطَانٍ كبيرة فيها ماء
ظاهر ، قال حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ الهَلَالِيُّ :
إِذَا شَتَّ غَشَّيَ بِأَجْزَاعِ بِشَّةٍ إِلَى النَّخْلِ مِنْ ثَلَاثِ أَوْ يَسْمَا
ثم إلى الجَسَدَاءِ فيها بئر ، ولا أهل فيها ، ثم إلى بنات حَرْبٍ قرية عظيمة فيها
عين وبئر ، ثم إلى يَسْمُ ولا أهل فيها ، ثم إلى كُتْنَةٍ قرية عظيمة فيها آبار ، ثم
إلى الشَّجَّةِ فيها بئر ، ثم إلى سَرُومٍ رَاحٍ قرية عظيمة فيها عيون وكروم ،
وَجَرَشُ منها على ثمانية أميال .

وفي كتاب (المناسك) في وصف الطريق من اليمن إلى مكة^(٢٨) :
ومن ذات عُشٍّ إلى كُتْنَة ، ومن كُتْنَة إلى يَتِّيم وبينهما الماء ، ومن يَتِّيم إلى
بنات حرب وبينهما المسلة (?) ثم جَسَدَاء ثم المَيْثَاء ومن يَيْشَة إلى تَبَالَة .
انتهى .

وقال قُدَّامَة بن جعفر في كتاب « الخراج وصناعة »^(٢٩) الكتابة :
ومن يَيْشَة إلى جَسَدَاء - منزل أعراب من قَيْس ، ومن جَسَدَاء إلى بنات
حرم (?) قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة ،
ومن بنات حرم إلى يَتِّيم منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة ، وليس به
أهل ، وحوله أعراب من خَثْعَم ، وبينها وبين جُرَش نحو أربعة عشر ميلاً ،
ومنه إلى كُتْنَة (?) قرية عظيمة ومنازل وقصور وآبار في صحراء ، بينها وبين
جُرَش ثمانية أميال . انتهى .

أما أدقُّ هاؤلاء العلماءِ وصفاً للطريق ، وتحديداً للموضع ، فهو
أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، قال في وصف محجة
صنعاء إلى مكة بعد أن ذكر ما قبل سَرُوم الفيض فكتنة^(٣٠) : ومنها إلى
سَرُوم الفيض أربعة عشر ميلاً وعرضها ستة عشر جزءاً ونصف وخمس
جزء ، ومنها إلى الثَّجَّة ستة عشر ميلاً ، وعرضها ستة عشر جزءاً وثلاثاً جزء
وربع جزء ، ومنها إلى كُتْنَة عشرون ميلاً ، وهي على تمام خمسة عشر بريداً
من صنعاء وثمانين ومئة ميل ، وكُتْنَة أَوَّلُ حَدِّ الحجاز ، وعرضها سبعة عشر
جزءاً وسدس ونصف عشر ، وعرضها وعرض جُرَش واحد ، لأنها منها على
خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم ، ومن الهُجَيْرَة
وثُلَيْث عن يوم في مشرقها ، ثم منها إلى يَتِّيم عشرون ميلاً ، وذلك مئتا
ميل من صنعاء ، وعرضها سبعة عشر جزءاً ونصف وسدس عشر جزء ،
ومنها إلى بنات حَرْب عشرون ميلاً ، وعرضها سبع عشرة درجة وأربعة
أخماس درجة ، ومنها إلى الجَسَدَاء اثنان وعشرون ميلاً ، وعرضها ثمانية عشرة

درجة وعُشْرٌ ونصفُ عُشْرٍ ، ومنها إلى بِيَشَةِ بُعْطَانِ أَحَدٍ وعَشْرُونَ ميلاً وعرضها ثمانِي عشرة درجة وثَلْثُ وِثْنٍ ، ومنها إلى تَبَالَةِ أَحَدِ عَشْرٍ ميلاً . انتهى ، فهو كما ترى لم يكتف بتحديد المسافة بالأميال بل ذكر درجاتٍ عرض كل منزلة من المنازل المذكورة .

ومن المعلوم أن درجات العرض عند المتقدمين قد تختلف عنها عند المتأخرين فهي وإن كانت تبتدئ من خط الاستواء عند الفريقين فإن هناك اختلافاً يسيراً يتضح بمقارنة عروض المنازل :

١ - فدرجة العرض في سرّوم الفيض عند الهمداني تقل عن سبع عشرة درجة بينما هي عند المتأخرين تقع على درجة العرض (١٨ درجة) وعلى درجة الطول : ٢٥ / ٥٤٣ .

٢ - ومنزل الشَّجَّةِ الواقع بين سرّوم الفيض وكُتْنَةِ ليس معروفاً الآن ولا تفوت الإشارة إلى أن من المواضع الواقعة على الطريق في هذا الاتجاه بقرب منتصف الطريق بين الفيض وكُتْنَةِ موضعاً يسمى (الشَّجَر) في إمارة (الأمواه) إحدى إمارات بلاد عسير ، ولا أستبعد أن يكون هو (الشَّجَّة) فحرف الاسم ، وهو اسم قرية مأهولة تقع على خط الطول ٣٠ / ٥٤٣ وعلى خط العرض ٢٥ / ١٨ في وادٍ بهذا الاسم أيضاً تقع آثار الجُعَيْفِرَةِ المكان الذي يُظَنُّ أنه هو الهُجَيْرَةُ شرق الشَّجَرِ هذا ، بميل نحو الجنوب بقرب خط الطول ٤٣ / ٣٠ وعلى خط العرض ٤٥ / ١٨ بحيث تقرب من مُحَاذَاةِ مَنْزِلَةِ كُتْنَةِ التي ذكر الهمداني^(٣١) أنها في مشرقها .

٣ - أما كُتْنَةُ المنزل الواقع على هذا الطريق فعرضها يزيد على سبع عشرة درجة عند الهمداني وعند المتأخرين تزيد على تسع عشرة درجة ، ودرجة الطول ٢٠ / ٥٤٣ .

ويلاحظ أن اسم كُتْنَةِ يطلق على أربعة مواضع واقعة فيما بين سرّوم الفيض ورَبْيَةِ ، ولكن المنزلة التي حددها الهمداني هي التي سبق تحديد

درجاتها ولا تزال معروفة قرية في وادٍ بهذا الاسم .

٤ - يميم : حدّد الهمداني درجات عرضها بأقلّ يسيراً من ثماني عشرة درجة ، وهي تقع على درجة العرض $30^{\circ} / 19^{\circ}$ ، وعلى درجة الطول $44^{\circ} / 00^{\circ}$.

٥ - بنات حرب : على درجة تبلغ ثماني عشرة إلا يسيراً عند الهمداني ، والموضع ليس معروفاً ولكن هناك جبال تقع في تلك الجهة يطلق عليها الاسم ، على ما حدثني بهذا أديب بلاد عسير الشيخ عبد الله بن علي بن حُمَيْد - رحمه الله - .

ومع أن الموضع ذو شهرة عند المتقدمين حيث وصفه قدامة بن جعفر بأنه قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة ، وقريب من هذا الوصف ورد في كتاب (تزهة المشتاق)^(٣٢) فإن الاسم في الكتاين وَرَدَ مُحَرَّفًا ، ففي الأول (بنات حرم) وفي الثاني (بيات) ، كتحرّيف غيره من الأسماء الكثيرة الواقعة في المسالك في هذين الكتاين .

٦ - الجَسَدَاءُ : درجات عرضها تزيد على ثماني عشرة ، ولكن الموضع لا يزال مجهولاً ، وإن عرفت المنطقة التي يقع فيها ، فقد ذكر الهمداني^(٣٣) أنه من (يَغْرَا) وَيَغْرَا : وادٍ لا يزال معروفاً بل هو من أشهر الأودية في منطقة بلاد عسير ، ينحدر من السراة ويصب في وادي تَثْلِيثَ مع وادي طَرِيب ، وسكانه ناهس من شَهْرَانِ القيلة الخَنْعَمِيَّةِ المعروفة .

٧ - بِيْشَةُ بُعْطَان : ودرجة العرض عند الهمداني تقارب ثماني عشرة ونصفاً ، وهي كما في المصورات الجغرافية الحديثة يقارب عرضها عشرين درجة وخط الطول : $40^{\circ} / 42^{\circ}$ ، ويلاحظ أن وادي بِيْشَةُ يُعَدُّ من أطول أودية بلاد العرب ، ولعل المقصود هنا هو أقرب ثني منه الطريق حيث أضافه إلى بُعْطَان ، وبُعْطَان هذا رافد صغير من روافد وادي بِيْشَةُ يقع

بقرب خط العرض المذكور .

اتجاه الطريق :

ومما ينبغي أن يلاحظ أنَّ الهمداني ذكر أن الاتجاه في هذا الطريق يستمر إلى جهة الشمال الغربي حتى يبلغ رأس المناقب ، ويقصد ما يعرف الآن باسم (الريعان) جمع ربيع قبل قرن المنازل ، قال عند ذكر هذا الموضع وهو منتهى الطريق إلى وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب والجنوب ، وعلى أساس قوله هذا كان تقديره لدرجات العرض ، فوقع في شيء من عدم الدقة ، لأنه لم يلاحظ أنه بُعد أن يتجه الطريق من منزلة الفيض يأتي إلى أرضٍ منحدره هي فروع الأودية التي تنحدر من السراة ، فيسلك الطريق ما تساهل منها ، وقد يأخذ إلى الجنوب الغربي تبعاً لاختيار الطريق السهل .

وينبغي أن تكون منزلة يَنْبَم ماثلة في درجة العرض لمنزلة كُتْنَة ، أي تزيد على الـ (٤٣) . وبعد منزلة يَنْبَم يبدأ انحراف الطريق من الشمال إلى الشمال الغربي ، حيث يَتَنَكَّب الطريق منحدرات فروع وادي ثُلَيْثَ ويجري الوادي المنخفض الذي اتسع عندما بلغ منطقة يَغْرَا ، فسهل اجتيازه إلى منزلة الجَسَدَاء الواقعة في هذه المنطقة بقرب درجة الطول : ٤٣° ودرجه العرض : ٤٥ / ١٨° .

ومما تجدر ملاحظته هنا أنَّ وادي بيشة من أطول الأودية التي تخترق تلك المنطقة ، ففروعه تنحدر من قرب خط العرض : ٣٠° / ١٧° ومفيضه يتجاوز خط العرض : ٠٠° / ٢١° ، ولكل ثني من أثنائه اسم خاص به ، ففي أعلاه يسمى بيشة ابن سالم ، وفي أثنائه يعرف بيشة ابن مُشَيْط ، وفي حوضه يعرف بيشة بُعْطَان ، وفي أسفله بقرب فروعه يعرف بيشة النخل . أما منزلة الطريق في هذا الوادي فهي بيشة بُعْطَان ، اسم رافد صغير من روافد الوادي ينحدر في وادي هِرْجَاب الوادي المشهور ، الذي يجتمع

مع وادي بيشة بعد اجتماعه برفاد بعطان ، ويوضح هذا ان الرداعي وهو يصف الطريق يقول في أرجوزته المشهورة^(٣٤) :

لِلْجَسَدَاءِ شُخْصَاءٌ لِلْمَاءِ ثُمَّ الْقَضَارُ فَإِلَى الْمِثَاءِ
حَتَّى إِذَا أَوْرَدْتُهَا رُئُومًا وَادِيَهَا وَالْمَنْهَلَ الْمَعْلُومًا
ثُمَّ يُعْطَانُ بِوَاكِجِي الْوَسْجِ ثُوْمٌ مِنْ بِيْشَةَ وَادِي تَرْجِ

والحمداني حينما ذكر المنزل سماه (بيشة بعطان)^(٣٥) ، والميثاء ورنوم شعبان لا يزالان معروفين ، وكذلك بعطان ، والموقع هو بقرب درجة الطول : ٣٠ / ٤٢° ودرجة العرض : ٣٥ / ١٩° ، ثم اتجه الطريق نحو مَصَبُّ تَرْجِ في وادي بيشة فكأنه انحرف ذات اليسار عن منخفض الوادي ، الذي تكثر فيه المنحدرات والقرى ، ووادي تَرْجِ يجتمع في وادي بيشة عند قرية الْحَيْفَةِ بقرب خط الطول : ٣٠ / ٤٢° وخط العرض : ٥٠ / ١٩° وهي في منطقة إمارة الحازمي ، تقع شرق بلدة الحازمي قاعدة الإمارة ، بِقُرْبِهَا .

ثم كان الاتجاه من هذه المنزلة إلى منزلة تَبَالَةَ حيث خط الطول : ٢٠ / ٤٢° وخط العرض : ٢٠° ، ومن تَبَالَةَ هذه انحرف نحو اليمين فاجتاز وادي رَيْتَةَ ثم جزع الحَرَّةَ ، ونزل إلى وادي كَرَاءَ ، فوادي ثَرْبَةَ ، واتجه شمالاً قصداً حتى المناقب .

مما تقدم يتضح اتجاه الطريق ، والغاية من ذلك الإشارة إلى عدم دقة كلام الحمداني من وصفه بأنه يتجه إلى الشمال حتى رأس المناقب في جميع منازلها ، كما يفهم من قوله المتقدم ومن قوله أيضاً : إن الاتجاه من كُتْنَةَ إلى بِيْشَةَ إلى مغيب الأوسط من بنات نُعْشِ الذي يجنب السُّهَاءَ ، وإلى المناقب على سمت مغيب الآخر منها الذي يطلع آخرها ويغيب آخرها^(٣٦) .

وهذا الانحراف الواقع في الطريق ناشئ عن اختيار ما سَهَّلَ من الأرض لسير الإبل والدواب ، وهذا يتطلب البعد عن منحدرات جبال السراة ما أمكن ، ثم تحاشي السير في الأودية المنحدرة منها التي كثيراً

ما تجرف بسيولها ما يقع فيها .

فقد جَزَعَ الطريقُ فروعَ وادي تَثْلِيثٍ وَنَكَّبَ مَجْرَى الوادي وروافده الكبيرة يسارَه ، واتجه مع الأرض السهلة من منزل سَرُومِ الْفَيْضِ ، واتخذ اتجاهه الذي يُجَنِّبُه اعتراضَ الأودية حتى تساهلت له الأرض الفسيحة بعد اجتياز المرتفعات ، وانبساط وادي تَثْلِيثٍ حيث جَزَعَه إلى سهل حوض وادي بِيَشَّةٍ .

أين يقع يَنْبَم من هذا الطريق ؟

تحديد المتقدمين يوضِّحُ أَنَّهُ في المتصف فيما بين بِيَشَّةٍ وَسَرُومِ الْفَيْضِ ، الموضعين اللذين لا يزالان معروفين ، فهو المنزل الثالث من بِيَشَّةٍ لقاصد سَرُومِ ، وهو المنزل الرابع من سَرُومِ لقاصد بِيَشَّةٍ ، والمسافة بينه وبين بِيَشَّةٍ ثلاثة وستون ميلاً ، والمسافة بينه وبين سَرُومِ الْفَيْضِ ستة وخمسون ميلاً ، والمنزلة التي تليه فيما بينه وبين سَرُومِ الْفَيْضِ هي كُتْنَةُ الواقعة على خط الطول ٢٠ / ٤٣° وخط العرض ١٠ / ١٩° ، أما المنزلة التي بعده وهي بَنَات حَرَبٍ فيما بينه وبين بِيَشَّةٍ فغير معروفة ، وكذا الجَسَدَاءُ إِلَّا أَنَّ الأخيرة هذه وإن كانت مجهولة فقد أشار الحمداني إلى وقوعها في منطقة وادي يَغْرَا ، ووادي يَغْرَا لا يزال معروفاً وهو واقع على خط الطول . . ٠ / ٤٣° و ٤٥ / ١٨° .

وإِذْنُ فكأن الطريق انحرف يسيراً من اتجاهه من كُتْنَةُ إلى يَغْرَا ، إِذْ كُتْنَةُ على عرض ٢٠ / ٤٣° فينبغي إِذْنُ أَنْ تكون المنزلة الواقعة بعد كُتْنَةُ حين يُلاحظ أَنَّ الأرض مستوية وأنه ليس هناك ما يدعو إلى الانحراف فتكون المنزلة على خط طول لا يزيد على ٢٠ / ٤٣° ولا ينقص عن ٤٣° درجة ، وخط العرض ينبغي أَنْ يكون بين ١٠ / ١٩° وهو عرض كُتْنَةُ و ٤٥ / ١٨° وهو عرض يَغْرَا .

أما المسافة بين كُتْنَةُ وَيَغْرَا فهي على تقدير الحمداني اثنان وستون ميلاً منها عشرون قبل منزل يَنْبَمِ ، واثنان وأربعون بعدها .

وعلى هذا تكون المسافة بين كُتْنَة وَيَنْبَم على وجه التقريب تزيد يسيراً على خمسين كيلاً ، إذ الميل حسبها اتضح لي من الأميال التي لا تزال باقية في طريق زَيْدَة في طريق الحج البصري المارّ بنجد ، يتراوح بين ألفين ومئتين ، وألفين وأربع مئة متر .

أما درجة العرض فينبغي أن تكون منزلة يَنْبَم بقرب خط العرض ١٩° درجة بدون زيادة وخط الطول ١٥ / ٤٣° .

وإذا صح هذا التقدير فإن الموقع المعروف الآن باسم (ابن ابن) تنطبق عليه أكثر تلك الأوصاف .

يبدو ان اسم (ينيم) يطلق على الوادي الذي يعرف الآن باسم (وادي ابن ابن) وهذا الوادي قد رُسم له مُصَوِّرٌ جغرافي خاص باسمه ، وفروعه تقع بقرب خط الطول : ٥ / ٤٤° وهي تنحدر من جبال القهر^(٣٧) ، ويجتمع بوايدعى وادي السّمارَة ، تاركاً جبال عَرَوَا جنوبه ، وجبال عروا هذه هي عَرَوَا القَهر ، التي ذكر المهجري^(٣٨) ، وفي جنوب الوادي سهل واسع يطلق عليه اسم سهل المنقع ، وسهل منقع الحمام ، وهناك قرية بهذا الاسم (منقع الحمام)^(٣٩) في منطقة العين تقع بقرب خط الطول : ١٥ / ٤٤° وخط العرض . ٠ / ١٩° ، وهذا السهل المنبسط من الأرض تُلُبُّ به جبال القَهر من شماله ، كما تُلْهَزه من الجنوب جبال عروا ، وفي شماله واد يعرف بوادي المَقَرَة ، فيه بئر بهذا الاسم ، وواد آخر يدعى وادي جَنْجَبٍ ، يتجه الواديان صوب الشمال ، وفي جنوب ذلك السهل تقع جبال تعرف باسم جبال القباقيب ، وجبل الخشبية ، تنحدر منها شُعْبُ أودية تفيض في وادي السّمارَة ، منها شعب خَمَط وشعب الخشبية وشعب مُكْسِر من جبل بهذا الاسم ، وشعب ضبير ، وأشهر الأودية الواقعة في جنوبه وادي السّمارَة الذي يدع سهل المُرَيْخِج جنوبه ، وأكثر الشعاب تنحدر في وادي السّمارَة ومنها وادي (ابن ابن) .

ومنطقة وادي ابن ابن كما رسمت في المصور الجغرافي (الخريطة) تقع بين خطي الطول : ٠٠/ ٥٤٤ و ١٥/ ٥٤٤ وبين خطي العرض : ٣٠/ ٥١٩ و ٥٥/ ٥١٩ والمسافة إلى هذا المكان من كتنة تقارب ما حدد الهمداني عشرين ميلاً أي نحو خمسين كيلاً . يتضح هذا من أن الهمداني حدد المسافة بين سروم وبين كتنة بستة وثلاثين ميلاً وهي بسير السيارات الآن تقارب ستين كيلاً .

وقد يلاحظ هنا أن هذا الموقع بالنسبة إلى منزل كتنة منحرف شمالاً ، ولكن الانحراف بين منازل الطريق قد تسببه وعورته ، وهذا مما يكثر في منازل طرق الحج مما لا يتسع المجال لتفصيله .

وبالإجمال فلا شك أن الاسم الذي يطلق على هذا الموضع طوال السنين له صلة بالاسم القديم (أُنْبَم) بصرف النظر عن الموقع الذي كانت منزلة الطريق تقع فيه منه ، فقد يكون الاسم تقلص فصار لا يشمل إلا هذا الجزء الواقع في منطقة جبال القُهر ، بينما كان يشمل ما هو أوسع منها بحيث كان الطريق يمر بجانب منه .

وقد يتصدى أحد الدارسين لتناول الموضوع بدراسة أدق وأوفى وأشمل مما تقدم .

الحواشي :

(١) ص ٢٦ .

(٢) « العرب » ص ١٨ ص ١٠٢٦ .

(٣) كتاب فليبي « المرتفعات العربية » ص ٤١ - ٧٤ (ARABIAN

.(HIGHLANDS

(٤) انظر هذا الاسم في « المعجم الجغرافي لبلاد العربية السعودية » قسم شمال المملكة .

(٥) « صفة جزيرة العرب » ٣٢٥ نشر دار التمامة ، وديوان الشاعر ٧٢ مع تصحيح

(نجفر) إلى (نجف) .

(٦) ديوانه : ٢٦ .

- (٧) « بلاد العرب » للحسن الأصفهاني ، ص ١٤٩ .
- (٨) ٣٥٥/٤ - ط. دار الكتب المصرية .
- (٩) « التعليقات والنوادر » للهجري : ١٩ المخطوطة المصرية .
- (١٠) (عانه) : انظره .
- (١١) (تراها ديرة القوم) : هي ديرة الأعداء . (لزما تاصلينه) : أي تصلين إليه ، يخاطب ناقته .
- (١٢) ١٢٤/٣ ط. نهضة مصر .
- (١٣) ١٩٣ .
- (١٤) ١٩٨/٣ .
- (١٥) أرى أن كلمة (الفنيق) تصحيف (الفسيل) .
- (١٦) ٥٩١/١٥ .
- (١٧) « جمهرة اللغة » ١ : ١٧٧ .
- (١٨) رسم (بيم) .
- (١٩) رسم (بيم) .
- (٢٠) الرزن : هو المكان المرتفع يكون فيه الماء .
- (٢١) ص ١٨٢ .
- (٢٢) ضبي وعرعر في قول امرئ القيس واقعان في شمال الجزيرة ولا يزالان معروفين من أشهر الأودية تحدثت عنهما في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » - قسم شمال المملكة - ونعل هذا من هفوات الحمداني - رحمه الله - .
- (٢٣) ٢٥٣ .
- (٢٤) ٤٥٤ .
- (٢٥) ٣٥٩ : ٢ .
- (٢٦) ٤٢١ : ٢ .
- (٢٧) ١١٨ .
- (٢٨) ٦٤٤ .
- (٢٩) ١٥ [ص ٥٨ الضبعة المصورة لغواد سزكين] .
- (٣٠) « صفة جزيرة العرب » ٣٣٩ ط. دار اليمامة .
- (٣١) المصدر السابق .
- (٣٢) ١٤٥ طبع روما .
- (٣٣) « صفة جزيرة العرب » : ٤٢٩ .

- (٣٤) المصدر السابق : ٤٢٨ باختصار .
(٣٥) المصدر السابق : ٣٤٠ .
(٣٦) المصدر السابق : ٣٣٨ .
(٣٧) « العرب » س ١٩ ص ٨٤٨/٣٠٠ .
(٣٨) « أبو علي الفجري » ٣٤٠ .
(٣٩) « أطلس منطقة عسير الإدارية » ص ٥٤ ، ومجلة « العرب » س ١٩/٣٠٠ .

التعريف والنقد

معجم موسوعي وثائقي

بالمفردات والمصطلحات الدبلوماسية والدولية

إنكليزي - فرنسي - عربي

إعداد وشرح : الدكتور زكريا السباهي

الطبعة الأولى : ١٩٩١ - دار طلاس بدمشق

الدكتور صالح الأشر

هذا المعجم الموسوعي الوثائقي المختصر الذي صدر حديثاً عن دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق يُلَفِّتُنَا بصدوره إلى ظاهرة جديدة بأن نرصدها : وهي كثرة المعاجم اللغوية الاختصاصية التي أصبحنا نملكها في شتى المجالات ومختلف ألوان المعارف والعلوم والفنون ، وقد بدأت المكتبة العربية تزخر بأصناف هذه المعاجم منذ بداية الخمسينيات ، وكلُّها - إلا بعضاً يسيراً منها - صادرٌ عن جهود فردية أثر أصحابها أن ينكبوا على عملهم بدأبٍ وصمتٍ ، كلٌّ في مجال اختصاصه ، ليُصنِّفُوا معاجم للمصطلحات باللغات الثلاث : العربية والإنكليزية والفرنسية ، ويعملوا على نشرها ، وكان المأمول أن تُشرف الجامعات والمؤسسات العلمية العربية على إعداد تلك المعاجم وتكفل بإصدارها ، وكان بعض أصحابها قد شاركوا أول الأمر في اللجان الجمعية العاملة في هذه المجالات ، ثم رأوا أن ينفردوا وحدهم بالعمل ، إذا أُريد له أن يبلغ دون إبطاءٍ غايته ، بعيداً عن اجتماعات اللجان وشكلياتها ، فطلبوا السماح لهم بأن يستقلُّوا بإنجاز عملهم كان

المفروض في الأصل أن تقوم به تلك اللجان التي كانوا قد أسهموا في بعض أعمالها ، والأستاذ مجدي وهبة ، في معجمه النفيس (معجم مصطلحات الأدب) الصادر عن مكتبة لبنان في بيروت عام ١٩٧٤ واحد منهم^(١) ، وعن هذه المكتبة صدر عدد وافر من المعاجم الاختصاصية باللغات الثلاث ، في سلسلة قيمة تمتاز بجودة الإعداد وحسن الإخراج ، والمثقفون العرب اليوم بحاجة إلى أمثالها في كل مجال من مجالات اختصاصاتهم المختلفة .

وهنا ينبغي أن نذكر أيضاً تلك الجهود الطيبة التي بذلها مكتب تنسيق التعريب في المغرب ، في إصدار عددٍ من المعاجم الاختصاصية باللغات الثلاث ، وكان الجناح المغربي من العالم العربي منذ بداية الستينيات ، حريصاً على تعريب المصطلحات في كل اختصاص ، لحاجته إلى إحلال المصطلح العربي محل المصطلح الأجنبي (الفرنسي) لتُصبح العربية على ألسنة عرب شمالي أفريقية اللغة القومية القادرة على التعبير عن كل وجه من أوجه الحياة الحضارية ، ويتم التخلّص بذلك لديهم من طغيان اللغة الأجنبية وجورها على لغتهم القومية ، وقد أُتيح لي خلال إقامتي يومذاك في المغرب أن أشهد نشاط مكتب تنسيق التعريب - وعلى رأسه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله - في تزويد المكتبة العربية بعددٍ من المعاجم الاختصاصية بمختلف المصطلحات في ألوان العلوم والصناعات والفنون ، لجعلها مُوازيةً ومُساويةً للمصطلحات الغربية الحديثة ، باللغتين الفرنسية والإنكليزية ، وكان العاملون في المكتب يومذاك يُدركون أنهم يُسابقون الزمن ، فهذه المصطلحات العلمية والفنية « تزداد بمعدل مائة مصطلح جديد في كل يوم » كما جاء في تقرير لليونسكو ، وكانت مجلة المكتب (اللسان العربي) تحمل في أعدادها إلى القراء في أقطار العالم العربي نماذج

(١) - انظر معجم المصطلحات الأدب : التمهيد ، ص : XIII

من تلك المعاجم وهي في دور الجمع والتحضير والإعداد ، وتسأل موافاة المكتب بآراء العلماء والمختصين فيها.

غير أننا نلاحظ أن مكتب تنسيق التعريب لم ينشط إلى تخصيص معجم للمصطلحات الدبلوماسية والدولية ، فظل العمل في هذا الحقل مقصوراً على أفراد من العلماء العاملين فيه ، وكلّهم من السوريين ، من ذوي الاختصاص في هذا المجال ، وهذا عرض سريع موجز لثمرة جهودهم :

١ - المصطلحات الدبلوماسية في الإنكليزية والعربية : للدكتور مأمون الحموي ، وهو معجم صغير لا تتجاوز صفحاته الستين ، صدر في دمشق في عام ١٩٤٩ ، ويُعدُّ المحاولة الأولى لتصنيف معجم للمصطلحات الدبلوماسية ، والمصنّف رائد في هذا المجال ، وله أيضاً كتاب رائد في الدبلوماسية ، صدر في دمشق قبل صدور معجمه بستين^(٢) ، يُلبّي حاجة السلك الدبلوماسي في سورية ، في السنوات الأولى من تكوينه ، بعد حصول هذا القطر العربي على استقلاله وجلاء المحتل عن أرضه .

٢ - معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية (انكليزي - فرنسي - عربي) للدكتور سمّوحي فوق العادة ، وهو معجم شامل وإف صدر في عام ١٩٧٤ بعد رُبع قرن من صدور معجم الدكتور الحموي ، ليكون حلقة من حلقات سلسلة المعاجم الاختصاصية الصادرة باللغات الثلاث عن مكتبة لبنان ، التي نوّهنّا بها قبل قليل ، ومصنّف هذا المعجم ذو باع طويل في حقل الدبلوماسية تأليفاً وممارسة ، وكان قد ذيل بعض كتبه منذ عام ١٩٤٧ بترجمة بعض المفردات والمصطلحات الدبلوماسية باللغات الثلاث ، إلى أن تمّ له تصنيف معجمه الذي جمع فيه - أو نثر فيه - خلاصة دراساته وتجارب حياته المسلكية في الدبلوماسية والمراسم ، على مدى خمسة وعشرين

(٢) - انظر كتاب الدبلوماسية للدكتور مأمون الحموي - المطبعة الأهلية بدمشق :

عاماً ، وحق له أن يفخر في مقدمة معجمه بأن « هذا المعجم هو المؤلف الأول من نوعه في اللغة العربية » ولا نحسب أن في هذا القول مبالاةً بغير الحق ، فالمقارنة بين معجم الحموي الصغير وهذا المعجم الكبير الجامع تظهر المدى الواسع بينهما ، فقد خطا التصنيف المعجمي في مجال الدبلوماسية والشؤون الدولية خلال ربع القرن خطواتٍ فسيحاً ، تجعل من معجم الدكتور سمّوحي عملاً جليلاً مستوفياً يستحق صاحبه بالغ التقدير والتبويه .

٣ - ونصل هنا إلى الخطوة التالية (المرحلة الثالثة) في تطوير التصنيف في (المعجم الدبلوماسي) وقد نهض بها واحدٌ من قدامى العاملين في الدبلوماسية السورية بصدر معجمه الموسوعي الوثائقي حديثاً عن دار طلاس بدمشق ، فأضاف به إلى جهود من سبقوه لبنةً في بناء صرح المؤلفات السياسية والقانونية والدولية وترجمة المصطلحات والمفردات الدبلوماسية والدولية . وهي إضافة متميزة وملحوظة ، تُقدّمها تلك الشروح الإضافية لما يُقارب الأربعمئة من المصطلحات ، وتُدعمها تلك الشواهد من النماذج عن المذكرات والمفكرات والمواثيق لعددٍ وافر من المفردات والمصطلحات ، فالمعجم الجديد بطابعه الموسوعي والوثائقي قفزة موفقةٌ ومحمودة لتطوير التصنيف في المعجم الدبلوماسي العربي ، ويرى فيها صاحبها محاولة أولى يرجو أن يوفق في المستقبل القريب إلى إغنائها ، ليجعل من تلك الشروح « نواة لموسوعة دبلوماسية ودولية عربية شاملة » وإذا تمّ له ذلك بعونٍ من الله وتوفيقٍ منه تحقق على يديه أملٌ كبيرٌ « طالما تآقت المكتبة العربية والاختصاصية إلى تحقيقه » كما يقول المصنف في تمهيده لمعجمه الموسوعي والوثائقي المختصر^(٣) .

والدكتور زكريا السباهي مصنف هذا المعجم الجديد مؤهلٌ خير تأهيل لإعداد معجمه والشروح الإضافية والمعمّقة التي تضمّنها : فهو ذو ثقافة

(٣) - المعجم الموسوعي : ص ١٦ .

حقوقية متمكّنة ، بدأت قبل أربعين عاماً في دراساته الجامعية والعليا في دمشق وباريس ، وتكفّلت له مطالعته الدائبة باللغات الثلاث التي يُحسنها (العربية والفرنسية والانكليزية) بأن يكتنز معرفةً ونُضجاً مع تقدّم العمر ، وهو رجل دبلوماسي له خبرة كبيرة في الدبلوماسية والمؤسسات الدولية ، في عددٍ من العواصم الأجنبية ، وأتاح له عمله أن يُشارك في المؤتمرات واللجان والوكالات الدولية المتخصصة ، فاتّسع أفق معارفه الاختصاصية وخبرته المسلكية والعملية ، وتهيأ له بعد إحالته إلى التقاعد أن يأوي إلى مكتبته الغنية ، ويتفرّغ لانجاز معجمه ، فأتمّه في خمس سنواتٍ من العمل الصامت الدؤوب المتواصل : يجمع المفردات والمصطلحات ، ويراجع الموسوعات المختلفة والمصادر والوثائق والاتفاقيات الدولية الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة والوكالات التابعة لها ، ليُضفي على شروحه لتلك المصطلحات طابعها الموسوعي المدعوم بالإحصاءات الدقيقة والتواريخ الموثقة ، وليتمكّن بذلك من أن « يُغني مكتبتنا العربية ، ويسدّ فراغاً طالما احتاج إليه الدبلوماسيون والدارسون والأساتذة والصحفيون ، وكلُّ من أراد أن يقرأ أو يُطالع أو يُحاضر في موضوعٍ له مساسٌ بالعلاقات الدولية ، وبالحياة السياسية والدبلوماسية » كما يقول الأستاذ عبد الله فكري الخاني في تقديمه هذا المعجم إلى القراء^(٤) ، وكما يشهد شاهد آخر هو الدكتور شاكر مصطفى في رسالته إلى المصنّف بأن معجمه « عملٌ مشر ، عملٌ باق للأجيال الدبلوماسية المقبلة ، لا في سورية ، ولكن في الوطن العربي كله ، فالحاجة إليه قائمة بكل مكان »^(٥) .

ولهايتين الشهادتين من علّمين ، لكل منهما خبرته الواسعة وعمله الطويل والتميّز في السلك الدبلوماسي ، ومكانته العلمية والأدبية المعروفة ،

(٤) - المعجم الموسوعي : ص ١٢ .

(٥) - المعجم الموسوعي : ص ٨ .

قيمة خالصة لا يشوبها ميلٌ إلى مجاملةٍ ، ولا يعدل بها عن صريح الحق هوئى ، فهذا المعجم الموسوعي المختصر الفريد عملٌ بالغ الأهمية ، وخدمةٌ للعربية جليلة وثمينة ، ويحق لصاحبه أن يفخر به ، ولئن كان تواضع العالم يدفعه إلى تذكير القراء بكلمة للدكتور جنسن ، يضعها في مقدمة المعجم^(٦) ، ويقول فيها : « يتوق كلُّ من يؤلف كتاباً إلى المدح ، أمّا من يُصنّف معجماً فحسبه أن ينجو من اللوم ! » إنه لحقٌّ أن مصنّف هذا المعجم المختصر المفيد جدير بالثناء الوافي على حُسن صنيعه ، وهو ثناء خالص لا تخالطه مؤاخذه ولا يشوبه لومٌ ، وأمّا ما تُبديه بعد ذلك من ملاحظات نقدية ، وما قد نذكره فيها من هناتٍ ، فليس ما نفعل من قبيل المؤاخذه أو اللوم للمصنّف أو الخطّ من قيمة عمله ومجهوده ، ولندكر أن الكمال لله وحده ، وقد يما قالوا : « لاتعدم الحسنة ذاماً » فلعلّ المصنّف في حرصه على تنقية معجمه من تلك الهنات الطفيفة يعمد إلى تلافيتها وتدارك ما يرى أن يتداركه منها في طبعة ثانية قادمة .

وبودّنا ألا نُضِل في سرد تلك الملاحظات وسنحاول إنجازها في نقاط معدودة تتصل بمنهج المعجم وتصميم نظامه وترتيب قياسه ومضمون شروح مفرداته ولغة المصنّف وأسلوبه فيها :

١ - منهج هذا المعجم الموسوعي محدّد بتقديم المفردات والمصطلحات الدبلوماسية والسياسية والدولية بالإنكليزية أولاً ، ثم بالفرنسية ، لأهمية هاتين اللغتين في المجتمع الدولي ، ثم بالترجمة العربية عنهما معاً ، وقد التزم المصنّف بمنهجه هذا فلم يشذّ عنه إلا مرة واحدة عمداً فيها إلى تخصيص مادة مفردة لعلم من الأعلام ، وهو السيد خافير بيريز دي كويلار ، الأمين العام الحالي للأمم المتحدة ، وكان على المصنّف ألا يفعل ، وأن يقصر موادّ معجمه على المفردات والمصطلحات ، والأعلام الشخصية ليست منها ،

وكان بوسعها أن ينقل ما ذكره في شرح هذه المادة المستقلة (ص : ١٠٣) إلى مادة (السكرتير العام للأمم المتحدة) (ص : ٢٧٣) التي لم يأت بشرح لها ، ليستقيم له منهجه العام الذي يقوم عليه هيكل معجمه كله .

٢ - في تصميم المصنف لنظام معجمه كان عليه أن يعتمد إلى ترقيم المفردات والمصطلحات المشروحة ، وهي قرابة الأربعمئة ، بأرقام صغيرة خاصة متسلسلة ، ليوفر على نفسه وعلى ناشري معجمه وعلى قراء كتابه بذل المزيد من الجهد والوقت المهدور ، ذلك أن الإحالات تكثر في المعجم في المواد المشروحة على مواد أخرى فيه ، لصلتها بها ، وتلك وسيلة لا غنى عنها للربط بين المفردات والمصطلحات ، وعدم التكرار في إيراد الجوانب المشتركة في شروحيها ، وتطول أحياناً تلك الإحالات الموضوعة بين قوسين ، ومثالاً لها هذه الإحالة الواردة في (ص : ٩٠) :

(راجع أيضاً عبارة معاهدة التسوية النهائية للحرب الثانية :

Second World War Final Settlement Treaty

بسبب صلتها بالموضوع) .

ولو كانت المفردات والمصطلحات المشروحة مرقمة ، وكان رقم معاهدة التسوية : ١١٠ مثلاً ، لاستغنى المصنف عن إيراد الأسطر الثلاثة بقوله : (راجع : ١١٠) فوفر بذلك ويسر ؛ وقد يقع اضطراب في بعض تلك الإحالات (كما في الصفحة : ١٠٢) :

(انظر الشرح المتعلق بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان :

(International Declaration of Human Rights

فإذا بحث القارئ عن المصطلح الإنكليزي في باب الحرف (I) لم يجد ما يطلبه ، لأن الإحالة لم تكن دقيقة ، فالمصطلح الإنكليزي لذلك الإعلان العالمي هو : (Universal Declaration ...)

والبحت عنه يتم في باب الحرف (U) في (ص : ٣٠٨) وكان ترقيم

المصطلحات المشروحة يُيسّر للقارئ الاهتداء إلى مواطن الإحالات من أقرب الطرق وأقصرها !

٣ - والمعجم الموسوعي يكتفي بتقديم فهرس يتم واحد للمفردات والمصطلحات العربية المشروحة ، وقد أغنانا منهج الكتاب القائم على ترتيب المفردات والمصطلحات الإنكليزية أولاً فيه على أساس أَلِفبائي عن الحاجة إلى تخصيص فهرس لها ، ولكن الحاجة إلى فهرس للمفردات والمصطلحات الفرنسية تظل قائمة ، ليصحّ قول المصنف (ص : ١٦) : « كما يمكن للقارئ الفرنسي أن يُطلّ من خلال المعجم على معاني اللغتين العربية والإنكليزية » وفي غياب هذا الفهرس لا يقع القارئ الفرنسي على ما يريد إلا بقراءة المعجم الموسوعي كله ! ويظل المعجم الموسوعي بحاجة إلى الفهارس الكشفية التي تيسّر على مطالعيه الاهتداء إلى ما يريدون والعثور على ما ينشدون ، ولعلّ الطبعة القادمة للمعجم تضم فهارس للأعلام (الشخصيات والبلدان و ..) وللمؤلفات والكتب والمطبوعات ، ويُحسن المصنّف صنعا بإعادة النظر في ترتيب المفردات ومراعاة التسلسل الألفبائي لأحرف المصطلح كلها ، فلا يقتصر على الحرف الأول وحده ولا على الكلمة الأولى^(٧) وحدها ، والاضطراب في الترتيب الألفبائي للفهرس الوحيد للمفردات والمصطلحات العربية المشروحة شاملٌ وينبغي تصحيحه^(٨) ، وفي المعجم مفردات مشروحة بها الفهرس العربي عن ذكرها^(٩) . إلخ .. وتلك أمور يسهل تداركها في طبعة قادمة .

٤ - والمضمون في شروح المفردات والمصطلحات مستمدّ من المصادر

(٧) - انظر مثال ذلك في ترتيب المصطلحات الإنكليزية : ص ٢٠٣ .

(٨) - (المغاوير) في الفهرس في باب الألف (!) . ونقع على أربع مفردات تبدأ كلها

بكلمة (معاهدة ..) في مواطن متفرقة (ص : ٣٦٤ - ٣٦٥) .

(٩) - من أمثال (شرح الأبقاء على الوضع الراهن) ص : ٧٤ (وشرط الاحتكام) ص :

الغربية وذلك ما تقتضيه طبيعة موضوعاتها ، ولكننا نقع الحين والحين على أثر للتراث العربي والإسلامي فيها : كالحديث عن جذور الاشتراكية في الإسلام (ص : ٢٨٠) والحديث عن السياسة والمؤلفات العربية فيها (ص : ٢٣٨) والحديث عن المخطوطات العربية في الأندلس (ص : ٣١٩) والحديث عن السفارات والبعثات الإسلامية إلى البلدان الأجنبية (ص : ٣٢) والحديث عن التقاليد الدبلوماسية الإسلامية في مصر والمغرب (ص : ١١٧) إلخ ..

ولنا أن نأمل من المصنّف أن يعمل على إغناء الأثر التراثي في شروح المفردات في موسوعته الدبلوماسية والدولية العربية الشاملة المنتظرة ، ويستفيد فيها من كتب التراث الكثيرة المؤلفة في السياسة والأحكام السلطانية والرسوم الخلافية ، وأهمها أو أهم ما طبع منها :

- أ - التاج في أخلاق الملوك : للجاحظ (أو المنسوب إليه) .
 - ب - الأحكام السلطانية : للماوردي .
 - ج - رسوم دار الخلافة : لهلال الصابئ .
 - د - سراج الملوك : للطرطوشي .
 - هـ - رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة : لابن الفراء .
 - و - سلوك المالك في تدبير الممالك : لابن أبي الربيع .
 - ز - المنهج السلوك في سياسة الملوك : للشيخ عبد الرحمن بن نصر .
 - ح - كتاب في السياسة : للوزير المغربي .
 - ط - واسطة السلوك في سياسة الملوك : لابن زيان العبدواي إلخ ..
- وسيقع في الكتب التراثية الموسوعية على كثير مما يهم موضوعاته وشروحه من أمثال : كتاب الأغاني - ورسائل إخوان الصفا - ومقدمة ابن خلدون - وصبح الأعشى للقلقشندي إلخ .. كما سيجد في كتاب المستشرق آدم متر عن (الحضارة الإسلامية في القرن الهجري الرابع)

ما يفيد موضوعاته ، وبذلك يوفى التراث حقه في الموسوعة الشاملة الموعودة !

أما المعجم الموسوعي المختصر فحظ التراث فيه ليس بذاك : ففي شرحه لمصطلح (سفير متجول) ص : ٣٦ - ٣٧ لا نجد إشارة إلى الرحلات السفارية الإسلامية في المشرق والمغرب ، مثل (رحلة ابن فضلان) ، و (رحلة محمد بن عثمان المكناسي) ، وهما مطبوعتان في دمشق والمغرب^(١٠) ، وفي شرحه لمصطلح (المراسم) ص : ٢٨٤ لا نجد إشارة إلى (رسوم دار الخلافة) أو إلى (كتاب التاج) وهما مطبوعان في بغداد والقاهرة^(١١) ،

ولعل الموسوعة الشاملة المنتظرة تهض بما لم تستطع الموسوعة المختصرة أن تهض به .

٥ - عند نظرنا إلى لغة المصنف وأسلوبه في صياغة شروحه للمفردات والمصطلحات تطالعنا تلك العفوية التي تتدفق تدفقاً سهلاً في التعبير والتي تؤثر الرصانة والمنطق والوضوح واللفظ المتداول المشهور ، ولا تحسب لتكلف الجزالة ، أو لتحري السلامة اللغوية أحياناً ، حساباً ، والمصنف يعترف في تمهيده للمعجم بأنه من أنصار المقولة السائدة في التعامل الدبلوماسي والتخاطب الدولي التي تقول « إن الخطأ المشهور خير من الصحيح المجهور » (ص : ١٥) والحق أنه يقول هذا في صدد إبقائه على ترجمة مشهورة لبعض المصطلحات « مغايرة بعض الشيء للترجمة الصحيحة » ولكن قوله هنا ينطبق على أخذه بتلك المقولة في أسلوبه ، مثل

(١٠) - رحلة ابن فضلان بتحقيق الدكتور سامي الدهان (مطبوعات الخمع) ، والأكسير في مكاتك الأسير بتحقيق الأستاذ محمد القاسي (المغرب : ١٩٦٥) .
(١١) - رسوم دار الخلافة للصائبي بتحقيق الأستاذ ميخائيل عواد (بغداد : ١٩٦٤) ، والتاج في أحلاق الملوك للنجاحظ بتحقيق أحمد ركي (ناشا) (القاهرة : ١٩١٤) .

استعماله بعض المفردات العربية بمعانٍ خاطئة ، ولكنها مشهورة ومتداولة ،
فالكفاسة هي الكفاية عنده حيثما وردت في المعجم^(١٢) وإن أصرت
الفصحى على أنها لا تعني إلا التساوي والتماثل ، والفعل (تواجد) للوجود
عنده وليس لإظهار الوجد^(١٣) ، والفعل (صَدَف) لمعنى صادف^(١٤) وإن
تكن الفصحى تجعله بمعنى أعرض وانصرف إلخ ..

وهذا الإشار للخطأ المشهور ظاهرة عمت في أساليب الكتاب ،
وغدت في نظر كثير منهم لا تستحق أن يقف النقد عندها ؛ فلندعها إذاً
لنقف عند بعض الأخطاء النحوية واللغوية التي سها القلم عن تصحيحها ،
ولعل بعضها من قبيل التطبيعات التي لا يتخلو كتاب مطبوع من أمثالها ،
وسنكتفي بإيراد نماذج منها ، يُغني ذكرها عن غيرها :

فمن السهو في تحطي القواعد النحوية :

- أ - من معاني .. وأماني : معانٍ وأمانٍ (ص : ١١)
ب - بذلاها صديقاى : بذلها صديقاي (ص : ١٦)
ج - ويُسمّون مندوبون متعقبون : مندوبين .. (ص : ٦٨)
د - أعطوا معانٍ : معاني (ص : ٧٤)
هـ - قد يكونوا : يكونون (ص : ٢٥١)

إلخ ...

ومن السهو في صحة كتابة العدد والمعدود :

- أ - كلمات ثلاثة : ثلاث (ص : ٥٩)

(١٢) - انظر الصفحات : ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٩٨ - ١٠٣ - ١٢٨ -

١٤٤ - ٢٧٦ - ٢٩٣ .

(١٣) - انظر الصفحات : ٦٧ - ٧٢ - ١٠٥ - ١١١ - ٢١٥ - ٢٣٩ - ٢٦١ -

٢٨٧ - ٢٩٣ - ٣١١ .

(١٤) - انظر الصفحات : ٢٤٣ - ٦٣ - ٧٠ - ١٠٥ - ١١٣ إلخ ...

- ب - الأعوام العشر : العشرة (ص : ١٩٣)
 ج - على أحد الروابي : على إحدى .. (ص : ٢٣٩)
 د - الرمح الواحدة : الواحد (ص : ٢٧٩)
 هـ - ثلاث طوابق : ثلاثة (ص : ٣٢٨)

إلخ ...

ومن السهو في استعمال حرف الجر المناسب :

- أ - عطفاً عن الاتفاقية : على (ص : ٥٩)
 ب - المساعدة لانتشار : على انتشار (ص : ٦٠)
 ج - ناهز على الأربعين : ناهز الأربعين (ص : ٨٤)
 د - أكد على الشيء : أكد الشيء (ص : ٨٩)
 هـ - تعاون السلطات بعضها ببعض : مع بعض (ص : ١٠٥)

إلخ ...

وهذه أمثلة للأخطاء اللغوية الأخرى :

- أ - وكانت عضوة في مجلس الكونغرس : عضواً (ص : ٧٢)
 (فالعضو اسم مذكر يستعمل على سبيل الاستعارة ، وليس صفة ،
 فلا يصح تأنيثه !)

- ب - إملاء الشـواغر : ملأ الشـواغر (ص :
 ٧٢-٨٨-١٠٣-١٢٨-٢٣٧) (من الفعل الثلاثي : ملأ)

- ج - ولربّانيتها : لربابتها أو لربابيتها (ص : ٩٣)
 (لأنها جمع ربّان وهو قائد السفينة)

- د - الأفعال المشينة : الشائنة (ص : ١٠٥)
 (من الفعل الثلاثي : شان)

- هـ - دمج كلا المؤسستين : كلتا
 (لتأنيث المؤسسة)

و - وكلما ازداد.. كلما تعبد : تعبد (ص : ١٧٤)

(كلما لا تتكرر ، فيجب حذف الثانية)

ز - والسواح : والسياح (ص : ٣٠٥)

(من الفعل ساح يسبح (لايسوح))

وأمثلة لبعض الأخطاء الإملائية :

أ - رؤى : رؤي (ص : ٧٩-١٩٣-٣١٥)

ب - زاد عنه (دافع) : زاد (ص : ١٠٤)

ونقع الحين والحين على ركافة في صياغة بعض الجمل التي تتكرر غير ما مرة ، من أمثال : (الأمر الذي .. كما وتشارك .. كما وأن .. فيما إذا كان إلخ ...) كما نقع على بعض الجمل المضطربة لطولها أو لنقص كلمة ساقطة منها (كما في الصفحات : ٨٨ - ٢١٠ - ٢٣٨ إلخ ...) .

وهذه الهنات وأمثالها يمكن تلافيها بيسر وسهولة في طبعة للمعجم

قادمة .

ومن الإنصاف في خاتمة هذه الجولة النقدية في صفحات هذا المعجم الفريد النفيس أن نُقرَّ بأن تلك الهنات كلها لا تحط من قيمة هذا الأثر الجليل الذي استفرغ فيه الدكتور السباهي غاية مجهوده ، بسخاء متواصل ، فظل يلاحق آخر المعلومات ، والمعجم في المطبعة ، ليضيف إلى شروحه ما يطرأ على الأحداث الدولية من تطورات ، فنقرأ في (ص : ١٩٢) مثلاً : « علم المؤلف والمعجم على الطابع أن لجنة عربية مشتركة إلخ .. » ونجد في آخر المعجم ملحقاً (الملحق الثامن) تمَّ ضمه إلى المعجم بعد الانتهاء من طبعه ، فظلت صفحاته الخمس لذلك من غير ترقيم ، وقد لخص المصنف فيه آخر ما انتهت إليه أزمة الخليج مع مجموعة الوثائق والقرارات الدولية والبيانات العربية والإسلامية الصادرة بشأنها ، وقد التزم

المصنف في شروحه للمذاهب والاتجاهات المختلفة الموضوعية الكاملة بتزاهة مفكر حر وعدالة مؤرخ منصف ، ودلّ في تعريبه للمصطلحات على ذوق أدبي وحس نقدي نام لديه ، ولهذا كله يطيب لنا أن نُنوّه بفضل صاحب هذا المعجم الموسوعي القيم ، وأن ندعو الله أن يمدّ في حياته ويُعينه على إنجاز تلك الموسوعة الشاملة لمصطلحات الدبلوماسية والشؤون السياسية والعلاقات الدولية التي وعد بتصنيفها ، وإذا تمّ له ما يأمله منها يكون قد قدّم للعربية خدمة ، وحقق بذلك لنفسه المجد والخلود .

المستدرك على شعر أبي هلال العسكري

الدكتور حاتم صالح الضامن

أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، انذي كان حياً سنة ٣٩٥ هـ ، من الأعلام المشهورين ، والمؤلفين الأثبات ، له مؤلفات كثيرة نشر منها نحو تسعة كتب ، وله مؤلفات أخرى ما زالت مخطوطة (*) .

وكان أبو هلال شاعراً ، له ديوان شعر لم يصل إلينا . وقد تصدى لجمع شعره ، المنشور في مؤلفاته أولاً ، وفي الكتب الأخرى ثانياً ، الدكتور محسن غياض ، وطبعه بيروت سنة ١٩٧٥ تحت عنوان : (شعر أبي هلال العسكري) ، ووقع الكتاب في ٢٢٤ صفحة ، اعتمد المؤلف في جمعه على ثمانية وأربعين مصدراً .

وبلغ مجموع ما جمعه الدكتور محسن غياض ١٥٧٨ بيتاً .

وفي عام ١٩٧٩ صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق كتاب بعنوان (ديوان العسكري) ، جمعه وحققه الدكتور جورج قنازع ، وقد وافاني به مشكوراً أخي الاستاذ عبد الإله نهبان .

وقد جاء الديوان في ٢٥٦ صفحة ، اعتمد فيه المؤلف على ستة وأربعين مصدراً وضم الديوان زهاء ١٦٠٠ بيت .

(*) ينظر عن حياته ومؤلفاته :

أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية : لدوي ضبابة .

أبو هلال العسكري وآثاره في اللغة : لعل كاطم متري .

ومن اللافت للنظر حقاً أنَّ هذه الطبعة أغفلت نشرة الدكتور محسن غياض إغفالاً تاماً ، على رغم أنَّها صدرت قبلها بخمس سنوات ، ورغم اشتراكهما في جمع أكثر شعر العسكري ، والمصادر هي هي تقريباً في النشرتين .

وقد عودنا مجمع اللغة العربية بدمشق على الإشارة إلى كل ما طُبِع سابقاً في أول الكتاب كما حدث في شعر ابن ميادة ، إلا أننا لم نقف على شيء من ذلك في ديوان العسكري .

وعند مقابلي لديوان العسكري للدكتور جورج قنازع بشعر أبي هلال العسكري للدكتور محسن غياض تبين لي أنَّ سبعة وأربعين بيتاً وقف عليها الدكتور قنازع من مؤلفات العسكري المخطوطة أخلت بها طبعة الدكتور محسن غياض ، وهذه الأبيات موزعة على الوجه الآتي :

قافية الهمزة : بيتان .

قافية الباء : أربعة أبيات

قافية الدال : بيتان .

قافية الراء : بيتان .

قافية السين : خمسة أبيات .

قافية الضاء : ثلاثة أبيات .

قافية العين : بيتان .

قافية القاف : خمسة أبيات .

قافية الكاف : خمسة أبيات .

قافية اللام : ستة أبيات .

قافية الميم : خمسة أبيات .

قافية النون : ستة أبيات .

وبالمقابل فقد أُخِلَّت طبعة دمشق بنحو خمسة وعشرين بيتاً جاءت في مؤلفات العسكري ، ولكنها فاتت المؤلف ، وهي موجودة في طبعة بيروت .

إنَّ الباحثين الكرميين بذلا جهداً كبيراً يُشكران عليه ، ومع ما بذلاه من جهد في تتبع أشعار العسكري فقد فاتتهم أبيات كثيرة وقفتُ عليها في مخطوطة (الدر الفريد وبيت القصيد) لمحمد بن ايدمر المتوفى سنة ٧١٠ هـ .

ومجموع الأبيات المستدركة على نُشرتي ديوانه بلغت ستة وتسعين بيتاً موزعة على الوجه الآتي :

قافية الباء : عشرة أبيات .

قافية الجيم : بيتان .

قافية الحاء : بيتان .

قافية الدال : بيتان .

قافية الراء : خمسة عشر بيتاً .

قافية الضاد : أربعة أبيات .

قافية الطاء : بيتان .

قافية اللام : عشرة أبيات .

قافية الميم : أربعة وثلاثون بيتاً .

قافية الألف اللينة : خمسة عشر بيتاً .

وبعد فأرجو أن يكون عملي هذا نافعاً عند إعادة طبع شعر أبي هلال العسكري ، وأزجي تحياتي إلى الباحثين الكرميين الدكتور محسن غياض والدكتور جورج قناز والحمد لله أولاً وآخراً ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

قافية الباء

(١)

- ١ - ناسٌ وإنْ عامَنْتُهُمْ فذئابُ وإذا طَلَبْتَ نواهُمُ فِكِلابُ
٢ - وإذا اعتَرَّتْ عَقُولُهُمُ الْفَيْتُهُمُ بَقَرًا وَلَكِنْ مَا هَا أَذْنَابُ
(الدر الفريد ١٦٠/٥)

(٢)

- ١ - وَمَنْ يَضْلُبُ مَسَاءَةً عَائِيهِ فلا يَسْلُكُ مَسَالِكَ مَنْ يُعَابُ
(الدر الفريد ٣٣٧/٥)

(٣)

- ١ - أَلَمْ تَسْمَعْ مَقَالَتَهُمْ قَدِيمًا «سَيَبْقَى الْوَدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ»
(الدر الفريد ٢٣٨/٢)

(٤)

- ١ - أَرَاكَ مَا تَتَوَخَّى نُصْحَهَا أَبَدًا إِذْ قَدْ تُرَغِّبُهَا فِيمَا يُرْهَبُهَا
(الدر الفريد ١٠١/٢)

وهو مع ثلاثة أبيات جاءت في شعره المجموع : بيروت ص ٦٣ ،
دمشق ص ٦٠ - ٦١ . والبيت في أعلاه هو الثاني من الأبيات الأربعة .

(٥)

- ١ - وإذا اعتَبَرْتَ عَمَلَهُمْ الْفَيْتُهُمْ بَقَرًا بِلَا أَذْنَابٍ^(١)
(الدر الفريد ٢٠١/٥)

(١) [هكذا جاء البيت في مخطوطة الدر الفريد ، وهو مختل الوزن ، وانظر البيت الثاني من
الشفة رقم (١) السابقة لمجلة] .

(٦)

- ١ - تَعَلَّمْ مَا جَهِلْتَ تَعِشْ حَمِيداً وَقَيِّدْ مَا تَعَلَّمْ بِالْكِتَابِ
٢ - وَزِدْ فِي شَكْلٍ مَا قَيَّدْتَ مِنْهُ وَإِلَّا نَدَّ عَنْ عَقْلِ الصَّوَابِ
(الدر الفريد ١٥١/٣)

(٧)

- ١ - عَصَيْتُمُونِي حِينَ طَاوَعْتُكُمْ وَالذَّنْبُ فِي عَصِيَانِكُمْ ذَنْبِي
٢ - دَاوَيْتُكُمْ حِيناً فَأَبْطَرْتُكُمْ وَلَيْسَ لِلغَيْرِ سِوَى الضَّرْبِ
٣ - أَقْسِمُ لَا دَارِيَتُكُمْ بَعْدَهَا لَكِنْ أُدَارِي دُونَكُمْ قَلْبِي
(الدر الفريد ٨١/٤)

جاء البيت الثاني فقط في مجموعي شعره : بيروت ٧١ ، دمشق

. ٧٧

قافية الجيم

(٨)

- ١ - تَصَبَّرْ فَمَا الْمَكْرُوهُ ضَرْبَةٌ لِأَرْبٍ سَتَنْكَشِفُ الْبَلْوَى وَيَتَّسِعُ الْخَرْجُ
٢ - وَلَا تَشْكُونَنَّ الْيَوْمَ قَبْلَ انْقِضَائِهِ فَمِنْ سَاعَةٍ مِنْهُ إِلَى سَاعَةٍ فَرَجُ
(الدر الفريد ١٣٩/٣)

قافية الحاء

(٩)

- ١ - أُخَوِّدُ الْإِعْدَامَ لَا حَيٍّ يُرَجَّى وَلَا مَيِّتٌ يُرِجُّ وَيَسْتَرِجُ
٢ - أَرَى الْخَيْرَاتِ فِي الدُّنْيَا كَثِيراً وَمِنْهَا فِي يَدِ الْفُقَرَاءِ رِيحُ
(الدر الفريد ٢٥٨/١)

قافية الدال

(١٠)

- ١ - إذا خالف القولُ الفِعالَ فَإِنَّهُ لَعَمري هباءٌ لا يُفِيدُ ولا يُجْدِي
٢ - فلا مَرَحَباً بالخلِّ يُتْدِي لي الهوى وأفعاله تُومي إلى غير ما يُدِي
(الدر الفريد ٣١٧/١)

قافية الراء

(١١)

- ١ - قالوا صَبَرْتُ وما صَبَرْتُ جِلْدَةً لَكِنْ لِقِصَّةٍ جِئْتُني أَتُصَبِّرُ
٢ - لا تُنْهِنِي عَنْهُمْ فَتُغَيِّرُنِي بِهِمْ فَلَرُبُّمَا يَنْهَى الْعَذُولُ فَيَأْمُرُ
٣ - أنا عَبْدٌ مَنْ أَهْوَى وَمَمْلُوكُ أَهْوَى وَلَوْ أَنِّي سَابِرُ أَوْ اسْكَنْدَرُ
٤ - ليسَ التَّكَبُّرُ شِيمَةً لِأَخِي الهوى وَمِنَ الْعَجَائِبِ عَاشِقٌ مُتَكَبِّرُ
(الدر الفريد ٢٩٤/٤ و ١٧/٥ ، الثالث فقط في ٢٨٤/٢)

(١٢)

- ١ - هَذِهِ دَوْلَةٌ تَدُولُ لِأَشْرَارٍ وَتُتَبَوُّ عَنْ خَيْرَةٍ أَبْرَارٍ
٢ - وَزَمَانٌ فَقَدْتُهِ مِنْ زَمَانٍ قَدْ طَوَى خَيْرَهُ عَنْ الْأَخْيَارِ
٣ - يَا لَيْثِمَ النَّجَارِ عِشْ فِي نَعِيمٍ وَدَعْ الْبُؤْسَ لِلْكَرِيمِ النَّجَارِ
٤ - عِشْ كَمَا شِئْتَ فَالزَّمَانُ حِمَارٌ لَيْسَ يَصْفُو إِلَّا لِكُلِّ حِمَارٍ
(الدر الفريد ٣٦٥/٥ ، الثالث فقط في ٤٧٠/٥ ، الرابع فقط في ٨٠/٤)

(١٣)

- ١ - لا تَقْطَعْ الْبِرَّ إِنْ قَطَعَكَهُ يَقْطَعْ مَا تَسْتَحِقُّ مِنْ شُكْرِ
٢ - مَنْ صَنَعَ الْبِرَّ ثُمَّ تَبَّرَهُ غَرَضُهُ لِلْجُحُودِ وَالْكَفْرِ

٣ - والعُرْفُ إنْ لم تكن تُتَمُّهُ صارَ قَرِيبَ المعنى من النُّكْرِ
(الدر الفريد ٤٢٤/٥ ، الثاني فقط في ١٣٤/٥ ، الثالث فقط في ٢٢١/٢)

(١٤)

- ١ - قد رُفِعَتْ أَلْوِيَّةُ الْعَذْرِ وَسُدَّ بَابُ الْفَضْلِ وَالشُّكْرِ
 - ٢ - آيَةُ الْإِحْسَانِ مَنْسُوخَةٌ قَدْ أَشَقِطَتْ مِنْ صُحُفِ الذَّهْرِ
 - ٣ - لَا تَطْلُبِ الْخَيْرَ وَلَا تَرْجُهُ فَإِنَّ هَذِي دَوْلَةُ الشَّرِّ
 - ٤ - سَمِعْتُ بِالْحُرِّ وَلَمْ أَلْقَهُ يَا طَوْلَ أَشْوَاقِي إِلَى الْحُرِّ
- (الدر الفريد ٣٦٦/٣ و ٤١٧/٥)

قافية الضاد

(١٥)

- ١ - أَلَا لَيْسَ فِي الْإِعْدَامِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى
 - وَلَكِنْ أَشَدُّ الْعَارِ فِي دَنْسِ الْعِرْضِ
 - ٢ - وَمَا طُولُ عُثْرِي أَنْ يَطُولَ بِهِ الْمَدَى
 - وَلَكِنَّهُ طُولُ الْمَسَرَّةِ وَالْخَفْضِ
 - ٣ - وَمَا الْمَيْتُ إِلَّا كُلٌّ مِنْ مَاتَ ذِكْرُهُ
 - وَمَاتَ عَنِ الْإِسْعَافِ بِالْقَرْضِ وَالْفَرْضِ
 - ٤ - يُفَرِّحُنِي مَرُّ الزَّمَانِ وَكُلَّمَا
 - مَضَى بَعْضُ أَيَّامِ الزَّمَانِ مَضَى بَعْضِي
- (الدر الفريد ٣٥/٣)

قافية الطاء

(١٦)

- ١ - أَهْزُكُمُ بِأَشْعَارِي وَأَنْتُمْ جَمَادٌ لَا تَهْزُكُمُ السِّيَاطُ

- ٢ - تَغَيَّرَ حُسْنُ وَجْهِكُمْ لَشَعْرِي كَأَنَّ الشُّعْرَ عِنْدَكُمْ ضُرَاطُ
(الدر الفريد ١٦/٣ ، الثاني فقط في ١٥٥/٣)

قافية اللام

(١٧)

قال من قصيدة يمدح بها عزّ المفاخر ذا المعالي :

- ١ - مَرُورٌ يَقِيمٌ وَلَا يَرْحَلُ وَنَعْمَاءٌ آخِرُهَا أَوَّلُ
٢ - وَيُتَمَنُّ بِدَوْمٍ وَلَا يَنْقُضِي وَسَعْدٌ يَلُوحُ وَلَا يَأْفُلُ
٣ - فَضَّلْتَ وَأَفْضَلْتَ سَوْمَ السَّحَابِ
وَحَيْرُ الْوَرَى الْفَاضِلُ الْمُفْضِلُ
٤ - وَجُودُ الْكَرِيمِ لَهُ جُنَّةٌ وَعَقْلُ اللَّيِّبِ لَهُ مَعْقِلُ
٥ - وَلَيْسَ لَذِي الْمَالِ مِنْ مَالِهِ سِوَى مَا يُنِيلُ وَمَا يَأْكُلُ
٦ - وَمَا الْمَالُ مَالٌ لِمَنْ يَقْتَنِي وَلَكِنَّهُ مَالٌ مِنْ يِذْلُ
٧ - وَبِالْجِدِّ يُدْفَعُ مَا يُتَّقَى وَبِالْجِدِّ يُذْرَكُ مَا يُؤْمَلُ
٨ - وَلَمْ يَزَلِ الْفَقْرُ مُسْتَضْجِباً لِمَنْ يَتَوَانَى وَمَنْ يَكْسَلُ
٩ - إِذَا النَّاسُ كَانُوا بَنِي وَاحِدٍ فَأَجْمَلُهُمْ أَثَرًا أَفْضَلُ
(الدر الفريد ٢٩١/١ ، الأبيات ٥ - ٩ في ٣٠٦/٥ ، الأول فقط في ٣٥٤/٣)

(١٨)

- ١ - يَزِيدُ سُقُوطاً وَاتِّضَاعاً وَخِصَّةً إِذَا زَادَهُ الرَّحْمَنُ كَثْرَةَ مَالٍ
(الدر الفريد ٤٩١/٥)

قافية الميم

(١٩)

قال في وصف الدراهم :

- ١ - خَلِيلِي لَيْسَ الذُّخْرُ إِلَّا صَنِيعَةً وَلَا صُنْعٌ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الدَّرَاهِمُ

- ٢ - هي البيضُ تشني البيضَ غير صوارمٍ
وهنَّ إذا ما ساعدتُها صوارمُ
- ٣ - ويا ربَّما تأتي السيوفُ حواكِمًا عليك فتأتي وهي فيها حواكِمُ
- ٤ - تُحاكي نجومَ الليلِ فعلاً وخِلَقَةً فهنَّ صغارٌ في العيونِ أعاضِمُ
- ٥ - تقومُ إذا ما الحادِثات تشاجرت فتقعِدُ منها كلُّ ما هو قائمُ
- ٦ - فمانِعُها إلا عن الحقِّ عارِفُ ومؤثِّرُها إلا على الحمدِ عالِمُ
- ٧ - فأعِدِّ لجرحِ الحادِثاتِ دراهمًا فهنَّ لجرحِ الحادِثاتِ مراهِمُ
- ٨ - وعوِذُ بها الحاجاتِ تنفِ شماسِها
- فإنَّ بها جنًّا وهنَّ تمائمُ
- ٩ - بها تُدفعُ البلوى وتُدركُ المنى وتُكتسبُ العُليا وتُبني المكارِمُ
- (الدر الفريد ٢٦٠/٣ ، البيت التاسع في ٩٢/٣)

(٢٠)

- ١ - إن كان من حقِّ المودَّةِ في الهوى أن تُضرموا حَبْلَ التواصُلِ فاضرموا
- ٢ - ضيَّعتُ حقَّ تَحَرِّمي بودادِكم غرَّ امرؤُ بودادِكم يتحرَّمُ
- ٣ - وظلمتني وزعمتُ أنَّي ظالمٌ ومن العجائبِ ظالمٌ مُتَظَلِّمٌ
- ٤ - فلا تُبعدنَّ منكم وبالي كاسِفٌ ولا تُصيرنَّ عنكم وأنفي مُرْغَمٌ
- ٥ - ولو استطعتُ جزيتكم بفعالِكم لكنني لا أستطيعُ فأكْظِمُ
- ٦ - ولعلَّ دائرةَ الزمانِ تدورُ لي حتى تعودَ إلى التي هي أقومُ
- (الدر الفريد ٢٨٦/٥ ، الأول في ٣١٦/٢ ، الثاني في ٤٣/٤)

(٢١)

- ١ - سلامٌ وإن كانَ السلامُ نحيبَةً فوجهُك دونَ الردِّ يكفي المُسلِّما
- (الدر الفريد ٣٧٢/٣)

وجاء في حاشية الدر :

كتب به أبو هلال إلى بعض إخوانه ، يقول : إذا رأى المسلم عليك وجهك فذاك يكفيك وإن لم ترد عليه جواب تحيته ، وذلك على سبيل المبالغة في المدح .

(٢٢)

قال يمدح صاحب بن عبّاد :

- ١ - بَرَقَ تَأَلَّقَ مِنْ فَتُوقِ غَمَامٍ وَمُهَنَّذُ يَجْلُو سَوَادَ قَتَامٍ
- ٢ - أُمُّ طَلْعَةِ الْمَلِكِ الَّذِي يَمِينُهُ
- سَكَبُ الْعَمَامِ وَصَوْلَةُ الصَّنْصَامِ
- ٣ - يَجْرِي فَيَسْبِقُ حَيْثُ تَبْتَدِرُ الْعُلَا حَتَّى تَرَاهُ أَمَامَ كُلِّ إِمَامٍ
- ٤ - إِنْعَمَ صَبَاحاً بِالثَّنَاءِ مُحَبِّراً كَالرُّوضِ نَعْمَهُ بُكُورُ رِهَامٍ
- ٥ - تَلَقَّى السَّعَادَةَ فِي مَرَامِيكَ الَّتِي هِيَ لِلْعُلَا وَالْمَكْرُمَاتِ مَرَامِي
- ٦ - وَمِيَامِنَاً مَوْصُولَةً بِمِيَامِنِ وَدُرُورِ إِنْعَامٍ عَلَى إِنْعَامٍ
- ٧ - وَكَرَامَةً مَقْرُونَةً بِكَرَامَةٍ تُبْقِي لَدَيْكَ الدَّهْرَ دَارَ مَقَامٍ
- ٨ - مَا زَالَ كُفُّكَ يَسْتَشِيرُ مَاثِراً مَا بَيْنَ أَسْيَافٍ إِلَى أَقْلَامٍ
- ٩ - قَدْ جَلَّ قَدْرُكَ أَنْ يُقَاسَ بِكَ امْرُؤٌ مَا كُلُّ مُصْقُولِ الظُّلَا بِحُصَامٍ
- ١٠ - يَمْشِي بِهِ فَوْقَ التَّرَابِ تَوَاضِعٌ وَبِهِ الْعُلَى تَحْتَالُ فَوْقَ الْهَامِ
- ١١ - أَخْلَاقُ غَيْثٍ فِي شَمَائِلِ صَارِمٍ وَثَبَاتُ طَوْدٍ فِي مَضَاءِ سِهَامٍ
- ١٢ - وَمَكَارِمُ كَفْمَائِمٍ وَعِزَائِمُ كَصَوَارِمٍ وَشَمَائِلُ كَمُدَامٍ
- ١٣ - وَفَضَائِلُ غُرِّ الْوُجُوهِ شَهِيرَةٌ يَحْكِيْنَ أَعْلَاماً عَلَى أَعْلَامٍ
- ١٤ - لُقِّيتَ فِي الْعِيدِ الْجَدِيدِ سَعَادَةً تَبْقَى بِشَاشَتِهَا عَلَى الْأَيَّامِ
- [وَبَقِيَتْ مَرْفُوعَ الْمَحَلِّ مَكْرَماً فِي غِبْطَةِ وَكَرَامَةِ وَسَلَامٍ]
- ١٥ - فَانْعَمْ بِهِ وَمَا يَجِيءُ وَرَاءَهُ مِنْ سَائِرِ الْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ

(الدر الفريد ٢٦٠/١ ، الرابع في ٣١٠/٢ ، الخامس في ١٦٣/٣ ،
التاسع في ٣٠١/٤)

(٢٣)

- ١ - قَدْ خَصَّضْتُ اللَّيْبَ بِالْإِكْرَامِ وَتَهَاوَنْتُ بِالْجَهْلِ الْعَبَامِ
 - ٢ - إِنَّمَا تَكْرُمُ الرِّجَالَ عَلَى الْأَحْلامِ وَالْفَضْلَ لَا عَلَى الْأَجْسَامِ
 - ٣ - وَلَوْ أَنَّ الْإِكْرَامَ يُدْرِكُ بِالْأَجْسَامِ كَانَ الْإِكْرَامُ لِلْأَنْعَامِ
- (الدر الفريد ٣٦٤/٢)

قافية الألف اللينة

(٢٤)

- ١ - وصاحب الحاجات من يجفو الكرى ويركب الهول إذا الجبس التوى
- ٢ - أَرَى الْفَتَى تَغْرُهُ صِحَّتُهُ وَإِنَّمَا الصِّحَّةُ رَهْنٌ بِالضَّنَا
- ٣ - يَرْجُو لِيَانَ الْعَيْشِ وَهُوَ دَاوُهُ وَرُبَّ رَاجٍ خَافَ مِنْ حَيْثُ رَجَا
- ٤ - قَدْ فَضَّلْتُ آمَالَهُ عَنْ عُثْمِرِهِ فَهَنْ لَا تَفْنَى وَيُفْنِينَ الْفَتَى
- ٥ - بَنَى الْحَصُونَ حَذْرًا مِنَ الْعِدَى وَجِسْمُهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْعِدَى
- ٦ - فِي هَذِهِ الْأَمَالِ - مَا أَعْجَبَهَا - عِمَارَةُ الدُّنْيَا وَأَفَاتُ الْوَرَى
- ٧ - يَدْفَعُ أَسْبَابَ الْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ وَرُبَّمَا جَرَّ الْأَذَى دَفْعُ الْأَذَى
- ٨ - يَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ بِمُرُزْنِ بِهِ وَإِنَّمَا هُنَّ سَلَالِيمُ الرَّدَى
- ٩ - يَغْمِسُ فِي الْعَصِيَانِ كَفًّا مُلِئَتْ مِنْ نَعَمٍ تَكْثُرُ أَعْدَادُ الْحَصَى
- ١٠ - يُعْجِبُهُ نَمَاءُ مَا يَمْلِكُهُ وَهُوَ بِنَقْصَانِ الْحَيَاةِ مَا نَمَى
- ١١ - وَيَنْدُبُ الْمَوْتِ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَأَنَّهُ مِمَّا أَتَوْهُ فِي حِمَى
- ١٢ - لَا يُطِيرَنَّكَ مَا تَرَى مِنْ نَعَمٍ فَعَنْ قَلِيلٍ لَا تَرَى مَا قَدْ تَرَى
- ١٣ - كَانَ مَا يَمْضِي مِنَ الدُّنْيَا مَضًى وَأَنَّ مَا يَأْتِي مِنَ الْمَوْتِ أَتَى

- ١٤- فارحل إلى الأخرى بزاد من ثقي فإتما الزاد إلى الأخرى الثقي
 ١٥- هل يتفع العيش بغير صيحة أو تكمل الصيحة إلا بالغنى
 (الدر الفريد ٣٧٢/٥ ، الثاني في ١١٤/٢ ، السادس في ٢٨٦/٤ الثالث عشر في ٣٦٦/٤)

مصادر البحث ومراجعته

- أبو هلال العسكري وآثاره في اللغة : علي كاظم مشري ، رسالة ماجستير بكلية الآداب بجامعة بغداد ١٩٨٤ .
- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية : بدوي طبانة ، مصر ١٩٥٢ .
- الدر الفريد وبيت القصيد : محمد بن ايدر ، ت ٧١٠ هـ ، مخطوطة مصورة ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، ألمانيا ١٩٨٨ - ١٩٨٩ .
- ديوان العسكري : جمع وتحقيق د. جورج قنازع ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٩ .
- شعر أبي هلال العسكري : جمع وتحقيق د. محسن غياض ، منشورات عويدات ، بيروت ١٩٧٥ .

آراء وأنباء

استقبال ثلاثة أعضاء عاملين في المجمع

في شهري تشرين الأول والثاني من عام ١٩٩١م تم استقبال السادة
الأساتذة :

الدكتور عبد الوهاب حومد .

الأستاذ جورج صدقني .

الدكتور عادل العوا .

في رحاب المدرسة العادلية موئل العلم والعلماء التي تطلع إليها مؤسسو
المجمع لتكون مقراً له ، لما لها من ماض عريق يزهو على التاريخ ، وأصالة
عربية مجيدة في سالف الدهر ، إذ نزل بها أكابر العلماء ، وتردد في أبنائها
وقاعاتها ابن خلكان وابن خلدون والتاج السبكي وغيرهم من الأجلاء
الذين عمروها وعمرت بهم .

وفي خريف هذا العام حين تخترق الثمار وتؤتي أكلها ، يختار مجمع
دمشق هذا المكان الجليل مقر المجمع السابق ليكون مكاناً لاحتفالاته في
استقبال أعضائه الجدد .

ويسعد مجلة المجمع أن تنشر على صفحاتها الكلمات التي أُلقيت في
هذه الاحتفالات وهي غنية بأمارات الترحيب والإكبار التي استقبل بها
الأعضاء الزملاء ، مفصحة عن كفاياتهم العلمية التي يتحلون بها والأعمال
الجليلة التي اضطلعوا بها :

حفل استقبال

الزميل الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ٧/٥/١٤١١هـ = ٢٤/١١/١٩٩٠م (الدورة الجمعية ١٩٩٠ - ١٩٩١م) الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغل بوفاء الأستاذ الدكتور شكري فيصل . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٥) تاريخ ١٤/١١/١٤١١هـ = ٢٧/٥/١٩٩١م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور حومد في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٨ ربيع الآخر ١٤١٢هـ / ١٦ تشرين الأول ١٩٩١م حضرها نخبة من رجال الفكر والعلم والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحضور وشكرهم على مشاركتهم الاحتفال بالعضو الجديد وهنا الأستاذ الدكتور حومد بثقة زملائه الجمعيين يعرضهم ويؤازرهم في مسيرتهم لبلوغ العربية مكانتها العالمية السامية .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص عضو المجمع كلمته في استقبال زميله الجمعي نوه فيها بمزاياه العلمية والخلقية وذكر طرفاً من سيرته .

ألقى بعد ذلك الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور شكري فيصل .
ونشر فيما يلي كلمات الحفل .

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم

أرحب بكم أجمل الترحيب وأطيبه ، وأشكر لكم مبادرتكم الخيرة بحضوركم احتفالنا الذي نقيمه احتفاءً باستقبال الزميل العزيز الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد .

وإنها لمناسبة نجدد بها العزم والتصميم أن نؤدي حق المجمع علينا ، وأن نتابع رسالته في تعزيز العربية المينة ، والكشف عن أسرارها وخصائصها ، ومد سلطانها لتكون أداة التعبير والبيان في جميع ميادين المعرفة في وطننا العربي الحبيب .

إن اللغة والأمة توأمان لا يفترقان . ومن كلمات هررد : « إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين » ، « إن روح الشعب يكمن في لغة الآباء والأجداد » ، « إن قلب الشعب ينبض في لغته »^(١) .

ولقد وعت الحكومة العربية التي قامت في دمشق في أعقاب السيطرة العثمانية مكانة اللغة وجيل شأنها في حياة الأمة ، فسعت السعي الحثيث لتعيد للغة العربية شبابها ورؤاءها ونصاعتها، بعد أن طال انزواؤها في العهد

(١) ما هي القومية لساطع الحصري : ٥٦ .

العثماني . وكان مجمع الخالدين من بواكير مؤسساتها ، أقامته (في ١٩١٩/٦/٨ م)^(٢) ليفسح للعربية الميادين الرحاب في شتى فنون المعرفة ، ويدراً عنها العجمة واللحن فتستقيم على نهجها اللاحب .

ونفض المجمع بالمهمة ، أداها على خير ما يكون الأداء ، وبذل أعضاؤه الخالدون الطاقة والوسع ، ليكشفوا عن أساليب العربية وطرائقها في وجوه التعبير وتأدية المعاني . وشاركوا في تعريب التعليم العالي حتى رسخت قدمه في بلاد الشام ، وغدا قدوة ونموذجاً ، وخطوا الطريق إلى سيادة العربية في بلدها ، فكانوا النواة الطيبة ، والحبة التي أنبتت سبع سنابل ، فتلاحق بهم من خلفهم زملاء لهم أسسوا المجمع في القاهرة وبغداد وعمّان ، وتكاتف كبار العلماء الحراص على العربية في أرجاء الوطن العربي ، وتعاونوا جميعاً لتصبح العربية لغة العلم والحياة ، تستجيب لما يراد منها ، وتعبّر عن مختلف علوم العصر ، فتجيد التعبير وتحسنه ، إيماناً منهم جميعاً بالألا تقدم للأمم ، ولا قوام لها ما لم تصطنع لسانها العربي تفصح به وتبين عن كل ما يتناوله الفكر ، أو يهّجس في النفس والضمير .

وإذا كان لنا أن نغبط بما قدم العلماء الرواد ، وبما حققته العربية من ازدهار في شتى الميادين فإن الهجمة الشرسة على العربية وبيانها لم تقف ، وإنها لتصطنع أساليب جديدة ، وطرقاً منكراً ملتوية ، فيها الكثير من المكر والكيد والذكاء تتستر بها ، تريد أن تقضي على هذه اللغة التي ما زالت العاصم لأبناء العروبة أن تعصف بهم ربح الشتات ، وتتوزعهم يدُ الفرقة .

إن أمثال هذه الدعوات الغريبة لن تزيدنا إلا قوة ومضاء ، وإننا لتطلع بتفاؤل وأمل إلى اليوم الذي تبسط فيه العربية سلطانها في كل ميدان ، وفي ميادين التعليم العالي خاصة ، وتخفت كل نامة ضالة مضللة .

(٢) تاريخ المجمع العلمي العربي لأحمد الفتيح : ٧ .

لا يسعني إلا أن أستمطر شآبيب الرحمة لأولئك الفرسان الرواد الذين رفعوا راية العربية مشرعة ، وأعلوا منارها ، وقضوا ، بعد أن أرسوا الدعائم ، وهيثوا مَنْ يحسن خلافتهم في الذود عن العربية . وهاهو ذا المجمع ، وقد نضا الثانية والسبعين من عمره ، يمضي إلى غايته أشد ما يكون فتاءً وعنفواناً ، تظلل أعضائه راية العربية المبينة ، يتداولونها كابراً عن كابر ، ويسلمها سابق إلى لاحق ، يقوم مقامه في حمل الأمانة .

ونستقبل اليوم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد فارساً معلماً يحل محل سلفه الأستاذ الدكتور شكري فيصل رحمه الله الرحمة الواسعة . لقد تمَّ انتخاب الأستاذ حومد عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع في دورته الجمعية ١٩٩٠ - ١٩٩١ م (التي عقدت في ١٤١١/٥/٧ هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤ م) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٥ (في ١٤١١/١١/١٤ هـ = ١٩٩١/٥/٢٧ م) بتعيينه^(٣) .

وإننا لنهنئ الأستاذ حومد ثقة زملائه المجمعين به ، واختيارهم له زميلاً عزيزاً يعضد إخوانه ويؤازرهم في مسيرتهم ، يسعون معاً لتبلغ العربية مكانتها العالمية السامية ، لا تقصّر عن مدى .

لقد تعددت مواهب الأستاذ حومد ، فجلى في الميدان العلمي ، وجال في ميادين السياسة ، وتولّى المناصب العامة فكان نائباً ووزيراً مراراً . ولقد أحب الأستاذ حومد العربية وبرّز فيها ، وأكّـب على الحقوق دراسة وتدرّساً حتى بلغ الغاية في القانون الجنائي ، وطبعت مؤلفاته في هذا الباب طبعات عدة .

فأهلاً بك ، أيها الزميل العزيز ، في رحاب مجمع الخالدين ، تعمل

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٦ ، ج ٣ ، ص ٥٧١ (تموز ١٩٩١ م) .

وتدأب مع إخوانك ، لتظل راية العربية سامية .
ويسعدني أن يتقدم الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص عضو
المجمع فيلقي كلمة المجمع في استقبال الزميل الكريم ، ويعرض لمعاً من
سيرته ومناحي نشاطه ، ليعقبه الأستاذ الدكتور حومد فيتحدث عن سلفه
الأستاذ الدكتور شكري فيصل ، فيبسط سيرته ، ويجلو نفائسه .

خطاب الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

في حفل استقبال الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

أيها السيدات والسادة :

يستقبل مجمع اللغة العربية في هذه الأمسية أخصاً كريماً وأحد رجالات هذا البلد البارزين هو الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد .

وقد جرى المتحدثون الذين يقدمون شخصية معروفة إلى الجمهور على القول إن الرجل غني عن التعريف ، وأنا أخالفهم في هذه السُّنة فأقول إن الدكتور حومد ليس غنياً عن التعريف ، وليس ذاك لأن جمهور المواطنين لا يعرفه ، فهو من أعلام الباحثين ورجال القانون في قطرنا العربي السوري ، وإنما لأن الجمهور لا يعرف من الرجل إلا ما يتصل بحياته العامة وعمله فحسب ، ولكن ثمة جوانب أخرى يجهلها الناس تتصل بخلاله وحياته الاجتماعية وصلاته بذويه وإخوانه. وسأتحدث هنا عن هذه الجوانب بالقدر الذي يتسع له الوقت المحدد لهذه الكلمة .

وأودّ أولاً أن أعبر عن سعادة أعضاء المجمع البالغة باستقبال الأخ الكريم الدكتور حومد وانتائه إلى هذه المؤسسة التي جعلت وكدها العناية بلغة الضاد وبتراث العربية الخالد ، ولا يخامرهم الشك في أنهم سوف يفيّدون من انضمامه إلى أسرّتهم أعظم الفائدة لما عُهد فيه من النشاط الوافر والغيرة على اللغة العربية والتعمق في العلوم القانونية . ولعلّ كثيراً من الناس

يجهلون أن الدكتور حومد بدأ حياته أديباً ثم اتجه إلى الدراسة القانونية ، ولكن النزعة الأدبية لم تفارقه فاجتمع في شخصه رجل القانون والأديب .

ولد الدكتور حومد عام خمسة عشر وتسعمئة وألف بمدينة حلب الشهباء ، وبعد أن أتم المرحلة الابتدائية تابع دراسته في المكتب السلطاني ، وهو يومئذ الثانوية الوحيدة في حلب ، ونال في ختامها شهادتي الثانوية العامة الأولى والثانية وشهادة دار المعلمين ، وقد أتاحت له الشهادة الأخيرة دخول سلك التعليم فعين معلماً ثم معيداً . وفي عام سبعة وثلاثين انتسب إلى معهد الحقوق بدمشق ونجح إلى السنة الثانية ، ولكنه لم يتم دراسته القانونية في دمشق إذ اشترك في العام التالي في مسابقة لإيفاد طلاب إلى فرنسا لدراسة الأدب العربي في جامعة باريس . وكانت فرنسا تفرض على وزارة المعارف السورية إرسال جميع بعثاتها إلى فرنسا مهما يكن اختصاص موفديها لحرصها على هيمنتها الثقافية ، وكانت أولى البعثات التي خرجت عن هذه السنة البعثة التي كنت والدكتور شاكر الفحام في عدادها ، فقد أوفدنا سنة اثنتين وأربعين إلى مصر بدلاً من فرنسا بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية .

حصل الدكتور حومد على الإجازة (الليسانس) في الأدب العربي عام أربعين وتسعمئة وألف من جامعة باريس ، على أن نفسه كانت تواقعة مع ذلك إلى دراسة العلوم القانونية ، فحصل في العام نفسه على دبلوم معهد العلوم الجنائية ، وفي العام الذي يليه حصل على الإجازة في الحقوق . وهنا أصبح الدكتور حومد على مفترق طريقين كان عليه اختيار أحدهما : إما أن يتابع دراسته الأدبية التي أوفد من أجلها ، وإما أن يسلك سبيل رجال القانون فيتابع دراسته القانونية التي بدأها في دمشق ، — وقد حالت ظروف الحرب العالمية الثانية دون عودته إلى دمشق بعد حصوله على الإجازة فأتاح له ذلك متابعة دراسته للحصول على الدكتوراه — ، وما لبث أن حسم

الأمر باختياره الطريق الثاني فأعد أطروحة في العلوم الجنائية نال بها درجة الدكتوراه عام أربعة وأربعين .

والدكتور حومد لم يفصح لنا عن دوافع إثاره القانون على الأدب ، ولعلّه آنس في نفسه الرغبة في إنصاف من ينالهم الأذى والوقوف في جانب من تغتصب حقوقهم ، وهي نزعة لازمتها طوال ممارسته مهنة المحاماة وتتصل اتصالاً وثيقاً بخياراته الوطنية والقومية التي اتجه إليها بعد إنجاز دراسته القانونية . بيد أن اختياره الدراسات القانونية لم يبلغ ميوله الأدبية القوية الجذور في نفسه ، فسجل رسالة دكتوراه عن حافظ إبراهيم في جامعة باريس ولكن لم يتح له إنجازها ، فقنع بمتابعة مطالعته الأدبية وحفظ الكثير من الشعر العربي ، وأعانه على هذا الحفظ حافظته القوية ، وكان كثيراً ما يروي لنا في المناسبات الاجتماعية التي كنا نلتقي فيها جانباً من محفوظه الشعري أو يتحفنا ببعض الأحاديث الأدبية التي اختزنتها ذاكرته . وقد تجلّت موهبته الأدبية في كتاباته ومقالاته في مختلف الدوريات العربية .

بعد انطفاء نار الحرب العالمية الثانية عام خمسة وأربعين عاد الدكتور حومد إلى سوريا ليتولى تدريس الأدب العربي الذي أوفد من أجله في ثانوية حلب واستمرّ يتولّى هذا العمل لمدة عام ، وما لبث في العام الذي تلاه أن تخلّى عن تدريس الأدب ليتولّى تدريس المادة التي استأثرت باختياره ، فعين مدرّساً في كلية الحقوق بدمشق ، وتمت ترقيته بعد ذلك إلى مرتبة أستاذ مساعد فأستاذ كرسي الجزائيات ، على أنه انقطع عن ممارسة التدريس حقبة من الزمن من جرّاء تسريحه عام اثنين وخمسين لعدم أدائه التمين إبان حكم الشيشكلي ، ثم عاود التدريس في كلية الحقوق حتى عام تسعة وخمسين .

لم يكن الدكتور حومد خلال هذه الحقبة منقطعاً إلى التدريس وحده ، فإن خياراته السياسية دفعته إلى الانتماء إلى حزب الشعب الذي

كان مهده مدينة حلب فكان أحد أقطابه البارزين ، وقد رشح نفسه ممثلاً لهذا الحزب مرّات متعددة ، وتبوأ كرسي النيابة والعمل الوزاري كذلك مرّات متعددة قبل قيام الوحدة بين القطرين المصري والسوري ، فتولّى وزارة المعارف مرتين ووزارة المالية مرّة ، ووزارة الخارجية بالوكالة .

حينما قامت الوحدة بين القطرين عام ثمانية وخمسين وقف الدكتور حومد الموقف الذي أملته عليه عاطفته القومية فوقف إلى جانب المؤيدين لهذه الوحدة الحريصين على استمرارها ، وشارك في تلك الحقبة في تحمل التبعات التي نيطت به ، فتولّى وزارة العدل مدة سبعة أشهر في العام الأول للوحدة ، ثم عهد إليه بحقيبة وزارة الخزانة فنهض بهذه المهمة وأداها على خير وجه إذ جعل إنفاق الأموال وقفاً على ما فيه مصلحة الدولة والأمة . وبعد زهاء ثلاث سنوات تولّى وزارة التخطيط في القاهرة ولكن عمله في هذه الوزارة لم يطل بسبب انفصام عرى الوحدة بين القطرين بقيام حركة الانفصال أواخر عام واحد وستين . وقد ظلّ ولاؤه للوحدة قائماً طوال عهد الانفصال وانقطع عن التدريس الجامعي وانصرف إلى مزاولة المحاماة . وبعد انقضاء هذه الحقبة عاود نشاطه السياسي فتولّى وزارة المال حقبة قصيرة ودّع بعدها العمل السياسي وانصرف إلى التدريس الجامعي خارج القطر السوري ، فتعاقد أولاً مع جامعة الرباط ثم تعاقد بعد ذلك مع جامعة الكويت وظلّ يمارس التدريس فيها خمسة عشر عاماً ، وقد تولى أثناء تدريسه في هاتين الجامعتين رئاسة قسم القانون الجنائي فيهما .

وفي عام ثلاثة وثمانين رغب إلى جامعة الكويت عدم تجديد عقده على رغم إلحاح المسؤولين عليه فيها على الاستمرار في عمله لحرصهم على الإفادة من علمه وخبرته القانونية . وعاد بعدئذ إلى دمشق ولكن نشاطه لم يفتر فقد انصرف منذ عودته إلى البحث وتأليف الكتب وكتابة المقالات وإلقاء المحاضرات .

بالإضافة إلى ما بيّنت من نشاط الزميل الكريم في مختلف المجالات لا يفوتني أن أشير إلى مشاركته في عدد وفر من المؤتمرات القانونية والسياسية والأدبية أذكر منها على سبيل المثال مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في بلودان عام ستة وخمسين والمؤتمر الدولي لمكافحة الجريمة في جنيف عام خمسة وخمسين ومؤتمر الجامعة العربية المنعقد في القاهرة في العام نفسه والمؤتمر العالمي للقانون الطبي في بلجيكا عام تسعة وسبعين .

ألف الزميل الفاضل عدداً من الكتب القانونية يجاوز العشرة ، ومنها رسالة عنوانها : « الاعتداء على سلامة الدولة الخارجية » نال بها دبلوم القانون ورسالة موضوعها : « معاقبة الإجرام السياسي في التشريع المقارن » نال بها درجة الدكتوراه من جامعة باريس ، وقد نشرت في باريس وقدم لها الأستاذان هوغني Hugueney ودونيديو Donnedieu ، وقد طوّرت هذه الرسالة فيما بعد ونشرها بالعربية وجعل عنوانها : « الإجرام السياسي » .

ومن مؤلفاته القانونية كذلك كتاب « أصول المحاكمات الجزائية » ، وهو مرجع ضخم لا يستغني عنه المختصون في هذا المجال ، وظنّي أنه ما زال يُدرّس في جامعة الكويت . ونشر كذلك عام ١٩٨٣ كتاباً عنوانه : « دراسات معمّقة في الفقه الجنائي المقارن » وقد أثني عليه كثير من الباحثين في القانون ، قال فيه مثلاً الدكتور حسن صادق المرصفاوي عميد كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية : « مرجع ندر أن يوجد مثله في اللغة العربية ، وإنه يحتوي على علم سيستمرّ نوره لأجيال وأجيال » . وقال فيه الأستاذ أسعد الكوراني نقيب المحامين في حلب : « إنها دراسات فريدة في موضوعها في اللغة العربية ، ودراسة رائعة خليقة بالثناء المستطاب عن حق » .

وعلى أنني بعيد في تخصصي عن المجال القانوني فإنني قرأت أكثر فصول هذا الكتاب واستمتعت بها حقاً لأنها مما يتّصل باهتمامات المثقفين

عامة . فقرأت بعناية الفصل الأول الذي يتناول ظاهرة تفاقم الإجرام في المجتمعات المعاصرة والذي تحدث فيه عن أنواع الإجرام وموقف الباحثين القانونيين والاجتماعيين من الجريمة وتعريفها ، وأورد فيه آراء طائفة كبيرة من علماء القانون والاجتماع ، والفصل مزود بإحصاءات وافية تبين مدى تفاقم الجرائم في العالم . وأشهد أنني استمتعت بقراءة هذا الفصل واكتسبت منه اطلاعاً على جوانب كنت أجهلها . كما أنني قرأت الفصل الذي عقده لعقوبة الإعدام والخلاف الناشب بين رجال القانون وعلماء الاجتماع بشأن إبقائها أو إلغائها . وقد عرض فيه الزميل الكريم آراء الفريقين بموضوعية تامة ثم أدلى برأيه الخاص الذي يؤيد فيه إبقاء هذه العقوبة في التشريع لحين الحاجة إليها ، وهو يؤيد إلغاء عقوبة الإعدام في الجرائم السياسية باستثناء جريمة الخيانة العظمى للوطن ، ورأيه مقنع جدير بالتقدير . ومن الفصول التي قرأتها كذلك الفصل الذي عقده للقتل بدافع الرحمة (قتل المرحمة) وقد أورد فيه مختلف الآراء في هذا الضرب من القتل . وقد أعجبت كذلك بما جاء في الفصل الذي عقده لأصول تفسير القوانين الجزائية ووجوب تحري الدقة في تعريف مختلف ضروب الجرائم لتحاشي محاولة التلاعب في تطبيق القانون . ومن الأمثلة الطريفة التي ساقها على ذلك أن أحد المحامين طالب ببراءة موكله بائع الحليب الغشاش بحجة أنه لا يغش الحليب بالماء - كما ورد في نص القانون - وإنما يغش الماء بالحليب ، فهو يضع الماء أولاً ثم يصب الحليب فوقه .

ومن مؤلفات الدكتور حومد كذلك « المفصل في شرح قانون العقوبات » وهو مرجع ضخم يقارب عدد صفحاته الألف والمئتين ، وقد شرحت فيه النظريات العامة التي اشتمل عليها قانون العقوبات مدعمة بأحكام القضاء السوري والمقارن . ومن مؤلفاته كذلك كتاب : « الإجرام

الدولي « وهو يتضمن شرح الجرائم الدولية التي اكتسبت طابعها القانوني إثر محاكمات نورمبرغ وطوكيو والتي استهدفت سلام البشر ، ومنها الجرائم التي عرفت بجرائم الحرب ، وهو كتاب لم يؤلف في موضوعه أحد من الباحثين العرب .

وثمة مؤلفات أخرى تتصل بالقانون الجنائي المغربي وقانون الجزاء الكويتي . هذا فضلاً عن العشرات من المقالات التي نشرت في مختلف الدوريات العربية كمجلة « العربي » و « عالم الفكر » وهي تتناول موضوعات قانونية وأدبية وسياسية واجتماعية .

هذا تعريف موجز بالدكتور حومد الباحث القانوني ، بقي أن أتحدث عن حومد الإنسان والصديق ، فقد أسعدني الحظ بصحبته سنوات ، يوم كنا ندرس في جامعة الكويت ، وأشهد أنني نعمت بصحبته صديقاً وفيّاً ، حلّو المعشر ، عفّ اللسان ، كريماً مضيافاً ، يطمئن المرء إلى سمو خلقه وصفاء دخليته وكريم خلاله ، كما عرفت فيه الالتزام الصارم بواجباته المسلكية ، والتشبّث العنيد بالمبادئ الوطنية والخلقية التي انطوى عليها ، وهو لا يحيد عنها مهما تكن المغريات والمؤثرات ، فأنعم به أخاً فاضلاً وصديقاً عزيزاً ، وأهلاً به زميلاً مجمعيّاً كريماً .

خطاب الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

في حفل استقباله

بين يدي هذه الكلمة :

اسمحوا لي أيها السيدات والسادة :

- ١ - أن أعرب لكم عن خالص الامتنان لتفضلكم بحضور هذه
الأمسية ، تكريماً منكم لرجال العلم .
- ٢ - وأن أخص صديقي العزيز الأستاذ الدكتور محمد إحسان
النص بأصدق آيات الشكر والعرفان على كلمته الكريمة . وما قاله في شرف
لا أدعيه ، وثُمَّ لا أبرئ نفسي منها .
- ٣ - وأن أشكر أخي الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ، نائب رئيس
المجمع ، على ترحيبه الجميل بي .
- ٤ - وأن أوجه تقديري العميق للزملاء الأفاضل من أعضاء المجمع
الذين انتخبوني بإجماع أصواتهم لأكون واحداً منهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السيدات والسادة :

حين بدأتُ بقراءة مؤلفات المرحوم الدكتور شكري فيصل وأبحاثه الغزيرة ، لأتكلم عنه وفاءً بحقه عليّ ، حسبت أنني أجالس الصديق الهادي ، صاحب الطلعة الصافية والنظرات العميقة التي لا تكاد تخفي قلقها ، وصاحب الصوت الخفيض الناعم والتفكير السديد .. ولكن ما إن انتهيتُ من مطالعة ما ديجته يراعته ، حتى أدركتُ أنني على متن زورق فوق بحر محيط ، أنس إلى هدوء السطح وأحلامه فلما اجتذبتُه أولى الموجات عن شاطئ السلامة ، أخذ يُجسُّ بما في الأعماق من تلاطم تيارات وتصادم انفعالات ... عندها أحسست بجسامة العبء وثقل المسؤولية .. ولكن الذي أغراني بعدم النكوص على عقبيّ ، شعورٌ دفين بأنني لست غريباً تماماً عن هذه الأجواء الأدبية ، التي تقلبتُ في أحضانها زمناً ما ، قبل أن تنزعني من جناتها الوارفة وأنغامها الشجية ، صرامة القانون وتجهُّم قسامات مواده المستعصية ، التي لا تنشر الدفء دوماً في النفس ...

وأحب أن أعرفكم بحياة الدكتور شكري تعريفاً موجزاً ، لأن باحثين أخياراً من أخوانه كتبوا عنه وأجادوا بحيث وجدتني أتساءل : هل غادر الشعراء من متردم ؟ ثم أتبسط في تعريفكم على إنتاجه الغني ..

ولد الدكتور شكري - كما يتحدث عنه الدكتور عدنان الخطيب في دراسته عنه^(١) - لأب أصله من مدينة حمص ، هو المرحوم عمر فيصل ، جاء إلى دمشق قبل الحرب العالمية الأولى واستقر في حي العقبية وتزوج إحدى بنات الحي ، فولدت له المرحوم الدكتور شكري عام ١٩١٨ وكان أخوها من أفاضل المربين في دمشق ، وكان يدير مدرسة ابتدائية في حي المسكية . ومات أبوه وتركه وحيداً ، فامتدت إليه بالرعاية يد خاله ، فاحتضنه ونشأه في بيته وزوجه ابنته الأستاذة الفاضلة « أم معتر » . وقد بقي طيلة حياته يشعر بعاطفة من العرفان نحو هذا الخال ، وعبر بصورة حسية عن هذا الشعور ، فأهدى إليه كتابه الرائع « المجتمعات الإسلامية » بقوله :

« إلى روح خالي محدث الشام الأستاذ الشيخ محمود ياسين ، أهدى هذا الكتاب . فهو رُوح من رُوحه ، وعَبَق من عبقه ، وفاءً ببعض حقه وإيماناً بفضلته » .

وخصلة الوفاء هذه ظلت « فيضله » المميز طيلة حياته في علاقاته بأساتذته خاصة وبأصدقائه ... وكأنما لقي من بعض أصحابه ما لا يحب في بعض الأحيان ، فسالت مرارته على قلمه تشكو إلى الله تنكراً المتكرين ... وأتم دراسته الابتدائية في مدرسة معاوية ، ثم انتقل إلى مكتب عنبر وهو المدرسة الثانوية الوحيدة التي كانت إذ ذاك في دمشق . وقد تلقى العلم فيها من أساتذة أجلاء ، كانوا في تلك الأيام ملء السمع والبصر ...

وقد حصل على الشهادة الثانوية بقسمها العلمي عام ١٩٣٦ والفلسفي عام ١٩٣٨ وبذلك جمع بين الحسنيين : تنظيم العقل وتذوق الأدب ..

(١) الدكتور فيصل وصداقة خمسين سنة .

وانتسب إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة ، فحصل منها على الشهادات التالية :

- ١ - الإجازة في الآداب عام ١٩٤٢ بدرجة الإمتياز .
- ٢ - الماجستير في الآداب بدرجة جيد جداً عام ١٩٤٨ .
- ٣ - دبلوم معهد اللهجات العربية « قسم اللغات الشرقية » عام ١٩٤٩ .
- ٤ - الدكتوراه في الآداب بدرجة جيد جداً عام ١٩٥١ .

وعلاوة على هذه الشهادات الأدبية الرفيعة ، وجد رحمه الله وقتاً كافياً ليدرس الحقوق ، في كلية الحقوق بدمشق ، ويظفر بشهادتها عام ١٩٤٦ ، وهي السنة التي عينت فيها أستاذاً في هذه الكلية . وحين توثقت علاقاتنا بعد سنوات لم ينس أبدأ أن ينزلي في تعامله معي ، منزلة واحد من أساتذته !..

وقد أهلتة مؤهلاته العالية لتبوء كرسي الأستاذية في كلية الآداب بدمشق منذ عام ١٩٥٢ . ومن سدة هذا المنصب أخذ إشعاعه الأدبي يغزو قلوب طلابه في الكلية وأفئدة الأدباء والمتأدين المعجبين بقلمه وفكره من خارج الجامعة ، سواءً في محاضراته النفيسة التي كان يلقيها على رجال الأدب والعلم في المؤتمرات أو الحلقات أو الندوات ، أو ما كانت تنشره له المجلات الأدبية المتخصصة .

وقد مثّل سورية في مؤتمر الأدباء العرب الذي عقد في بلودان عام ١٩٥٦ ، وفي مؤتمر القاهرة عام ١٩٥٧ . وفي تلك السنة مثّل بلدنا في مهرجان أحمد شوقي ، وحاضر عن « نثره » ، كما مثّلنا في مؤتمر الأدباء العرب في الكويت عام ١٩٥٨ وألقى فيه محاضرة بعنوان :

« البطولة في الأدب العربي الحديث منذ سقوط بغداد حتى فجر النهضة الحديثة » .

وتعود بي الذاكرة إلى ذلك المؤتمر الأول للأدباء العرب الذي عُقد في بلودان عام ١٩٥٦ ، والذي كان أول مؤتمر يحضره المرحوم ممثلاً لبلده .. فقد كان عليّ أن أسمى أعضاء الوفد السوري ، بوصفي وزيراً للمعارف .. ولم تكن المهمة يسيرة : فقد كان في الوفد المصري طه حسين وأحمد رامي ويوسف إدريس وأمين السعيد وفي الوفد العراقي محمد بهجت الأثري وبدر شاكر السياب وفي الوفد اللبناني ميخائيل نعيمة وقسطنطين زريق .. وكانت السعودية ممثلة بخير الدين الزركلي ... وشُكل الوفد السوري من الأساتذة خليل مردم بك وفؤاد الشايب وبدر الدين الحامد وأسعد طلس ... وشكري فيصل .. وعدد من الأدباء .

ولم يتكلم في المؤتمر من الوفد السوري غير الأستاذ فؤاد الشايب عن « الأديب والدولة » والدكتور شكري فيصل الذي ناقش محاضرة الشيايب .. عن « وسائل تعريف العرب بتأجيل الحديث » .

وهناؤه على كلمته .. وكانت تلك مناسبة حلوة لتعارفنا الأول ... ويطول بي الكلام لو أنني عدت المؤتمرات والندوات الأدبية والثقافية التي حضرها .. على ما فيها من استفادة وإفادة ، ولكني أذكر أنه ظل ملحقاتاً ثقافياً مدة عامين في القاهرة عمل خلالها في الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية مع الأستاذ أحمد أمين والأستاذ ساطع الحصري ، وبعد عودته إلى دمشق ، عُيّن في لجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف . وكانت هذه اللجنة تخطط لبرامج التعليم وتراقب الكتب المدرسية .. وكنت أنظر إليها نظرة تقدير واحترام لأنها كانت الرأس التي ترسم للتعليم مساره في البلاد .

وهكذا فمنذ أولى درجات السُّلم كانت تنشط بالدكتور شكري الأعمال الحساسة ... وكان يقوم بأعبائها بكفاءة تدعو إلى الاعتزاز : وما الحداثة عن حلم بمناخ قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

ولم يقف إشعاعه الثقافي الفذ عند حدود الوطن الصغير ، فقد مَدَّ فيه بعيداً حتى عم أكثر بقاع الوطن الكبير ، وأتاح لأبناء جلدتنا من مشرق العروبة إلى مغربها أن ينهلوا من عطاء عبقريته . فقد حاضر كأستاذ زائر في جامعات فاس ووجدة ومراكش والجزائر وطرابلس واليرموك وعمان والرياض وبيروت والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .. وفي مقامه في جوار قبر المصطفى لقي ربه ودفن إلى جوار النبي الذي أحبه حباً أخذ عليه مجامع قلبه ، عام ١٩٨٥ ...

وقد عَرَفَتِ المحافلُ الثقافية قدره فاختر عضواً في مجمع اللغة العربية الأردني ، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان والمجمع العلمي العراقي وبيت الحكمة في تونس .. وكان واسطة العُقد في مجمعنا وأميناً لسره ...

وقد تفجّر من هذه الفعاليات الثقافية فيضٌ من الدراسات التاريخية الإسلامية ومجموعة نادرة من المؤلفات والأبحاث الأدبية والاجتماعية أُعْرِضُ لها دون أن أتعلم في مضامينها مراعاة للوقت ، فيما يلي :

أولاً - الدراسات التاريخية الإسلامية

درس الدكتور شكري « حركة الفتح الإسلامي » دراسة جديدة لا تقتصر على دراسة النصوص القديمة واختيار أفضلها والتعليق عليها ، كما يفعل المؤرخون في العادة .. لأنه اختار في دراسته طريقة حديثة متأثرة بأسلوب البحث العلمي الحديث . وقد أشار إلى هذا التجديد في مقدمة كتابه الثاني « المجتمعات الإسلامية » فقال :

« واستقر عندي أن موضوعاً يُعْرِضُ لدراسة الفتح الإسلامي وتكون غايته البعيدة أن يبلغ آثاره من حيث التطور اللغوي والأدبي في المجتمعات الإسلامية ، يجب أن يقوم على دعامتين : أولاهما من التاريخ نفسه والثانية

من علم الاجتماع وعلم الاجتماع اللغوي بوجه خاص .. وإني إن لم أفعل ذلك ، لم يكن الموضوع إلا تلاعباً بهذه الحفنة من الأخبار والروايات التي تُدير الحديث عنها كتب الأدب واللغة ... » .

وهكذا جاء كتابه التاريخي الأول « حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول » دراسة نفيسة لم تكتف بعرض قصص المعارك وسرد الانتصارات ، بل إنه خرج فيها من المجال العربي إلى الأفق العالمي فأخضع النصوص إلى ما يسير عليه العلماء المتطورون من تحليل واستقراء دقيقين .. وعلى سبيل المثال فإنه بحث في فتوح الشام موقفَ عرب الشام وموقف الروم وموقف النصارى من الحركة العسكرية الإسلامية القادمة من الجنوب . وانتهى إلى القول بأن « الحرب اتخذت شكلاً دينياً واضحاً .. وكان مما لجأ إليه الروم أنهم استشاروا مشاعر الجماعة الدينية واستثمروا في ذلك رجال الدين أنفسهم . والتفاصيل التي وردت في روايات بعض المؤرخين تُطْلِعُنَا على أن قواد الروم كانوا يُقَدِّمون أمامهم الشمامسة والرهبان والقسيسين يُغرون الجند ويحضونهم على القتال . ولا يختلف موقف نصارى الشام في مقاومتهم الفتح الإسلامي عن مقاومة الروم له . وهذا طبيعي كما يقول . فالإسلام دين جديد يدعو إلى غير ما تدعو إليه الديانة السائدة في الشام آنذاك ، وليس غريباً أن يقفوا في وجهه دفاعاً عن معتقداتهم الراسخة .. وإذن فليس هناك أهمية تذكر لما يقال عن خلاف بين الكنيسة السورية التي كانت تقول بأن للمسيح عليه السلام طبيعة واحدة ، وبين الكنيسة البيزنطية التي تؤمن بما أقره مجمع خلقدونية عام ٤٥١ ميلادية من أن للمسيح طبيعتين : إلهية وبشرية ...

ومن المؤكد فإن إثبات الحقيقة ، ولو كانت مرة المذاق ، أثنى في نظر العالم المتبذل من أحاديث المجاملة التي تدغدغ بعض الأحلام ، لأهداف غير علمية ولكنها تسيء إلى الحق والتاريخ ..

وعلى كل حال ، فإن كتاب « حركة الفتح الإسلامي » هذا ، دراسةٌ تهديدية لنشأة « المجتمعات الإسلامية » التي تشكلت بعد الفتح في الشام والعراق ومصر والمغرب العربي والشرق الإسلامي . وهو الكتاب الذي حصل به على درجة الدكتوراة في الآداب . وهذا الكتاب الذي يقع في ٤٥٠ صفحة طبع خمس مرات حتى تموز ١٩٨١ . وقد أخذ المؤلف رحمه الله على عاتقه أن يغوص في أعماق تلك المجتمعات الحديثة غوصاً رقيقاً واعياً ، لأن الإسلام لم يُحطَمْ نواميسها ونظمها وعقائدها وعاداتها ولم يقلبها رأساً على عقب بل سار فيها السير الواعي الذي أمر به الشرع في قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ وقوله ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ ؟ .

وقد تتبع حركة انتشار الإسلام المذهلة في أراضٍ متعطشة إلى نور المعرفة ، فجرت وراءها حركة تعريب واسعة . وواكبت حركة انتشار الإسلام ، حركة التعريب على نطاق واسع .. إلا أن هذه المواكبة اصطدمت في بعض المجتمعات الجديدة ، فقَصُرَتْ حركة التعريب عن حركة انتشار الإسلام . ومن خلال استقراءه الوقائع ، وجد المؤلف أن اللغة الفارسية قاومت اللغة العربية في بلاد الفرس مقاومة عنيدة . وقد أرجع فشل تعريب هذه البلاد إلى سببين : الأول أن المقاتلة العرب لم يكونوا يتجاوزون - يوم استُخِلَفَ سليمان بن عبد الملك عام ٩٦ هـ - على حد تقدير المؤرخ البلاذري ، وهو حجة موثوقة ، أربعين ألفاً من مقاتلة البصرة وسبعة آلاف من مقاتلة الكوفة وسبعة آلاف من الموالي . وكان مَنْ وراءهم من العرب في تلك البلاد لا يزيدون على أربعة أمثال هذا العدد .. وبذلك لم يكن العرب الموجودون في تلك البلاد يزيدون عن ربع مليون فقط ، في وسط تلك الامبراطورية الواسعة ذات الأمجاد الفارسية التليدة والمعتزة بماضيها .

والذي يتبع حركة التاريخ ، بعد الفتح الإسلامي إلى أزمنة متأخرة ، يلاحظ أن الفرس ظلوا على الدوام يرفضون الامتزاج بالعرب الذين اجتثوا قوتهم العسكرية في ميادين القتال ونشروا في بلادهم دينهم الجديد .. ومن مظاهر رفض الامتزاج ، أنه حين كانت غالبية العالم الإسلامي تدين بالمذهب الشيعي في ظل الدولة الفاطمية ، ومنها بلاد الشام ، كانت فارسُ سنيةَ المذهب ... فلما قضى الأتراك السُّنة على حركة التشيع بانتصارهم على المماليك عام ١٥١٦ ، عاد المذهب السني إلى بلاد المسلمين .. غير أن الصفويين الفرس غيَّروا من قناعاتهم وتبنوا المذهب الشيعي وفرضوه على أتباعهم بقوة الحديد ... لكي يظلوا مجتمعاً متميزاً عن المجتمع العربي ...

أما السبب الثاني في فشل تعريب فارس ، فهو انقسام الفاتحين العرب في فارس ، وتخاصُّمهم فيما بينهم ، الأمر الذي حملهم على الاهتمام بأمور أخرى غير التعريب ..

ومع ذلك ، فإن القرون التالية سوف تشهد فرساً استعربوا وأصابوا حظاً عالياً من الثقافة العالية والتأليف في مختلف علوم اللغة العربية ..

وليس بدعاً أن تأخذ اللغة العربية عن لغات الشعوب غير العربية التي أسلمت كثيراً من ألفاظها ، فانغمست بها ووسعت قاموس ألفاظها . كما أنه من طبيعة الأشياء أن يأخذ الفاتحون العرب من الشعوب التي أخضعوها كثيراً من عاداتهم وتقاليدهم بسبب المعاشة المشتركة ، بعد أن كيَّفوها وَعَدَّلُوا فيها لتنسجم مع أحكام الإسلام ، الذي أصبح دينَ الدولة .. وقد كان للزواج المُختلَط أثر كبير في ولادة أجيال جديدة ، تشرَّبَت الواقع الجديد ونشأت في أحضانه ، كما كان للسبي وعيش السبايا في بيوت الفاتحين العرب مثل هذا الأثر في تطوير العادات العربية .. وقل مثل ذلك عن عيش الجنود المقاتلة من عرب وغير عرب في ثكنات عسكرية عيشةً

مشتركة .. ويذكر التاريخ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وُفِّقَ توفيقاً كبيراً في عدم تقسيمه الأراضي المفتوحة بين الغزاة العرب باعتبارها من الفياء ، ولكنه - على حد قول الدكتور شكري - لم يوفق في الحد من اصطناع السبي ، خاصة وأن الإسلام شجع كثيراً على عتق السبايا وجعل ذلك قرين من الله ، واعتبر المحررات كالعريبات زوجات مؤمنات لهن ما لسائر الزوجات المؤمنات من حقوق كاملة ..

وكان من آثار هذا الإختلاط تسرُّب اللكنة الأعجمية إلى الألسنة . فالصاد مثلاً عسيرة اللفظ على الأعاجم ، فكانوا يلفظونها سيناً . فيقولون : (ما تسناً بدلاً من : ما تصنع ..) . وكانوا يخطئون في تركيب الجمل نفسها حتى تستعصي على الفهم . ويروي صاحب البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١٣) أن امرأة من الأعاجم قالت لولدها : « جردان دخل في عجان أمك » تريد أن الجرذ أكل من عجينا .. وهذا وضع طبيعي ولا عيب فيه ، فنحن حين درسنا اللغات الأجنبية ، كنا نرتكب مثل هذه الحماقات .. غير أن كثرة الأعاجم واختلاطهم القوي بالعرب ، أثرا في اللغة العربية أثراً سيئاً ..

وقد عرفت حركة الفتوح أدباً جديداً تَمَثَّلَ أكثرَ ما تَمَثَّلَ في تمجيد البطولات في خوض المعارك ورفع راية الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ونشر الدعوة .. ولكن حين تَدْخُلُ السيوف في أغصانها ، ويضمُّدُّ المقاتلون جراحهم في أرض الغربة يأخذهم الحنين في هدأة الليل إلى الأب والأم والزوجة والولد في أرض الوطن ، فيترجمون عواطفهم هذه بأبيات أو قصائد أخذت تعرف بشعر المواجد .

غير أنه بعد أن يتحقق النصر ويسود السلم ، عن رضى أو عن كره ، تكون الهجمة العسكرية قد حققت أهدافها .. عندها يأخذ المقاتل

بالاندماج في الحياة المدنية .. ويُخلدُ إلى راحة الأسرة ، التي أنشأها كثيرٌ من العرب في أرض الغرب .. وعندها تعود الشاعرية إلى القلوب تُحفِرُ في ثناياها مساربَ لينايع صافية تترقق على جنباتها شعراً غزلياً ناعماً متأثراً برقة البيئة الجديدة ، وهي على كل حال بيئة بعيدة عن بكاء الأطلال وبعر الآرام أو مراجيع الوشم في نواشر المعصم .. غير أن السياسة ما لبثت أن حركت عقاربها ، في صورة أشعار نظمها الفرق الدينية في الدعوة إلى مبادئها ..

ثانياً – المؤلفات الأدبية

في نطاق فعاليات الدكتور شكري الأدبية ، نجد كتابين من أجمل وأصفى ما ديجته يراعتة ، وهما :

١ – مناهج الدراسة في الأدب العربي .

٢ – تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام .

والى جانبهما نجد له :

٣ – أبحاثاً أدبية كثيرة .

٤ – تحقيق بعض الكتب القديمة ونشرها .

وسوف أتناول تباعاً وبايجاز هذه الأعمال في أربعة مباحث ، هي التالية :

١ – مناهج الدراسة الأدبية

خصص الدكتور شكري هذا الكتاب النفيس لدراسة « مناهج البحث في أدبنا العربي والطرائق التي غلبت على الدراسات الأدبية والنظريات التي تتحكم فيها من ورائها ، فتوجهها هذه الوجهة أو تلك » ، كما يقول .

ومرتكز بحثه أنه « خير للأدب أن ينطلق فيسعى إلى منهج جديد يضبط دراسته ويوحد وجهته ويجعله ينشد وجدانه في هذه المدارس الفنية

العميقة بدل أن ينشدها في مظاهر خادعة من وحدة العصر أو وحدة المنشأ والوطن أو وحدة الغرض والموضوع .. » .

والذي أقلقه وجعله يفكر في واقع دراسة الأدب العربي ، التي لا تزال ضئيلة الحظ من الثناء ، قليلة النصيب من النضج « أن الدراسات الإنسانية الأخرى تتقدم ... أما درس الأدب فلا يزال في مكانه من البساطة حيناً والغموض حيناً آخر ... » .

وعلة هذا التأخر ترجع إلى فقر المناهج .. ومن هذا المنطلق خصص هذا الكتاب لدراسة ست نظريات تعاورت دراسة الأدب العربي حديثاً ، لكي يخلص من هذه الدراسة الشاملة إلى المناداة بطريقة جديدة أخذت عليه مجامع قلبه ..

وفيما يلي نظرة موجزة في هذه المدارس مستقاة من دراسة الدكتور شكري :

١ - النظرية المدرسية

وهي تقسم الأدب العربي إلى خمس مراحل متطابقة مع تقسيم العصور السياسية . وأبرز ممثليها أحمد حسن الزيات والشيخ أحمد الإسكندري . وبموجبها يقسم الأدب العربي إلى عصر الجاهلية وعصر صدر الإسلام والدولة الأموية وعصر الدولة العباسية بما فيه الأدب الأندلسي ، وعصر الدول المتابعة ، وربما تُخصَّص عصر النهضة الأخيرة بتسمية مستقلة .

ويأخذ الدكتور شكري على هذه المدرسة أنها تربط بين السياسة والأدب وتعلي كثيراً من شأن العامل السياسي . كذلك فإنه يلومها على هذه المطابقة غير الصحيحة بين العصر السياسي والتيار الأدبي الذي لا يمكن أن يُحدَّد ببدء عهدٍ سياسي وانقضائه .. لأن الأدب لا يمكن أن يكون ظلاً لنوازع السلطان وأصحابه .. وإذا كان صحيحاً وميسوراً أن نقول إن الدولة العباسية قامت عام ١٣٢ هـ ، فإن من الصحيح أيضاً أن

نقول إنها كانت في أذهان بني العباس منذ أن اختلف المسلمون في سقيفة بني ساعدة واستمرَّت حية في قلوبهم حين اشتبكت قوات علي ومعاوية .. وإذن فعام ١٣٢ هـ . ليس أكثر من الميلاد الرسمي للدولة العباسية ، وهو تاريخ لا يمكن أن تلتزم به الدراسة الأدبية ، كبداية عهد جديد للأدب ..

كذلك يؤخذ على هذه المدرسة تشبثها بالعامل الزمني ونسيانها أثر العامل المكاني . وهو فرق نلمسه في التباين بين شعر البادية وكتبان الرمال والدَّمن وبين الشعر المتردد في جنان الشام وأرض السواد ودجلتها وأنفاس الحضارة في بساتين قرطبة ووادي آش ..

وقد نبذ المؤلف هذه النظرية لأنها أصيبت بالجمود ووقفت بالدراسة الأدبية عند القمم الشائخة من كل عصر ، دون أن يكون للمقلين كبير نصيب من الدراسة والاهتمام .. في حين أن دراسة واحد من المقلين النوابغ تكشف حسب تعبير الدكتور شكري « عن كثير من الخبيء المستغلق في تاريخنا الأدبي » .

وإذا كانت هذه النظرية قد أدت خدمة جلى لدراسة الأدب ، بأن أقامت له بنياناً كان جديراً بالإعجاب : فإن من حق التطور أن يسعى إلى إقامة بنيان جديد على أنقاض بنيان لم يصمد لضربات الفكر ، يكون من شأنه تفادي عيوب النظرية المدرسية .

٢ - نظرية الفنون الأدبية

يسدو أن أول من حاول بذر بذرة هذه المدرسة ، المرحوم جرجي زيدان . وقد كان هذا البَحّاث الكبير طليعة أصحاب النظرية السابقة ، غير أنه عمد في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » إلى تبني أسلوب غير أسلوب التقسيم التاريخي ، ويعتمد الأسلوب الجديد - أو النظرية الجديدة - إلى اعتماد تقسيم النشاط الأدبي على مواضيعه أي فنونه المختلفة ، كالحماسة

والغزل وشعر الطبيعة والفخر والهجاء والتصوف ... وحين ندرس واحداً من هذه الفنون فإننا نكون ملزمين حكماً بدراسة المشاهير الذين نبغوا في هذا الفن ، وكذلك الأدباء الذين لم ينالوا درجة عليا من الشهرة ، حتى يتاح للباحث الإحاطة بجميع عناصر هذا الفن ويستوفيّه . وبذلك ينال المغمورون حقهم من الدراسة ...

ولكن الدكتور شكري يأخذ على هذه النظرية أنها تهتم بالفن ، وتهمل الفنان ، أي الشاعر أو الناثر ، فلا تُعنى بشخصيته أو سيرته الذاتية بصورة مقبولة ..

كذلك فإن الشعر القديم لم يكن يعرف وحدة القصيدة ، إذ كان الشاعر يجمع في قصيدة واحدة مجموعة من الفنون المتعددة المواضيع ، مثل البكاء على الأطلال ومدح الجواد ووصف الحرب وأبطالها وآثارها المدمرة .. والفخر بالقبيلة . ودم المناوئين .. وربما ضمنها أيضاً بعض مواعظ استقاها الشاعر من حياته الطويلة وخبرته العملية ...

ولم يستقم أمر هذه النظرية ، فقال قائلون بنظرية أخرى ، هي :

٣ - نظرية الجنس

مرتکز هذه النظرية أن العرب حملوا راية الإسلام من جزيرتهم إلى بحر الظلمات فأكناف الصين .. كما حملوا إلى هذا العالم الفسيح اللغة العربية .. وكان في هذا العالم أقوام أخرى ، كانوا موجودين في أماكنهم قبيل الغزو الإسلامي وهجرة الفاتحين العرب إليهم .. وأسلم كثيرون من أبناء هذه الشعوب وساهموا في بنیان الحضارة الإسلامية .. منهم عن قناعة ومنهم عن مصلحة ..

ويشهد التاريخ على أن هذه الشعوب لم تُدب في البوتقة العربية ، بل ظلت تحتفظ بجذورها وكثير من رواسبها النفسية والثقافية والمذهبية ..

ومن منطلق هذه الفوارق العرقية ، دعا بعض الباحثين إلى دراسة الأدب العربي على أساس الأجناس .. فندرس الأدب العربي الذي تفرد به الأدباء العرب ، وندرس الأدب العربي الذي صاغه الأدباء الفرس بالعربية ..

ولم تظفر هذه الدعوة باستجابة جدية ، لأنها تنطلق من مفهوم غامض هو أثر الوراثة العرقية في النتاج الأدبي .. كذلك فإن الإسلام ساوى بين المسلمين في الحقوق والواجبات ، ولم يضيق في الزواج على عرق دون آخر .. فالمسلمون عدول يسعى بذمتهم أدناهم .. وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى .. وقد اندمج المسلمون بعضهم في بعض اندماجاً واسعاً ، بحيث لم يعد ميسوراً القول بوجود شاعر من عرق صاف ، وآخر من عرق هجين .. فقد تصالبت الأعراق تحت لواء الإسلام ، وأخذ قول الرسول الأعظم مداه الأوسع مع مرور الزمن : « يا بني هاشم لا يأتوني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم .. » .

٤ - واستعرض الدكتور شكري بعد ذلك النظرية الثقافية ، التي تتطلب دراسة الأدب العربي بعد أن امتزجت الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية كالفارسية واليونانية والهندية .. ومن أبرز نماذجها امتزاج الثقافة العربية والثقافة الفارسية في عبد الله بن المقفع ، وامتزاج الثقافات العربية والفارسية واليونانية في الجاحظ .. فقد حذق كثير من الأدباء ، وخاصة الفرس منهم الأدب العربي والأدب الفارسي ، فجمعوا بين محاسن الثقافتين . وهكذا نشأ أدب جديد يحمل خصائص مشتركة ومزايا جديدة ، هي أثر لهذا التزاوج الثقافي .

وينقل الدكتور شكري هذه الواقعة المعبرة . قال : يروى أن الرشيد أوصى أستاذاً أبنائه الكسائي بما يلي : « يا علي بن حمزة : قد أحللتناك الخلل

الذي لم تكن تُبْلَغُهُ همتك ، فروّنا من الأشعار أعفّها ومن الأحاديث أجمعها لمحاسن الأخلاق ، وذاكرنا بآداب الفرس والروم .. » . مما يعني أن دراسة الأدب يجب أن تُعنى عناية خاصة بدراسة الثقافات المختلفة التي تعاونت على الإنتاج الأدبي .

ونظن أن هذه النظرية تأخذ اليوم مداها الواسع في اختلاف المناهل الأجنبية التي ينهل منها أدباؤنا ومفكرونا أثناء دراساتهم في الجامعات الأجنبية . فجماعة السوربون يتحسسون برقة الأدب الفرنسي وجماعة اكسفورد يتذوقون عذوبة الآداب الإنكليزية ، والذي درسوا في جامعات الاتحاد السوفيتي يستطيعون كتابات تولوستوي وديستوفسكي .. وهؤلاء وأولئك ينقلون إلى بلادهم وتلامذتهم روائع ثقافتهم الأجنبية .. وعن التفاعل الثقافي بين الثقافات المتعددة ينشأ أدب منفتح على أرجاء الأرض ..

ومع ذلك فإن الدكتور شكري لا يستمسك بهذه النظرية ، لأن التركيز في نظره على تضافر الثقافات يظل ناقصاً لأنه يتشبث بالقوالب المادية ويهمل شخصية الأديب ونفسيته . ومن أبرز عوامل الشخصية ، العاطفة والخيال . فهي نظرية تظلم الأديب « لأنها تهدر أثره الفردي في الإبداع الفني » .

وإذن فالنظرية الثقافية تصلح لدراسة تطور الحضارات واستقراء عناصرها المتمثلة في تزاوج الثقافات ، ولكنها لا تصلح وعاءاً لدراسة الأدب بصورة عامة ، والأدب العربي بصورة خاصة ...

٥ - نظرية المذاهب الفنية

هذه نظرية مغرية ، موضوعها دراسة الأدب العربي وفق اسس الناحية الفنية التي تسود في عصر من العصور الأدبية .

قابن رشيق مثلاً ، وهو من قدماء مؤرخي الآداب ، حاول أن يصنف الشعراء في أربعة زمر :
شاعر خنثيد ، وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره .

وشاعر مُفْلِق ، وهو مجرّد إلا أنه لا يروي لغيره .
وشاعر فقط ، وهو فوق الرديء بدرجة .
وشعرور ، وهو لا شيء .

ويأتي من المعاصرين الدكتور طه حسين ليبرز هذه المدرسة في كتابه الأدب الجاهلي . فهو يدرس زهيراً وأوس بن حَجَر والحطيئة وجميل بن معمر ، ويرى أنهم يشكلون مذهباً فنياً واحداً ومتكاملاً ، وخاصة هذا المذهب أنه يهتم باللفظ الرصين ويعتني بالأسلوب المتين ويجوّده ويحفل بالعناصر المادية للتشبيه ..

ويمكن الاستفادة من هذه المدرسة في التعرف إلى الشعر المنحول . وهذا أمر مهم جداً ، لأن الشعر العربي لم يُدوّن إلا بعد حياة الاستقرار ، بعد الفتوحات الكبرى .. وحين بدأ التدوين تدخلت العصبية القبلية والعصبية الشعبية لاختلاق شعر مكذوب ينسبه مخترعوه إلى شاعر من الشعراء القدامى ..

فإذا طبقت النظرية الثقافية على شخصية شاعر وعرف الباحث عناصرها الإبداعية والفكرية ، جاز لنا أن نقول عن أبياتٍ إنها من شعره أو أنها منحولة عليه . ولكن هذا القول يصح من الناحية النظرية . أما من الناحية العملية ، فالجزم بنسبة الشعر إلى الشاعر لا يخلو من مجازفة غير مضمونة !.. ثم إنها كما ينتقدها الدكتور شكري تجازف بأن تنقلب الوسيلة عندها هدفاً والهدف وسيلة ، فتصنف المدارس الأدبية أولاً ثم تحاول أن

تقيس بها الأدباء ثانياً وبذلك تنقلب إلى عمل خيالي فيه مجال كبير للظن ..

وهذا سبب يكفي للتغلي عنها والبحث عن منهج آخر ، أو نظرية أخرى ، هي :

٦ - النظرية الإقليمية

ومؤداها أن تدرس الآداب ، لا ككل في البلاد الناطقة بالعربية ، وإنما وفق التقسيمات الإقليمية ، فهناك الأدب المصري ، والأدب السوري والأدب المغربي . فمثلاً أحمد الإسكندري قسم دراسة الأدب العربي إلى قسمين :

حالة اللغة العربية وآدابها في الممالك الشرقية .

وحالتها في الممالك الغربية .

ويقول جرجي زيدان : « من القواعد الثابتة في علم الطبيعة أن للإقليم تأثيراً في أخلاق الناس وأبدانهم فيختلفون صحة ونشاطاً وبديهة وذكاء باختلاف الإقليم .

وبناء على اختلاف الأمزجة باختلاف الإقليم فقد امتاز كل اقليم من بلاد العرب بباب من أبواب الشعر . فاشتهر أهل الحجاز بالركة وأكثر شعرهم الغزل ، واشتهر أهل نجد بالبلاغة ، وقد ذهبوا في الشعر كل مذهب .. » .

وعلى هذا الأساس قسم الشعراء إلى سبعة أقسام بحسب مواطنهم :
شعراء مصر والشام والعراق والجزيرة وفارس والأندلس والمغرب وجزيرة
نعمرب .

وكان من حظ الدكتور شكري أن الذي أشرف على رسالته هذه ساذ عرف بتشده الإقليمى هو الأستاذ أمين الخولى . ولكن عناد الأنا

لم يستطع لي زند الطالب ، فكان أن تابع الدكتور شكري سيره في نظره القومية إلى الأدب العربي .

وللأمانة فأنا علّمت طيلة حياتي أهمية البيئة الإقليمية في حركة الإجمام بعد أن استهوتني لفترة نظرية الوراثة .. ولكن شتان بين الانحراف الخلقي من البيئة الفاسدة ، وبين حركة ابداع منطلقة من روح شاعرية تتحسس بالواقع دون شك ، ولكنها تظل تحوم في الأجواء العليا ، التي هي مواطن الوحي والإلهام ..

وتعود النظرية الإقليمية في جذورها الأدبية إلى الفرنسي الأستاذ Taine ، ومنطلقها قاعدة مادية هي أن لكل واقعة سبباً ، ولكل نتيجة مقدمة . ولكن إذا صح تفسير القوانين المادية بهذه الحتمية المترتبة ، فإن في الحياة الأدبية نوازع وأخيلة وعواطف وإلهامات تمرد على كل القيود والقوالب المادية .. وفي أيامنا نجد بروز نظرية نفسية في تحليل الإجمام ، إلى جانب نظرية البيئة التي يرفع لواءها عالياً الأستاذ الأمريكي سذرلاند .. وإذن فالعناصر الذاتية تبقى في حياة الأدب أقوى المؤثرات الإبداعية ...

ونحن الذين نشأنا على الإيمان بوحدة العرب ، نشعر بشيء من الصدمة والإمتعاض حين يراد أن يفرض على مشاعرنا مفهوم إقليمي لا يمكن أن تستسيغه نفوسنا .. وعلى أساس هذه النظرة ، قلب الدكتور شكري ظهر المجن لهذه النظرية أيضاً ..

إذن ، طالما أن كل هذه النظريات التي عرضنا لها لم تقنع المرحوم ولم تقنعنا من بعده أيضاً ، فهل يجب أن تظل دراسة الأدب بدون منهج مقبول تسير عليه ؟ والجواب ! أبداً .. لقد نادى الدكتور فيصل بمنهج جديد ، خصص له القسم الأخير من كتابه .. وقد أوجز تعريفه له بقوله : « وحدة في الهدف وكثرة في الوسائل » .

وهذا المنهج يدعو إلى الاستفادة من النتائج التي وصلت إليها المدارس السابقة والحقائق التي توصلت إليها .. بحيث إنها تتعاون وتتضامن تضامناً مشمراً ، دون أن يخلط المنهج الجديد بين تلك المدارس أو يمزج بينها مزجاً أعمى ..

وهو يُبقي على كل نظرية ، ويعمل على الانتفاع بما حققته ، مع بقائه مخالفاً لها في الأصل ..

وهو يعترف بأن هذا « المنهج الجديد » ليس منهجاً جديداً كل الجدة « ولكنه هذا التفاعل الذي تحققه المناهج المختلفة بعد توجيهها ولفتها هذا اللفت الخاص والخروج بها من منطقة الاستثثار الضيق بالدراسة الأدبية ، إلى منطقة التعاون الواسع » (ص ٢٢٦) .

« ... إنه نوع من التركيب الذي يعتمد الإبداع وأسلوب الجمع الذي يستند إلى الخلق » .

ولست أدري إذا كانت المناسبة مواتية هنا ، لأتساءل : عما إذا كان الدكتور شكري يدعو إلى مذهب انتقائي بين المذاهب الأدبية *éclectisme* نحن نبناه في نطاق العلوم الجنائية ، وقد علّمناه في الجامعة قرابة نصف قرن خاصة بعد أن استقرت النفس وهدأت ثورة الشباب وجموحه ...

وهذا ما انتهى إليه :

« نحن نرحب بدراسة أثر الأقاليم الإسلامية في أدبها .. ونحن نفرح بالتعرّف الصادق إلى خصائص الجنس عند شاعرٍ أو كاتب .. ونحن نُكبر دراسة الثقافات وتفاعلها وما أُلْقَتْ على الأدب من ظلال وما أَعْدَتْ عليه من فكر . ونحسُّ لذلك الأثر في نشأة مذاهب فنية جديدة ، ونحن نتناول الدراسة الزمنية وما يكون من هذه الصلة بين الشعر والسياسة .. ومن هنا لم يكن المنهج الجديد قسماً للمناهج السابقة ولا خصماً لها ، ولكنه توجيهية

وتتوَّجُّ لها وتركيَّب يدع النتائج التي تصل إليها .
ولكنه يشترط أن تُعتبر القضية الأدبية أصلاً ، فلا تكون مثلاً مرتبطةً
بعجلة السياسة ، كما يبدو من تعاليم النظرية المدرسية .. أي أن يكون جوهر
الدراسة الأدبية هو هذه الظاهرة الأدبية بالذات ، وليس حوادث السياسة
وعمل الإقليم وأثر الثقافات ..

أما القضايا الجانبية ، كالاقتصاد والواقع الاجتماعي والسياسي ، فتكون
قضايا جانبية مساندة (أي مسعفة كما يقول ص ٢٣٠) ..

ولذلك « فإن المنهج الذي يجب أن نصطنعه يقوم على هذا الانتقال من
الفردى إلى العام ومن الجزئى إلى الكلى .. فندرس الأديب أو الشاعر فى
كل أوضاعه وألوانه ونحيط بكل مظاهره وصوره ونعمق عوالمه الداخلية
ونرصد كل أحاسيسه . فإذا نحن نكشف عن هذه الروح التي سادته والمثل
التي أظلمت .. » .

٢ - تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام

الحديث عن الغزل يظل حديثاً جذاباً ، محبباً إلى القلب ، أثيراً إلى
العواطف .. إنه خلجات الهوى فى أعماق النفس ، ولوعة الشوق تترقرق
على مرارة الحرمان . ويكون الغزل أحلى إذا تحدث عنه مؤلف عُرِف
بعواطفه الدينية القوية واستمساكه بالقواعد الشرعية ...

وقد بحث الدكتور شكرى هذا التطور بحث العالم الموضوعى لرسم
مساره ، وإبراز الفوارق بين عصر لم يكن يردع الشاعر فيه رادع ، وعصر
كان على الشاعر فيه أن يعرف أنه يتحرك بين الحلال والحرام ، وبين المباح
والتعرض إلى حد القذف ...

والغزل فى جانب منه حسى ، وكان الغالب فى الجاهلية ، ولكنه فى
جانبه الروحى نفحة سماوية ...

وقد خصص الدكتور شكري كتابه المتألق والمتأنق ، لدراسة تطور الغزل العربي من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ، من الذي قالت له فاطمة وقد مال بهما الغبيط :

« عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل ... »

إلى عمر بن أبي ربيعة .. الذي نقل عنه الرواة وهو يحتضر أنه أقسم بالله على أنه لم يرفع ثوبه على حرام .. أي أن غزله كان نفثات قلب موجه يتغذى بالأوهام ... والكتاب كبير الحجم نسبياً يقع في ٥٨٤ صفحة وثلاثة أبواب خصصت للغزل الجاهلي والغزل في عصر صدر الإسلام والغزل في العصر الأموي . وقد برهن المؤلف عن تمكن من النصوص الأدبية ، وطاقة عجيبة على تحليلها واستخراج أعمق المعاني منها .. فهو يأخذ النص ، كمشاهد الارتحال والتحمل ، ووصف المحاسن ، ويتقصى هذه الفنون في شعر عدد من مشاهير شعراء الجاهلية ، ويخلص إلى القول بأن الغزل الجاهلي يتصف بأنه غزل تشبيهي يُعنى بالمظاهر الخارجية ، ومنه ما يمتاز بالدقة ومنه ما يظل سطحياً .. والمرأة عند الجاهليين شيء هام في حياتهم العاطفية والجمالية .. وجمالها هو الصورة المثلى للجمال (ص ١٧٨) .. وفي الحديث عنها كان امرؤ القيس مثلاً يتمتع بجرأة متناهية في القول الماجن .. وكان عنتره يتغزل باحتشام في عبلة ، لا يُسِف ولا يترخص في القول ..

وجاء العهد الإسلامي بمفهوم جديد عن الغزل ، اختار له الدكتور شكري نموذجاً من قول ابن قيم الجوزية في تحميدة كتابه :

« الحمد لله الذي جعل المحبة إلى الظفر بالمحبوب سبيلاً .. وأثار بها الهمم السامية والعزيمات العالية إلى أشرف غاياتها تخصيصاً لها وتأهيلاً .. وإذن فالحب في الإسلام - على حد قوله - ليس قَصْرَ هذه العاطفة

السامية على إرواء الهوى واشباع الغرض .. وإنما يجب أن يكون قوة حافزة ودافعة إلى تحقيق غايات الدين من إعمار المجتمع وإنشاء الأجيال المؤمنة .. ويبدو لنا أن الغزليين الإسلاميين لم يَتَّقُوا على هذا الفهم ، فقد انشطروا إلى شعراء أحبوا محبوباتهم حباً عذرياً وشببوا بهن إرواءً لعاطفة متقدة لم تُوجَّهْ إلى غير الناحية الفنية المثالية ، كجميل بن معمر ، وإلى شعراء اتخذوا من الغزل مطية لإثبات شاعريتهم القوية ، ولم يَقْصِرُوا حبهم على بثينة والأخيلية ، بل عددوا النساء اللواتي تغزلوا بهن ، وتخلوا عن الأطلال ، وتمثلوا حضارة عصرهم فانعكست في هذه الموسيقى الطليقة الخفيفة التي تنطق بها قصائدهم ، وما أحلى ما قاله عمر بن أبي ربيعة في هذه الأبيات العفيفة :

نظرت إليها بالخصب من منى	ولي نظر لولا التخرج عازم
فقلت أصبح أم مصايح بيعة	يدت لك تحت السجف أم أنت حالم
بعيدة مهوى القُرط إما لنوفل	أبوها ، وإما عبد شمس وهاشم

ويأتي على رأس هؤلاء المجددين عمر بن أبي ربيعة ، الذي خصه الدكتور شكري بدراسة عميقة ، وخاصة رائيته المشهورة ، بلغت أكثر من ثلث الكتاب ..

ويكفيني أن أقول في هذا المؤلف الرائع إنه عمل إبداعي حقاً ، ما أظن أن أحداً من المؤلفين في الأدب سبقه إليه .. وليس من الضروري أن نتبنى وجهة نظر المؤلف دون نقاش .. في كل ما قاله عن الغزل .

ثالثاً - أبحاث أدبية أخرى

وهذه الأبحاث كثيرة تناول فيها عدداً من المواضيع ، التي تتصف بأنها تندفق من ينبوع ثر .. أذكر بعضاً من عناوينها .

١ - شفيق جبيري الشاعر والشعر

ويقول عنه « إنه كان مشدوداً إلى ثروة أدبية عربية ، وكان مزوداً بتراث كبير . وهو ينفي عن أدبه وجود الرومانتيكية التي نقلها بعض الأدباء من الغرب . وجبيري ، العربي الفخور بعروبه ، يطرب ليوم الجلاء فيقول :
أتكذب العين والرايات خافقةً أم تكذب الأذن والدنيا أغاريد

٢ - البيان النبوي

وهو دراسة نشرتها وزارة الشؤون الدينية الجزائرية بحث فيها أشكال البيان النبوي (الأحاديث الشفوية والرسائل المكتوبة والخطب المرتجلة) وأبرز القيم التي يتضمنها (دينية وأخلاقية واجتماعية وشعرية) ..
وقد قال في هذا البيان : « لقد تحقق له هذا المستوى الرفيع في الأداء ، وهذه الروعة في إخراج الكلام هذا المخرج أو ذاك ، وهذا الإعجاز المشتق من الإعجاز القرآني والمتصل به .. حتى أن الرسول أحسه من نفسه فسماه جوامع الكلم » .

٣ - مقالة في الأستاذ محمد كرد علي

٤ - مقالة في محمد جميل بيهم

٥ - مقالة في الدكتور ميشيل حنا الخوري

٦ - مقالة في الشيخ محمد بشير الإبراهيمي

٧ - مقالة في الأستاذ المجمع عز الدين التوخي

٨ - مقالة في السيدة المرحومة عادلة بيهم الجزائري

وهذه سيدة فاضلة رائدة عملت بكل كرامة وثبات على نشر تعليم المرأة وتحريرها في إطار المثل الروحية السامية .. وقد قال فيها الدكتور شكري ما يلي : « لا بد أن تأخذ المرأة العربية مكانها .. لا بد أن تخرج من

إِسَارِ الجَهِلِ إِلَى ضِيَاءِ الْعِلْمِ ، وَمِنْ رِبْقَةِ التَّأَخُّرِ إِلَى أَفْقِ التَّفَتُّحِ . وَلَا بَدَأُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَذَرِ ، حَتَّى لَا تَضِلَّ الطَّرِيقَ وَلَا تَتَزَلَّقَ بِهَا الْمَزَالِقَ .. » .

وهذا قول جدير بالتأييد ، فتحريير المرأة ضرورة دينية وقومية واجتماعية ، وهو يعني تمكينها من ممارسة حقوقها الإنسانية والقانونية .. ولا يعني أبداً الانحلال والفساد ..

٩ - مقال عن خير الدين الزركلي الشاعر الرقيق . فقد درس شعره وأشاد بموسيقيته وامتدح عاطفيته الجياشة .. وفيما يلي أبيات اختارها من ديوانه الدكتور شكري :

يَجْنِي وَأَشْكُرُ فِي الْهَوَى يَدَهُ	وَطَنٌ شَقِيقٌ بِهِ لِأُسْعِدَهُ
آلَيْتُ ، لَا بِآلَيْتُ بِي الْمَاءُ	وَبِهِ دَمٌ حَتَّى أَضْمُدَهُ
يَوْمِي لَهُ ، وَغَدِي لَهُ هَبَةٌ	وَعَسَايَ أَحْمَدُ فِي غَدِي غَدَهُ
كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ أَنْجَمَهَا	مُتَرَقِّباً فِي الشَّرْقِ فَرَقَدَهُ
وَيَحِ السِّيَاسَةَ فِي تَقْلِبِهَا	يَسْلُو الْحَلِيمُ بِهَا تَجْلِدَهُ

١٠ - مقالة عن الشاعر القروي ...

وللقروي مكانة خاصة في نفسي ، ليس هنا مكان الإشادة بها ...

١١ - دراسة مطولة عن كتاب « روح القدس في محاسبة النفس »

لابن عربي .

١٢ - الصحافة الأدبية . وهي دراسة مفصلة عن مجلة المجمع

العلمي العربي في عشر محاضرات ألقاها عام ١٩٥٩ على طلبة معهد الدراسات العالية في القاهرة .

١٣ - المصلحون ، وهي مقالة بعنوان « بين تشرين الذي كان

وتشرين الذي يكون » درس فيها دعوات الإصلاح التي نادى بها محمد عبده

ورشيد رضا وابن تيمية وساطع الحصري ، وفيها هجوم شديد على النُّقْرة الإقليمية ..

١٤ - ثلاثة أحاديث في الإذاعة عن كتاب الثعالبي .

وقد قال الدكتور شكري عن هذا الكتاب :

« إنه يتناول لوناً من ألوان التعبير الفني الذي يَعْتَمِدُ على عَقْدِ جملة من المشابِهات بين جملة من الأشياء ، لا يبدو أن بينها من الصلات ما يسمح بإقامة هذا التشابه . ولكن الشاعر بموهبته الفنية قادرٌ على أن يلتقط هذه المشابِهات ثم يعرضها على الناس » .

وفيما يلي مثل اختاره الثعالبي من شعر أبي تمام لتوضيح الفكرة :

ما اليومُ أولُ توديع ولا الثاني	البينُ أكثرُ من شوقي وأحزاني
دَعِ الفراقَ فإنَّ الدهرَ ساعده	فصار أملكَ من روعي بُجْثاني
بالشام قومي وبغدادُ أهوى وأنا	بالرقتين وبالفسطاط إخواني
وما أظن النوى ترضى بما فعلت	حتى تجاوز بي أقصى خراسان
خَلَفْتُ بالأفق الغربي لي سَكناً	قد كان عيشي به يحلو بخلوان

رابعاً - كتب قديمة حققها

هذه كتب قديمة ظفرت بولع الدكتور شكري وعنايته ، فعمل على إخراجها سليمةً من العيوب مبرأةً من التصحيف والتحريف . وهذه الكتب هي :

- ١ - مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام .
- ٢ - خريدة القصر وجريدة العصر للثعالبي (أربعة أجزاء) .
- ٣ - ديوان الشاعر الزاهد أبي العتاهية ، مع أخباره .
- ٤ - ثلاثة أجزاء من تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر .
- ٥ - الوافي للصفدي ، الجزء الخامس عشر .
- ٦ - ديوان النابغة الذبياني (صنعة ابن السكيت) .

هذا بالإضافة إلى سلسلة من المقالات لم ترد في هذا السرد ، في مجلتي المجمع والمعرفة . وقد قدم لائحة بها الدكتور عدنان الخطيب في دراسته الممتازة بعنوان « شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً »^(١) .

وأود أن أشير إشارة خاصة إلى عمل كبير قام به الدكتور شكري هو جمعه أهم أعمال الدكتور طه حسين في ثلاثة أجزاء كبيرة ، انتقاها وأشرف على طباعتها . والذي دفعه إلى هذا العمل وفاءه لأستاذه ، وهو المعروف بالوفاء ، ورغبته في وضع كتاب نفيس تحت أيدي الأدباء العرب . وهاكم ما قاله عن طه حسين في مقال نشره في مجلة المعرفة (عدد

تشرين الثاني ١٩٧٤) :

« أَجَلُّهُ هُوَ فِي عَيْنِي وَفِي نَفْسِي مِنْ أَنْ أَتَاوَلَ حَيَاتِهِ بِبَحْثٍ ، أَوْ أَنْ أَعْرَضَ لِكِتَابٍ مِنْ كُتُبِهِ بِدَرَاةٍ ، أَوْ أَنْ أَتَوَقَّفَ عِنْدَ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ أَدَبِهِ بِالتَّحْلِيلِ ... فَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي الْمُؤَلَّفُ وَلَا الْبَاحِثُ وَلَا النَّاقِدُ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي الْأَدِيبُ الَّذِي لَا يُجَارَى ، وَصَاحِبَ الْبَيَانِ الَّذِي لَا يُضَاهَى .. وَإِنَّمَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ الْأُسْتَاذُ .. وَلَا يَحْتَمِلُ وَفَائِي لِأَسَاتِذَتِي أَنْ أَلْقَاهُمْ بِغَيْرِ النُّظَرَةِ الْحَيَّةِ . إِنِّي لِأَغْضِي حَيَاءَ مِنْهُمْ وَتَوَقِيرًا لَهُمْ .. » .

خامساً - العروبي الإسلامي

أشعر بأن دراستي هذه تبقى ناقصة ، إذا أنا اكتفيت بعرض أعمال الدكتور شكري دون أن أتحدث عن قناعاته الشخصية ، كما تظهر من كتاباته . وأبرز هذه القناعات ، العروبة والإسلام ، والربط بينهما ربطاً عضوياً لا انفصام له . فمن هذين الينبوعين الثريين ، تفجرت عدة دراسات على جانب كبير من الغنى واستشراف آفاق المستقبل .

١ - ففي موضوع العروبة ، نلمس إيماناً راسخاً بوحدة العرب

(١) دار الفكر للطباعة ١٩٨٦ ، ص ٤٨ و ٤٩ و ٧٢ و ٧٣ .

لا يتزعزع ، كما نلمس عاطفة مقاتلة في حب اللغة العربية والدفاع عنها . ويعرف كل من كان على صلة به ما كان يعتمل في صدره من قناعة وحدوية بدت ظاهرة على سن قلمه منذ أمسك به يافعاً ، وظل على إيمانه الذي لم يساوره شكوك ، حتى أسلم الأمانة راضياً مرضياً إلى الأجيال الكثيرة من طلابه في شتى أرجاء الوطن العربي . وليس من عجب في ذلك ، فقد كان أبناء جيله من الذين عاشوا تحت كابوس الانتداب والحماية الفرنسيين والبريطانيين يقاتلون لمستعمرين بكل وسيلة متاحة .. وكان أساتذتنا وقادة النضال الوطني يعلموننا أن مقارعة الأجنبي المحتل دينٌ وشرف وفريضة .. ولم يكن معقولاً أن يبقى الدكتور شكري خارج الحلبة . فقد عمل مع أعضاء عصابة العمل القومي ، وكانوا من خيرة شباب الوطن .. وكتب في جريدتها معرضاً نفسه لغضب الانتدابين .. وحين أعلنت الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨ أصبح عضواً في الاتحاد القومي .. ثم اختير عضواً في مجلس الشعب الموحد . وحين وقع الانفصال في ليلة مشؤومة تداعى عدد من القوميين الوجدانيين وشكلنا الجبهة العربية المتحدة من أجل إعادة ربط ما انفصم من الرابطة القومية .. وكان للجبهة قيادتان ، علنية وسرية .. وكان المرحوم أحد أعضاء القيادة السرية . وقد قاتل بالسيفين في سبيل إعادة دولة الوحدة ، ولكن كان للأحداث منطق آخر . ثم جمعتني به غير الأحداث التالية خمسة شهور في المعتقل ، فألفت فيه المؤمن الصابر على قضاء الله .

وكان رحمه الله يربط ربطاً قوياً بين قوميته وعقيدته ، ففي قناعته أن جميع الحروب والمآسي التي نزلت بهذه المنطقة ، بدأ بالحروب الصليبية ومروراً بالانتدابات الأجنبية وانتهاء بقيام إسرائيل ، إنما كان بسبب إسلامها أولاً واستمساكها بأهدابه .. وكان راسخ القناعة بأن هذه المآسي كانت قادرة على محق العروبة ومفاهيمها ، غير أنها إذا ظلت صامدة ولم تتمكن

الرياح العاتية من بعثرتها شذر مذر ، فإنما مرد ذلك إلى رسوخ الإسلام في النفوس ..

اقرأوا له هذا المقطع من خطابه في حفل استقبال الدكتور أمجد الطرابلسي : « في سنوات الوحدة الثلاث ، وهي أحلى السنوات في تاريخ الوطن وأحفلها بتجاربه وأقواها أثراً في مستقبله ومستقبل العروبة ، كانت في آذاننا أصوات من كل فج وفي نفوسنا تطلعات في كل أفق وفي قلوبنا آمال هي أغنى الآمال ... كنا نشعر أننا نصوغ من جديد حياة العرب بعيداً عن إقليمياتهم وعن تخلفهم ، وكنا نحس أننا نصل ما كان انقطع من هذا التاريخ ، وأنها بدأت رحلة الوحدة بعد رحلة الاستقلال ...

ولكن التجربة ، وارتحمتاه للوطن المتعثر ، آلت إلى غير مصيرها الطبيعي الذي كان يجب أن يحكمها وانفرط العقد وفي العين دموع .. » . وهذا المقطع من مقال له في مجلة المعرفة عن « الرومانتيكية العربية » (عدد كانون الثاني ١٩٧٤) :

« ولكن لماذا تظل الحركة العربية سلسلة من المفاجآت يشتد تواترها ثم يضعف ، فإذا هي في مكانها ..؟ لماذا تتخذ هذا الطابع الرومانتيكي ثم لا تجاوزه إلى ما وراءه من طابع عقلائي ..؟ » .

حتى وحدة ١٩٥٨ ، هذا الأمل الذي أعاد العرب من جديد إلى ساحة التاريخ ، وقهر للمرة الأولى - بعد صلاح الدين - تفرقهم ، حتى هذه الوحدة لم تعد بعد ستة أشهر من كان يشرب الشاي في القاهرة ويقسم على قطعها .. هل كان تاريخ هذه المنطقة إلا هذه الحركة المتكاملة بين مصر والشام ؟ ..

وأسأل : هل الذي بدأنا نسمعه من فترة قصيرة على ألسنة القادة في هذه المنطقة غير هذا الذي قاله الدكتور شكري ؟ ..

وهل يلومه لائم ، حين يرفض تعبير « التضامن العربي » لأنه في نظره هرطقة وهل يقول قائل عن نظريته « بأن أي رفاه اقتصادي أو تقدم اجتماعي مستقل عن المجموعة العربية إنما هو رفاه مكذوب وتقدم خادع » بأنه ليس على صواب ؟ ..

ولن يجد المرء شغفاً صوفياً بحب اللغة العربية كشف الدكتور شكري بها . وكان له نشاط ضخم في موضوع التعريب ، أي إعادة اللغة العربية إلى أهلها ، خاصة في البلاد المغاربية التي أفسدها فيها الاستعمار ، والجزائر أقبح صورة لما جنى فيها الاستعمار الفرنسي خلال قرن وثلث .. حيث حارب العروبة واللغة والإسلام حرباً لا هوادة فيها ..

ومن كتابات المرحوم في هذا الصدد ما يلي^(١) :

« إن القَدْرَ الذي يحتاج إليه الوطن العربي من التقدم العلمي ومن شيوع المعرفة العلمية ومن تحديث الفكر المعاصر ، لا يمكن أن يتم إلا عن طريق اللغة العربية ». وهو يعرف اللغة العربية تعريفاً شاعرياً ينم عن احساس عميق بعظمة هذه اللغة ودورها الحضاري ، في كتابه « المجتمعات الإسلامية »^(٢) فيقول : « اللغة ليست إلا نسيجاً من أفكار وأنظار ، تزينه وتُحلّيه عواطف ومشاعر . ووراء الغلاف اللفظي لكل كلمة ، تستقر حقيقة من الحقائق التي يؤمن بها الشعب أو شحنة من الانفعالات التي يخضع لها ..

والعقائد الكبرى والأساطير والمثل ، إنما تبلور جميعاً في ألفاظ اللغة وكلماتها ..

فلغتنا ليست هذه الألفاظ الجامدة التي تتصامم فيها الحروف ، ولكنها

(١) في بحثه « الدراسات الإسلامية اللازمة لمدرسي اللغة العربية » الرياض

١٠-٣-١٩٧٧ .

(٢) ص ٢٢٦ .

هذه الأصوات العميقة التي تتركز فيها عواطفنا وأفكارنا وتصوراتنا البعيدة .
ولكل صوتٍ منها شمولٌ عريض ومدى واسع ونفاذٌ خاص ، وفي أصدائه
وحناياه تعيش المخلفاتُ الفكرية والعاطفية لكل القرون التي تقدمت قبلنا » .
وعنده أن عبء التعريب يجب أن تقوم به الجامعات الثلاثة في دمشق
والقاهرة وبغداد .

وتتلخص نظرتَه إلى واقع اللغة العربية في بحثه الذي قدمه إلى الندوة
التي أقامها اتحاد مجامع اللغة العربية في عَمَّان في شهر كانون الأول ١٩٧٨
كما يلي :

- ١ - يجب أن تكون اللغة العربية واحدة على امتداد الوطن العربي .
- ٢ - وأنها قضيةٌ تمتد على تاريخ الوطن العربي في ماضيه وحاضره
ومستقبله .
- ٣ - وعليها أن تتحدى اللغات الأجنبية ، لصدا أخطارها من جهة ،
ثم للتفاعل معها لمواكبتها في طريق التقدم ..
- ٤ - وهي وسيلة الجمع بين أبناء العروبة الذين عصفت بهم أيدي
التمزق .

ولكنه لا يتردد في الدعوة إلى فتح النوافذ على لغتنا ، من أجل إدخال
التجديد فيها . والتجديد يجب أن يقوم على ثلاثة أسس هي :

- ١ - طواعية اللغة ، وأفهم من هذا القول ، تخليصها من كل تعقيد يجعلها
عسيرة المأخذ والاشتقاق .. أي مراجعة قواعد النحو والصرف بصورة
خاصة .
- ٢ - يسر الأسلوب وتبسيطه .
- ٣ - الخلاص من الزخرف بصورة نهائية .

ولا أريد أن أمر مرور الكرام بالمبدأ الثالث ، وهو « تفاعل العربية مع
اللغات الأخرى » ، لأن هذا المبدأ الأساسي يفرض علينا تقوية اللغة في
مدارسنا الثانوية وفي جامعاتنا .. لا لكي ينجح الطالب في امتحان اللغة

الأجنبية ، وإنما لكي تصبح لغة مراجعة ودراسة جديتين ، يُعَوَّضُ بها عن نقص المؤلفات العربية في جميع نواحي المعرفة ، من فلسفة وقانون وطب وعلوم وتكنولوجيا .. فليس سراً أن المكتبة العربية ، على امتداد الوطن العربي ، تشكو في هذه المراجع نقصاً لا يغتفر .. والمراجعة في اللغة الأصيلة تفوق قراءة الكتب المترجمة .. خاصة إذا كانت الترجمات سقيمة ..

٢ - وفي موضوع الإسلام ، أشير إلى أن الدكتور شكري مؤمن بممارس للشعائر الدينية . وكل الذين يعرفونه يعرفون أن باطنه في هذا كظاهرة الطيب .. وهو كذلك من دعاة التراث بصورة عامة . ولقد وقفت عند هذه المسألة لأشير إلى أن المرحوم يريد من هذا التراث أن ينسجم مع مقتضيات التطور العلمي والاجتماعي . فقي بحثه الذي قدمه إلى ندوة مجامع اللغة العربية المنعقدة في عمان عام ١٩٧٨ يقول مايلي :

« إذا كانت الحروب الصليبية وحروب أخرى بعدها لم تُعْطِ الغرب الأوربي ما كان يطمح إليه من تفوق ، فإن الركود الإسلامي أعطى هذا الغرب أثمنَ فرصة حين ساعد بضعفه على أن يجد المسلمون أنفسهم في موقف التخلف . وقد حارب الاستعمار اللغة العربية لكي يضعف العقيدة الدينية .. » .

ومن شدة حرصه على سلامة العقيدة والتراث ، كان ينظر بحذر شديد إلى غالبية المستشرقين ، وخاصة الأوائل منهم . فقد كان يجد دراساتهم بعيدة عن الموضوعية في البحث ، وعن الطهارة في الهدف^(١) ، لأن أبحاث الاستشراق تصب ، في نظره ، في دوائر وزارات الخارجية أو المستعمرات أو التبشير ...

وتقتضي الأمانة العلمية ألا أذهب معه إلى نهاية تفكيره ..

فقناعتي أن هؤلاء المستشرقين الجواسيس هم القلة .. أما هؤلاء الذين

(١) مقاله « على هامش مؤتمر المستشرقين » الذي عقد في باريس عام ١٩٧٣ .

أحبوا الحضارة العربية وساعدوا في نشر كنوزها ، وألقوا عنها المؤلفات العميقة والرائدة ، وعلمونا طرق البحث في تاريخنا وآدابنا ، فإنهم الكثرة الكاثرة .. ولقد عرفت من بينهم ، رحمهم الله ، من كانوا أساتذة لي ، وكانوا يعلنون عن ضرورة احتلال الحضارة العربية مكانها المرموق .. حتى أن منهم من شارك العرب في مظاهراتهم التي طالبوا فيها باستقلال الجزائر وفي قلب باريس ... ولن أذكر من أعمالهم الرائعة إلا L' Encyclopédie de L' Islam ومؤلفات بروكلمان وبلاشير و Gibb وغوستاف لوبون وغولدزهر .. وليس من حقنا أن نرميهم جميعاً بسوء القصد ، إذا توصلوا في أبحاثهم إلى نتائج لا نستطيعها ... والمرحوم لم يعمم القول فيهم جميعاً ، لأنه استثنى من سماهم « الأنقياء » الذين قال عنهم :

« وعلى هذا الطريق تلقى الذين يموتون وهم يقلبون صفحات الكتب بحثاً عن حقيقة ، والذين يبحثون عن أشباه الحقائق يميّتون بها الشعوب » .
و حين عالج موضوع ما يسميه « الصحوة الإسلامية بين الواقع والطموح » في بحث له تحت هذا العنوان ، قال :

« إن أبرز ما تُعنيه الصحوة اللّحاق بالركب الإنساني . إنها تتمثل في إنسانٍ نائمٍ خَلَفَتْهُ القافلة وراءها ، ثم صحا فوجد نفسه في مثل حالة الضياع ... فمضى يسعى وراء الركب . وإني أرد هذه الصحوة إلى أنها مظهر من مظاهر التملل وأن لها أثراً تخديرياً » .

ويسوق عدة أمثلة على عدم صحة هذه الصحوة المزعومة .. الثورة الأفغانية والتقاطع بين أقطار الإسلام والدماء التي تسيل أنهاراً على حدود الديار الإسلامية ، والأُمِّيَّة التي تصل إلى نسبة ثلاثة أرباع المسلمين ... ويتساءل « كيف نتحدث عن صحوة إسلامية إذا كنا لم نستطع أن نحقق الحد الأدنى الحضاري ؟ »

ويطالب بعد ذلك بقوة « بالتحول إلى صحوة إسلامية فاعلة » يجب أن نَعْنِي في نظره « تَعَمُّقُ الأساس النظري الذي جاءنا من عند الله .. تعمق فهمه وتعمق فقهه دون أي خروج عن نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية المشرفة أو ما التقى عليه إجماع المسلمين .. » .
وهذا في نظري هو العمل المثمر للتوفيق بين التراث ووجوب فهمه بنصه وبروحه ، في ظل مقتضيات العصر .. حتى يصح لنا أن نقول بحق :
إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان .. غير أنه يضع شرطاً جديراً بالتأييد ، هو الآتي :

« إن الحركة الإسلامية لا تتطلع إلى سلطة أو تحكم ولا تسابق أصحاب السلطة والحكم عليهما . وعلينا أن نستخدم ما يسمونه الديمقراطية بأصح معانيها ، لأن الصحوة تريد أن يتاح للشعوب في حكومات الإسلام أن تحقق وجودها .. » .

وقد أوضح رأيه في موضوع ممارسة الديمقراطية في مقال له عن « حركات الإصلاح الاجتماعي في العالم الإسلامي »^(١) قال فيه :

« وليس للشورى شكل واحد ثابت لا يقبل التغير ، ولكن لها مفهوماً ثابتاً لا يقبل جوهره التغير . والقرآن الذي أقر المبدأ لم يتناول من قريب أو بعيد الشكل . وقد حاول جمال الدين الأفغاني نشر مبدأ الشورى فحورب بشراسة . أما العلم فليس شرطاً من شروط النهضة بل هو النهضة بذاتها » .
وقد حَلَّقَ عالياً حين كتب في مقاله « نحو حضارة عربية جديدة »^(٢) مايلي :

« حين ننظر إلى أقطارنا العربية ... تُروِّعُنا مسافة هذا الخلف بيننا وبين الحضارة المعاصرة . وأقصى ما يروِّعنا أننا لا نصنع الحضارة ، وإنما نحن

(١) من كتاب وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية والإسلامية .

(٢) نشره في مجلة المعرفة ، شباط ١٩٧٥ .

نستهلك الحضارة التي يصنعها الآخرون .. لذلك يجب علينا أن نحقق هدفين متكاملين : اللحاق بالركب الحضاري والإسهام في قيادة هذا الركب ... وقد كان لنا ماضٍ حضاريٌّ متميز .. فلماذا يظل الوطن العربي خارج دائرة الإسهام الحضاري ؟ » .

ويضرب مثلاً على تقدم الشعوب التي كانت نائمة فاستيقظت : اليابان « التي استطاعت أن تُحطم أسطورة التخلف الشرقي ، وتزرع في ملايين الملايين من الشرقيين خُضرة الأمل » حسب تعبيره .

ولكن من الذي يعمل على بقائنا متخلفين ؟ في رأي الدكتور شكري المسؤول عن تخلفنا هي « هذه القوى غير المجهولة .. قوى أعداء الإنسانية الذين يؤمنون بالتمايز ويضعون الشعوب طبقات ... أولئك أكلة لحوم البشر الذين يختلسون ثروات هذه الشعوب ويُجهضون ثورتها .. » .

ونحن أليست لنا مسؤولية مباشرة وضخمة في تخلفنا ؟ يقيناً لو أن الله مَدَّ في عمره فعاش أحداث ١٩٩٠ و ١٩٩١ المبكية على الساحة العربية ، لكان أدخل تعديلاً جذرياً في تفكيره القومي وفي تحديد المسؤولية عن أسباب تخلفنا ...

وما هو سبيلُ سلامة العرب ومنطلقُ تقدمهم ؟ جوابه هو أن دخول العرب التاريخ الحضاري يجب أن يبدأ بتحريك الوحدة العربية : « لأن الذين تلهمهم أو تقنعهم في الوطن العربي الممزق بعض المنجزات التي استطاعوا أن يحققوها ، فإن عليهم أن يَحْسِبُوا قبل أن يفرحوا بما أنجزوا ، المدى الذي لا يزال يَفْصِلُ بينهم وبين الحضارة الموصدة مِنْ دونهم ..

وإذن فطريق الوحدة وحده بالنسبة إلى العرب هو الذي يمكن أن يكون إنهاءً لمرحلة القَرَبَةِ المقطوعة . ذلك أن الذي نعملُهُ لا يعدو كثيراً أن يكون وهمٌ محاولةٌ لملء قَرَبَةٍ مقطوعة ... » .

ومن عجب أننا نشهد اليوم ميلاد عملاقٍ ضخم في أوروبا ، التي

تناست دولها أحقادها القديمة والدماء التي سفحت بغزارة في ساحات الحروب قروناً طويلةً واندجحت في مجموعة اقتصادية كبرى ، وهي تعمل جاهدة على الذوبان في كيانٍ سياسي مُدهش .. ومع ذلك فنحن ننظر كالمجهوت الذي لا يتعظ ولا يستوعب ...

وكل ما قاله الدكتور شكري في أسباب التخلف العربي بشيء من التعميم ، يتساوق خير تساوق مع الصرخات المدوية التي ارتفعت في عصرنا تطالب بتجديد الفكر العربي .. والفكر الإسلامي أيضاً ..

« فالشيخ محمد عبده قام وحده من بين رجال الأزهر بالدعوة إلى التجديد والتحرر من قيود التقليد ، فاستعمل عقله الحر في بحوثه ولم يَجِرْ على ما جَمَدَ عليه غيره من أفكار المتقدمين »^(١) .

بل إن مفكراً إسلامياً من طلابنا في جامعة دمشق ، هو الدكتور فاروق النبهان يذهب أبعد من ذلك فيقول :

« ظهر في العصر الحديث لونٌ جديد من التفسير يختلف عن المدارس السابقة التي عرفناها . ويهتم هذا التفسير بالجوانب الأدبية والاجتماعية التي يشتمل عليها النص القرآني .. وقد لاقت هذه المدرسة قبولاً طيباً لدى الناس »^(٢) .

ويضرب الأستاذ مصطفى الزرقا مثلاً ملموساً عن تطور التفسير الفقهي في أيامنا هو نص المادة ٢٢ من قانون الأحوال الشخصية . فقد قرر واضعو هذه المادة أن طلاق السكران والمدهوش والمكره لا يقع ، وكذلك لا يقع الطلاق ثلاثاً إذا تم بلفظ واحد ، كما أجازوا تفويض المرأة بتطبيق نفسها . ويقول إن هذا التجديد جاء خلافاً لرأي الأئمة الأربعة أخذاً من فقه

(١) انظر الشيخ محمد حسين الذهبي ، المفسرون والتفسير ج ٣ ص ٢٢٠ .

(٢) في كتابه نظام الحكم في الإسلام ص ٣٤٠

الإمامين ابن حزم وابن تيمية رضي الله عنهما .

ومنذ العشرينات من هذا القرن أدرك فقيه كبير هو الأستاذ شاكر الحنبلي^(١) مدى أهمية تحديد معنى الربا في الشريعة الإسلامية ، فقرر في دراسة مُدْعَمَةٍ بالحجج بأن الودائع المصرفية لا تدخل في مفهوم الربا المحرّم ..

وهو مذهب أيده الدكتور معروف الدواليبي في دراسته التي قدّمها عام ١٩٥٢ إلى مؤتمر إسلامي عقد في باريس . وجاءت فتوى المفتي العام للجمهورية المصرية الشيخ سيد طنطاوي منذ وقت قريب تفتح الباب أمام تحرير الرأس المال الوطني وتمكين المصارف المحلية من القيام بأعباء التنمية ودعم الصناعات وتأسيس شركات كبرى تقوى على المزاومة في مصطرع دولي لا يرحم ، في زمن أصبحت فيه الشركات عابرة القارات أخطبوطاً هائلاً تهدد برأسمالها الفلكي كلّ الاقتصادات الصغيرة .

ومن أسف أن دار الإفتاء في مصر لم تتحرك إلا بعد أن فقدَ مئات آلاف من صغار المذّخرين أقوات أسرهم بسبب تلاعب مجموعات من الذين لا يخافون الله ، تحت ستار شرعي مزعوم .

ولا يجوز أن يكون ذلك خاتمة المطاف ، بل بدايةً صحيحة للشروط الذي يدجنا في العصر ، ويجعلنا نساهم في إنشاء الحضارة لا أن نستهلكها وننعم بفتات موائد المتقدمين ، كما ذكر المرحوم شكري ..

ومن المهام التي تقع على عاتق المجتهدين ، ولست منهم ، مسألة رفع العوائق التي تقف في سبيل نوال المرأة حقوقها ، تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ . وهو مذهب نادى به المرحوم أيضاً .. ومن

(١) الأستاذ البارز في معهد حقوق دمشق (كلية الحقوق الحالية) .

الأمثلة على هذه العوائق منع شهادة المرأة في الحدود والقصاص ، ومسألة تحديد ديتها بنصف دية الرجل .. وهي حلولٌ رسخت من قديم ، دون أن يكون لها سندٌ في الشريعة السمحاء ... وبصورة عامة فتح باب الاجتهاد واسعاً لإعادة النظر في تفسير التراث تفسيراً منفتحاً على العصر ، ليكون قادراً على مواكبة التطور والخلاص من الجمود الذي تردى فيه ...

أيها السيدات والسادة :

إني أعرف أنني لم أوف سلفي الكبير حقه ، لا من حيث تعداد ما دبحته يراعتة من كتب وأبحاث مشرقة ، ولا من حيث تحليل مضامينها وتأثيرها في الأدب والاجتماع وتطوير الفكر العربي والفقهاء الإسلاميين . وقد قدمت لكم غيضاً من فيض وباقاً من بستان ..

ولن أجد خاتمة لهذا الخطاب خيراً من قول شاعر قديم :

إذا نحن أثينا عليك بصالح فأنت كما نشي وفوق الذي نشي
والسلام عليكم ورحمة الله .

حفل استقبال

الزميل الأستاذ جورج صدقني

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ٧/٥/١٤١١هـ = ٢٤/١١/١٩٩٠م (الدورة الجمعية ١٩٩٠ - ١٩٩١م) الأستاذ جورج صدقني عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغل بوفاته الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٦) تاريخ ١٤/١١/١٤١١هـ = ٢٧/٥/١٩٩١م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ صدقني في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٢٢ ربيع الآخر ١٤١٢هـ / ٣٠ تشرين الأول ١٩٩١م حضرها ثلة من رجال الفكر والعلم والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحاضرين ، وشكر لهم شهودهم هذا الاحتفال الذي أقامه المجمع ، وهنا الأستاذ صدقني بثقة زملائه الجمعيين به واختيارهم له زميلاً كريماً يعزز مسيرتهم في تحقيق غايات المجمع المباركة .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم عضو المجمع كلمته في استقبال زميله الجمعي هنا فيها زميله الجمعي ونوه فيها بمزاياه الخلقية والعلمية وذكر طرفاً من سيرته .

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم

أهلاً بكم في رحاب مجمع الخالدين ، وشكراً لكم أن تشهدوا معنا هذا الاحتفال بقيمه احتفاءً باستقبال الزميل العزيز الأستاذ جورج صدقي .
لقد تمَّ انتخاب الأستاذ صدقي عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع في دورته الجمعية ١٩٩٠-١٩٩١م (التي عقدت في ١٤١١/٥/٧ هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤ م) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٦ (في ١٤١١/١١/١٤ هـ = ١٩٩١/٥/٢٧ م) بتعيينه^(١) .

واننا لنهنئ الأستاذ صدقي ثقة زملائه المجمعين به ، واختيارهم له زميلاً كريماً ، يعزّز مسيرتهم ، ويشدُّ من عضدهم ، يمضون معاً في تحقيق غايات المجمع ، لتظلَّ العربية المينة أداة الإفصاح والبيان في جميع ميادين المعرفة والحياة ، تجاري اللغات العالمية ، تغنيها وتغني بها .

لقد ولد الأستاذ صدقي ونشأ في الثلاثينات ، تلك السنوات التي شهدت نضال شعبنا العربي لانتزاع حريته واستقلاله من مستعمره الذين ظنوا جهلاً أنه قد استتبَّ لهم كل شيء بعد أن قضوا على الثورة السورية الكبرى التي شبَّ أوارها في العقد الثالث من القرن ، وقَدَّم فيها شعبنا العظيم آلاف الشهداء ، وعانى من فظائع المستعمر أشدَّ ما عاناه شعب . ولكن

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٦ ، ح ٣ ، ص ٥٧١ (تموز / ١٩٩١ م) .

جذوة النضال لم تخمد ، وهبَّ الشعب من جديد بعد أن أعدَّ واستعدَّ ، وفوجئ المستعمر بمعركة أخرى من معارك شعبنا قد استعر لهيبها في كل مكان . كان الكفاح في سورية قد بلغ أشده ، وكانت الثورة في بطاح فلسطين تدافع عن الأرض والوجود ، وتتالت المعارك متتابعة لا تتوقف حتى عام ١٩٤٥ م .

وكان صدقني ابن بيئته الشعبية ، يصغي إلى أحاديث جمهرة الشعب ، وينفعل بعواطفها المتأججة حباً للحرية ، وشوقاً إلى النضال ، وحنقاً على المستعمر الغاشم . فامتلات نفسه وتروى بما رأى وسمع ، ونشأ هذه النشأة الوطنية ، وصار من أكبر همومه ، على صغر سنه ، التفكير في مصير الوطن ، وطرق انتزاع الحرية .

لقد كان صدقني في الرابعة عشرة من عمره حين حدثت مجزرة البرلمان ، وعدوانُ فرنسا الغاشم في التاسع والعشرين من أيار ١٩٤٥ م ، الذي أرادت به أن تجدد عدوانها الذي ارتكبته في الجزائر الشقيقة في الثامن من أيار ١٩٤٥ م ، فقضت على الألوف من المواطنين الجزائريين الآمنين الوادعين .

وشاء الله أن تكون يد الحق هي العليا ، وانتزع شعبنا حريته واستقلاله وكان الجلاء العظيم في السابع عشر من نيسان ١٩٤٦ م ، ففتحت الأبواب مشرعة لتعاضم حركة النضال العربي ، وأحرزت البلاد العربية استقلالها واحدة إثر واحدة ، وثُوج ذلك كله بالنصر العظيم باستقلال الجزائر عام ١٩٦٢ م .

وبدأت سورية بعد إشراقة فجر الاستقلال حياتها الجديدة الحرة ، وأخذت الأجيال العربية الجديدة ترسم صورة المستقبل العربي وتخطط طريقه ، وتطلعت إلى الحركات العربية التي تستجيب لمطامحها وآمالها . وهنا نجد الإجابة الصادقة في تطلع الأستاذ صدقني إلى الالتحاق بحركة البعث العربي

في تشرين الأول ١٩٤٦ م . وكان آنذاك طالباً في المرحلة الثانوية باللاذقية ، لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره .

إنه نموذج الجيل العربي الجديد الذي نشأ في أيام الاستعمار فشارك في التظاهرات والاضرابات ، فلما أشرقت شمس الحرية انضم إلى المؤسسات التي تليي مطالبه وتطلعاته .

ولقد رأى الأستاذ صدقني في حركة البعث العربي ما يُرضي طموحه وتشوّفه : فقد رفعت : وحدة النضال العربي لتحقيق الوحدة العربية ، وشعار الحرية ، والدعوة لاقامة العدل الاجتماعي والقضاء على استغلال الإنسان للإنسان .

وشارك الأستاذ صدقني في نشاط الحزب ، وقاسم رفاقه تبعاتهم ومسؤولياتهم الحزبية . وانغمس في ميادين السياسة ، والفكر السياسي . وتولّى وزارة الإعلام في السادس والعشرين من أيلول ١٩٧٣ م ، فبذل ما بذل ليرتفع بمستوى الإعلام إلى مستوى بطولات المقاتلين وتضحيات الشهداء في حرب تشرين التحريرية (١٩٧٣ م) .

ولا يزال الأستاذ صدقني يتابع نشاطه الفكري السياسي ، وقد نضا العام الخامس والأربعين من حياته الحزبية .

أيها الحفل الكريم

لقد قلت ما قلت ، وعيني وقلبي يتطلعان إلى ما يحدث اليوم في مدريد . لقد ناضلت الأمة العربية النضال الطويل لتسترد حريتها ووحدتها وعزتها منذ أن صدّت غزوة نابليون عن ديارها عام ١٧٩٨ م حتى اليوم . وعانت الأمة العربية ما عانت طوال مئتي عام ، وقدمت من التضحيات ما لم تقدمه أمة قط . وقد وقف لها الاستعمار بالمرصاد يعوق تقدمها ، ويعرقل مسيرتها ، ويفتنّ في أساليبه الماكرة ليحول دون وحدتها وازدهارها .

ولقد كانت الصهيونية أخطر ما تفتقت عنه أساليب المستعمرين فزرعوها في قلب الأرض المقدسة فلسطين ، ليحولوا دون وحدة الأمة العربية .

وهأنحن نشهد اليوم انعقاد مؤتمر مدريد ، فهل نتوقع أن يكون مبدأ الفجر الذي نتطلع إليه ؟ أرجو وآمل والله الموفق والمستعان .

أعود فأرحب بالترحيب كله بالزميل العزيز ، يشارك زملاءه الجمعيين في أعمالهم وهمومهم وتطلعاتهم ، تظللنا جميعاً راية العربية المبينة التي نجد فيها أمناً وسلامتنا ووحدتنا .

لقد أحب الأستاذ صدقني العربية حباً جماً ملك عليه نفسه ، فغني بها أتم العناية ، وتوخي في كتابته السهولة والفصاحة ، ووفر لعبارته أناقة اللفظ وجمال الأسلوب . وتميزت صياغته بالوضوح والبيان . وأحب الأستاذ صدقني أن يشارك المشاركة الجادة في نهضة قومه الفكرية ، ورأى أن خير ما يقوم به أن ينهج نهج الأسلاف العرب في نهضتهم الأولى حين نقلوا إلى العربية تراث اليونان والفرس والهند وغيرهم من الأمم ، فأكب على اختيار المصادر النابيع ينقلها إلى العربية وشارك في نقل تراث الإنسانية ليكون في متناول أبناء العربية .

ليس من همي أن أتحدث عن سيرة الأستاذ صدقني ، أو أعرض لآثاره وإنما هي كلمة قصيرة أقدمه بها .

ويسعدني أن يتقدم الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم عضو المجمع فيلقني كلمة المجمع في استقبال الزميل الكريم ، ويتحدث عن سيرته العلمية ، وآثاره ، ليتلوه الأستاذ جورج صدقني فيعرض لنا جوانب من سيرة سلفه الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد رحمه الله ، وما كان له من جليل الشأن في عالم الفكر ودنيا الناس .

خطاب الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم

في حفل استقبال الأستاذ جورج صدقني

أيها الحفل الكريم .

لقد أسعدني حقاً أن كلفني مجمع اللغة العربية الموقر استقبال العضو العامل الجديد الأستاذ جورج صدقني . والأستاذ صدقني صديق قديم عرفته منذ زمن بعيد قريب معاً ، منذ ثلاثة وأربعين عاماً عندما عينت مدرساً للفلسفة في اللاذقية . وإن فاتني أن ألقاه وهو على مقاعد الدراسة ، لكونه أنهى المرحلة الثانوية قبيل مباشرتي العمل ، فقد كنت ألقاه بين الحين والآخر في مدينته الجميلة . وإني أذكر جيداً أن نظرته إلى التفكير الفلسفي كانت ، منذ ذلك الحين ، عميقة الاتصال بهموم الحياة القومية وبالتطلع الدائم إلى نهضة أمتنا العربية .

وعندما عُينت في جامعة دمشق توقعتُ أن أراه متسبباً إلى قسم الفلسفة ، بعد أن لمست شغفه الشديد بمتابعة هذا الأسلوب من التأمل والعمل . ولكني علمت أن ظروفًا مادية صعبة دفعته إلى الالتحاق بالتعليم الابتدائي مدة عامين . ثم ما لبث أن نجح في مسابقة حكومية أوفد بعدها لدراسة الفلسفة في جامعة دمشق . وعند ذلك أحس بأنه وجد طريقه المفضل .

لن أتحدث عن مرحلة دراسته الجامعية . ويكفيني أن أشهد بأنه كان متفوقاً لامعاً يمثل الأمل العريض لمستقبل الأجيال العربية .

للأستاذ صدقني اهتمامات متنوعة ابدأ بالإشارة إلى كتب وبحوث نقلها من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية . وأول ما ترجم كتاب لكارل يسبرز بعنوان مدخل إلى الفلسفة . والكتاب مؤلف من مجموعة من الدراسات عرض فيها يسبرز خصائص الفلسفة الوجودية بمعناها الإنساني والمفتوح على ارتباط الفرد بالعلو ، أي بما يتجاوزه ويضعه وجهاً لوجه أمام مسؤوليات التحرر وتحقيق الذات تجاه المصير . ويمتاز الكتاب بالوضوح والسهولة كما تمتاز الترجمة العربية بالدقة وجمال التعبير .

والكتاب الثاني لفرانسوا شاتليه عن فلسفة هيغل . وهو كتاب يشهد له الباحثون بعمق الدراسة وبطابعها الشامل . ولا شك أن اطلاع القارئ العربي على مذهب هذا المفكر العالمي يضعه أمام منبع أساسي من منابع الفكر المعاصر في صورته المختلفة .

وكتاب ثالث ممتاز ترجمه الأستاذ صدقني هو كتاب لجان هيپوليت بعنوان « دراسات في ماركس وهيغل » . ولا شك أن المؤلف هيپوليت قد كان راعياً للدراسات الخيغلية والماركسية الكثيرة في ميدان الفكر الفرنسي .

الكتاب الرابع كان لروينيه عن الفيلسوف جان جوريس . وكلنا يعرف أن جوريس قد ربط ربطاً وثيقاً بين الفلسفة النظرية وبين الاشتراكية النابعة من النزوع الديمقراطي ومن النظرة الأخلاقية .

والكتاب الواسع والغني فعلاً هو لجان جاك شوقاليه عن أمهات الكتب ، السياسية وفيه عرض واضح ودقيق لأفكار مكياثلي ولوك ومونتسكيو وفيشته وتوكفيل وماركس وموراس وسوريل ولينين . وهو كتاب استعين به في التدريس بالمعهد العالي للعلوم السياسية .

أما البحوث التي نقلها الأستاذ صدقني فأهمها لبول ريكور الفيلسوف الفرنسي المعاصر والتي تدور حول فكرة المفارقة السياسية وفكرة العلاقة بين القول والعمل .

وأحب أن أشير هنا إلى مسألة فيها طرافة ودقة ملاحظة تتصل بمفهوم الأمة في اللغات الأجنبية وفي اللغة العربية . فقد كتب الأستاذ صدقي يقول : « لقد رأى المترجمون أن كلمة Nation تقابلها كلمة (أمة) في اللغة العربية . هذا صحيح ، أو ليس خطأ على الأقل . ولكن الخطأ حصل عندما ظن المترجمون أن كلمة Nation تعني (أمة) دائماً ، وفي كل الأحوال ، وأنها لا تعني شيئاً آخر ، في حين أن المطلعين على خفايا اللغة الفرنسية يعرفون أنها ، في كثير من الأحيان ، تعني (الأمة – الدولة) ... أو الأمة التي أصبحت دولة . وعلى سبيل المثال : ان اسم منظمة الأمم المتحدة باللغات الأجنبية يدل على أنها مؤلفة من Nations فترجم اسم المنظمة إلى العربية على مألوف العادة ، فقيل إنها منظمة مؤلفة من أمم . ولا يخفى على أحد... أن عضوية المنظمة لا تُمنح للأمم بل للدول . إن لغتنا العربية تفصل مفهوم الأمة عن مفهوم الدولة فصلاً تاماً ... ذلك أن الأمة العربية مجزأة إلى دول متعددة .

ومن الأمور المتصلة بهذه المسألة أن الأجانب ترجموا كلمة « العروبة » ترجمات مختلفة أدت إلى حدوث نوع من الالتباس . فمنهم من ترجمها بكلمة Pan - Arabisme . وأرجح الظن أنهم ترجموها على هذا النحو مدفوعين بنيتهم السيئة في الاساءة إلى معنى العروبة ، لأننا لو أعدنا ترجمة هذه الكلمة مرة أخرى إلى العربية ، لما وجدنا لها مقابلاً أفضل من « النزعة التوسعية العربية » . ومنهم من ترجمها بكلمة Arabisme لكي يخلصها من صفة النزعة التوسعية . ولكن هذه الترجمة مع ذلك ظلت تواجه مشكلة حقيقية : فهي – فضلاً عن أنها لا تؤدي من معاني العروبة إلا المعنى الحركي – توحى للقارئ الأجنبي بأنها نزعة توسعية أيضاً ، لأنها تذكر بالنزعة الجرمانية Germanisme . والتي عانت الشعوب الأوربية منها الأمرين . وفي الآونة الأخيرة بدأت بعض الأوساط تستخدم كلمة

Arabit  للـدلالة على معنى « العروبة » ... وفي رأينا أن هذه الكلمة أفضل من غيرها ... لأنها تخلصها في نظر الأجانب من سمة التوسع والعدوان المزعومة ... ولكن هذه الترجمة تعاني من نقص أساسي هو عجزها عن التعبير عما تحمله العروبة في طياتها من معنى حركي . باعتبارها حركة نضالية تحررية . ثم ينتهي إلى القول : « إن العروبة لا تعبر عنها تعبيراً مطابقاً إلا كلمة العروبة » ، ولذلك فإني على مثل اليقين بأنه سوف يأتي يوم تنقل فيه هذه الكلمة إلى اللغات الأجنبية بلفظها كما هو لكي تعبر عن نفسها بنفسها .

لقد أردت في ما أوجزته من أقوال الأستاذ صدقي أن أقدم أمثلة تدل على تدقيقه المتصل في ما ينقله إلى العربية ، وتدل في الوقت نفسه على نزوعه الدائم إلى إيضاح كل ما يتصل بمعنى العروبة .

الميدان الرئيسي الثاني الذي اهتم به الأستاذ صدقي هو ميدان الدراسات القومية . ففي سلسلة من البحوث ، نُشرت في مجلة المعرفة السورية كتابات عن قضية الوحدة العربية بين أنصارها وبين أعدائها . وأحب أن أشير إلى عبارة تكشف عن الطابع الشخصي لأفكاره ، ويقول فيها : « إنني أعلم علم اليقين أن ما قررته يخالف الفكر السياسي الوحدوي الشائع في نقطة أو في أكثر من نقطة . ولذلك لن استغرب إذا اصطدم بأفكار شائعة بلغت مرتبة القناعات المفروغ منها » . ومن أقواله إن المناضلين في سبيل الوحدة العربية لا يضعون شروطاً أمامها تتحول إلى عوائق .. إنهم يناضلون لخلق الشروط الملائمة .

فالموقف الوحدوي موقف ثوري ، وهو فعل إيجابي يخلق الظروف المناسبة لغاياته . وأكتفي هنا بإيراد عبارات موحية وذات دلالة ، منها أن الفكر لا يكون تقدماً إن لم يكن وحدوياً ، وأن شيئاً من اللبس والغموض قد انتشر بتأثير ما يطرحه المثقفون الذين ينطلقون من مواقع لا قومية .

ويوجز الأستاذ صدقني حديثه عن أعداء الوحدة العربية في الخارج والداخل بقوله : « إن أعداء الوحدة كثيرون : الاستعمار والامبريالية والصهيونية العالمية والطبقات المستغلة وأنظمة الحكم التي أفرزتها للمحافظة على مصالحها الرجعية والإقليمية والطائفية والعشائرية والعائلية والشعبوية الجديدة » .. ولكن هذا كله لا يدعو إلى اليأس . فهذه القوى المعادية كلها ليست من قوى المستقبل . إنها - دون استثناء - قوى سائرة إلى الاندحار والزوال . ويبقى للوحدة العربية ، رغم كثرة أعدائها ، قوة أقوى من هذه الأعداء مجتمعين ، تبقى لها الجماهير الشعبية الواسعة العريضة .

أنتقل الآن إلى بحوث مبتكرة حاول فيها الأستاذ صدقني أن يقدم على مغامرة روحية كبيرة تتعلق بالعقلية العربية التي يمكن أن تستنبط من بنية اللغة العربية ومن عالم الأمثال العربية . ويؤسفني أني لن أستطيع ، في هذه الكلمة ، الإلمام بهذا الموضوع الجديد في تفرعاته ونتائجه . وسأكتفي بإيراد موجز أرجو أن يعطي فكرة سريعة عن جهود الأستاذ صدقني في هذا الميدان .

يرى الأستاذ صدقني أن الآراء المطروحة في مقالاته تدخل في مجال فلسفة اللغة . وهي تمثل محاولة لقراءة بعض الكلمات العربية قراءة جديدة ، تعتمد على العلاقات والروابط القائمة بينها . فهي جهد تحليلي استقرائي يهدف إلى استخلاص معاني الكلمات التي قد تكون غائبة عن الأفهام لطول العهد باستخدامها ... يقول الأستاذ صدقني : « اللغة العربية هي العقلية العربية ، وهي تصور العرب وفهمهم للوجود . فالمرأة ، مثلاً ، مؤنث المرء ؛ والمرء والمروءة من أسرة واحدة . فالمرء يكون كذلك في العقلية العربية إذا كان من أهل المرءة ، أي شهماً ذا نخوة . وكون المرأة مؤنث المرء يعني أن العقلية العربية تتصور المرأة إنساناً ذات مرءة ، تسارع إلى نجدة الملهوف .. وكلمة « انسان » تنتمي مع الكلمات أنس وأنس وأنيس وغير

ذلك إلى أسرة واحدة . وهذا يعني أن الإنسان قد سمي إنساناً لأنه يأنس بغيره أو يؤنس غيره . أما العقل فيشير إلى الربط والترتيب . ويستخلص الأستاذ صدقي من تحليل مثل هذه الكلمات ، في اللغات المختلفة ، إلى أن العقلية اللاتينية أقرب إلى الفلسفة الواقعية . ذلك أن تصورهما للوجود قائم على أساس أن العالم الخارجي مؤلف من علاقات وأن لدى الإنسان استعداداً لسبر أغوار هذه العلاقات ... وحسابها حساباً كمياً دقيقاً . وهذا التصور كان في أساس ما حققه العلم الحديث من تقدم ونجاح .. أما تحليل الكلمات العربية فيؤدي بنا إلى القول بأن العقلية العربية الأصلية (القديمة) أقرب إلى الفلسفة المثالية . ذلك أن هذا التحليل يوحي بأن تصورهما للوجود قائم على أساس أن العالم الخارجي يبقى مفكك الأوصال ، تسوده الفوضى ، لولا تدخل الإنسان ، الذي يقوم بفعل « العقل » فيصبح العالم مرتباً مترابطاً منظماً .

ولو انتقلنا إلى كلمة واقع ، بالفرنسية Réalité ، لوجدنا أنها مأخوذة من الكلمة اللاتينية Res ومعناها الشيء ، واستطراداً ما هو موجود بالفعل . فهي بذلك حيادية لا تتضمن أي حكم من أحكام القيمة . فالموجود بالفعل لا هو صاعد ولا هو هابط . أما الكلمة العربية « واقع » فهي تتضمن حكم قيمة وتعبر عن نظرة « سلبية » إلى الوجود الواقعي ... وهذا يعني أن الاختلاف بين النظرة العربية والنظرة اللاتينية إلى الواقع يكاد يبلغ حد التناقض .

والعقلية العربية لا تقيم هوة بين الواقع وبين المثل الأعلى ، بل هما في نظرها متواصلان . الواقع مقصر عن المثل الأعلى ، ولكنه صبوة دائمة إلى بلوغه . ثم إن المثالية في اللسان العربي ليست مثالية بالمعنى المعروف في تاريخ الفلسفة الغربية ، بل هي مثالية من نوع خاص تقيم تواصلاً بين المثل

والواقع ، قترى في الواقع قصوراً عن بلوغ المثل يجب تلافيه ، وهو أمر ممكن .

وعندما ينتقل الأستاذ صدقني إلى تحليل الأمثال العربية القديمة يورد عدداً كبيراً منها ، ويقرر أن الأمثال العربية تنفرد ، دون غيرها ، بأن لكل مثل قصة . ولهذا الأمر دلالة هامة ومغزى عميق . فهو يعني أن المثل الأعلى في الفكر العربي القديم ليس فكرة مجردة خالية من الحياة بل هو من صميم الحياة نفسها .

كل ذلك يعني أن الإنسان قادر على بلوغ المثل الأعلى في الواقع . ثم إن الفعل الماضي في المثل العربي يدل على أن واقعاً معيناً قد سما إلى مرتبة المثل الأعلى . فالمثل العربي بهذه الصيغة ليس حكمة ، وليس دعوة إلى الحكمة . إنه انبهار أمام بهاء الواقع المتسامي ، وقصته تهز النفس من الأعماق ، وتستنهض الهمم ، وتبشر بقدرة الإنسان على الارتقاء في مراتب الكمال .

أيها الحفل الكريم

لقد حاولت في كلمة الاستقبال هذه ، على الرغم من الصداقة التي تربطني بالأستاذ صدقني ، ومن الاهتمام المشترك بمسائل الفلسفة التأملية ، ومن الإيمان غير المشروط بأهداف الأمة العربية ، أقول لقد حاولت أن أتخذ موقف الحياد الموضوعي قدر الإمكان وألا أغفل عن أمور تبقى موضع جدل ونقاش .

لقد اجتهد الأستاذ صدقني وأخلص في اجتهاده ، وتحمس لقضايا أمته أجمل حماسة ، فأهلاً به في مجمع اللغة العربية طالباً للعلم الصادق ، وباحثاً عن أهداف عزيزة غالية ومفكراً يملؤه النشاط الحي كما يملؤه الشباب (الشباب النسبي طبعاً) ومتطوعاً لخدمة اللغة العربية بكل ما يستطيع بل بأكثر مما يستطيع . حتى تتحد هذه اللغة مع الفكر العربي ذاته .

وإني لأذكر دائماً أنه كتب مرة يقول : « إني لأشهد بأن لسان العرب هو أجمل لغة على وجه الأرض . ولا عَجَبَ في هذا ، فهو لغة السماء أيضاً » .

والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب الأستاذ جورج صدقني

في حفل استقباله

أيها السيدات والسادة

إن لساني لعاجز عن التعبير عن مدى اعتزازي بالثقة التي أولاني إياها أعضاء المجمع الكرام بانتخابي زميلاً لهم ، فشكراً لهم من صميم القلب ، وعهداً أن أبذل وسع طاقتي في خدمة لساننا العربي المبين ، ما حيت . وإني لأعرب في الوقت نفسه عن أعظم مشاعر الامتنان والعرفان للأستاذ الدكتور شاكر الفحام لترحيبه بي بهذه الكلمات الجميلة الطيبة ، النابعة من نفسه الكريمة وخلقه النبيل ، وكذلك لأستاذنا الدكتور بديع الكسم لما غمرني به من صفات هي بعض البعض من طيب سجاياه وكريم شمائله .

أيها السيدات والسادة

لو أن الأقدار أسعدتني بمعرفة الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد ، رحمه الله ، لسقت إليكم حديثي اليوم عنه بعنوان « كامل عياد كما عرفته » . لكن الأقدار لم تسعدني فأنا لم ألتق هذا المعلم العربي الكبير في حياتي البتة . ولو جريت على مألوف العادة لسردت على مسامعكم سيرة حياته ، لكنني أستاذنكم ألا أفعل ، وأترك لمن يشاء أن يبحث عنها في مظانها ، وليس هذا بعسير . والواقع أنه لم يبق لي ما أقوله عن سيرة عياد بعد الكلمة العاطفية الحارة التي استقبله بها ، في هذه القاعة نفسها في أرجح الظن ، صديقه وصفيّه الأستاذ الدكتور جميل صليبا في ٢٠ كانون الأول عام ١٩٥٨ ، والتي فصل فيها سيرة حياته منذ ولادته في ليبيا عام ١٩٠١ ،

حتى انتخابه عضواً في المجمع ، وكذلك الكلمة البليغة التي كتبها تلميذه الوفي الأستاذ الدكتور محمد حرب فرزات بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته ، ناهيك عن الكلمة الجامعة ، التي ألقاها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام في حفل تأبين فقيد المجمع في ١٤ كانون الثاني ١٩٨٧ ، وجلا فيها فضائل الفقيد وشيمه وعرض سيرة حياته كلها فلم يترك زيادة لمستزيد .
إنني لا أحب لنفسي ، ولا أحب لكم ، أن أردد على مسامعكم وأعيد ، لهذا أستاذنكم في أن أقصر حديثي على الجانب الفكري والثقافي من شخصية كامل عياد .

ولكن كيف لوقت هذه الأمسية المحدود أن يتسع لجلاء جوانب شخصيته الموسوعية كلها ؟ أأحدثكم عنه فيلسوفاً ، أم مؤرخاً ، أم عالم تربية ، أم صحافياً ، أم كاتباً يترجم القصص والمسرحيات وينقلها من الألمانية ، أم منشئ أجيال ؟ لقد جمع في إهابه هذه الشخصيات كلها على نحو متكامل لا تناقض فيه . إنه لضرب من ضروب المحال أن أحيط الآن بكل جانب من جوانب شخصيته الفكرية ، ويبدو لي أنه لا بد لي من معاناة حيرة الاختيار . ولما كانت هذه الجوانب كلها وجوهاً متعددة لشخصية واحدة ، فإنني أؤثر التركيز على « فلسفة التاريخ » عنده ، لأنها كانت من اهتماماته كلها بمشابة البؤرة ، أو المحور . والحق أن العشق الحقيقي ، الذي أخذ بمجامع نفسه كلها ، لم يكن الفلسفة وحدها ، ولا التاريخ بمفرده ، وإنما « فلسفة التاريخ » ، لأنها تجمع الفلسفة التي موضوعها الحقائق الكلية ، إلى التاريخ ، الذي موضوعه الحوادث الجزئية ، فكأنني بكامل عياد كان يرمي دائماً إلى الارتقاء من حوادث التاريخ الجزئية إلى حقائق الوجود الكلية .

لقد سمعت كثيرين يقولون إن الدكتور عياد كان ماركسياً . وهذا أمر ليس لي أن أنفيه أو أثبته . لقد وجدت بالفعل نكهة ماركسية خفيفة في

بعض مقالاته ، لكنها لا تجعلني أصنفه في عداد الماركسيين . لقد كان الدكتور عياد معتدلاً بعيداً عن التعصب ، خلافاً للماركسيين . وهذا يجعلني على القول إنه لو كان الماركسيون يتحلون بمثل اعتدال الدكتور عياد وبعده عن التعصب ، لما صاروا إلى المصير الذي تعرفون . والحق أن الدكتور عياد كان « خلدونياً » - إذا جازت النسبة على هذا النحو - جعل من ابن خلدون قدوة ومثالاً ، وكان الأثير على قلبه ، فاصطفاه دون سواه من المفكرين والفلاسفة العرب ، كابن رشد والغزالي والكندي وابن سينا ، موضوعاً لرسالته ، التي وضعها باللغة الألمانية ، ونال بها درجة الدكتوراة من جامعة برلين . وأصدر بالاشتراك مع الدكتور جميل صليبا كتاباً يضم نصوصاً مختارة لابن خلدون . وجعل من ابن خلدون محطة يستوقف القارئ عندها في معظم كتاباته المتصلة بالتاريخ ، مثال ذلك أنه أفرد في أمليته الجامعية « تاريخ التربية » فصلاً ضافياً عن التربية عند ابن خلدون . صفوة القول إن عياد كان خلدونياً في الأساس ، وإذا كان قد وجد في الفكر الماركسي جوانب حازت على إعجابه ، مثل فكرة القوانين في التاريخ والحتمية التاريخية ، فمرد ذلك - في تقديري - أنه وجد فيها تطويراً وإغناء لفكر ابن خلدون الأصيل .

أيها السيدات والسادة

للدكتور عياد مقالات عديدة في فلسفة التاريخ ومعناه ، على أن واحدة منها عنوانها « عبر التاريخ » ، نشرت عام ١٩٧٦ ، تعد أنموذجاً لأسلوب عياد ، الذي يتصف بعقريّة البساطة ، وتفصح عن خلاصة فكره في فلسفة التاريخ خير إفصاح . وإليك زبدة القول فيها :

يستهل عياد مقالته بقوله : « من السهل جداً أن نذم التاريخ . فقد لاحظ الناس منذ القديم أن الأخبار التي يرويها المؤرخون لا يمكن الوثوق بصحتها ، يختلط فيها الصدق بالكذب ، ويعتريها التشويه والتحريف

والتزوير ... » . ثم يتقل عن ابن الأثير قوله : « رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ، ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية ، يحتقر التاريخ ويزدريها ، ويعرض عنها ويلغنها ، ظناً منه أن غاية فائدتها إنما القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار » . ويستعيد عياد رد ابن الأثير على هؤلاء ، وتعداده فوائد علم التاريخ ، إلى أن يختم الرد بقوله : « ولهذا الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد » . وبعد أن يشير عياد إلى كتاب « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » لشمس الدين السخاوي ، من علماء القرن الخامس عشر الميلادي ، يقول : « وما زال بعض الباحثين يدعون أن التاريخ ليس علماً بالمرّة ، لأنه لا يكشف عن حقائق وقوانين عامة .. بل يقتصر على سرد وقائع فردية وحوادث جزئية .. وتساهل آخرون فقالوا : إنه لا يمكن اعتبار التاريخ علماً إلا من حيث طرائق بحثه فقط ... ويتساءل الكثيرون : ما الفائدة من الاشتغال بالتاريخ والرجوع إلى الماضي ، في هذا العصر الذي ... أخذت فيه الأمم تتسابق نحو المستقبل ؟ » .

ويروي عياد أن هنري فورد ، صاحب مصانع السيارات المشهورة ، دعي عام ١٩٢٧ لزيارة بعض الأماكن الأثرية ، فاعتذر ، وصرح بأن التاريخ كله هراء وسخف . ثم يقول عياد إن هذا التصريح « يدل على تفكير صياني ، سطحي من رجل أمريكي ، ليس لبلاده في الماضي تاريخ يذكر » . ثم يضيف في ما يشبه الشماتة : « لم يكن المستر فورد يعرف شيئاً عن تاريخ الأزمات الاقتصادية الدورية ، التي رافقت تطور النظام الرأسمالي ، وكان هذا التاريخ أراد أن يتقن من المستر فورد ، ويلقنه درساً ، فلم تمض سنتان حتى حدث الانهيار الاقتصادي الهائل في سنة ١٩٢٩ .. » .

ويشير عياد إلى هجوم (نيتشه) على التاريخ وادعائه أن الالتفات إلى الماضي يحرم البشر من التمتع بحياتهم الحاضرة ، ويهزأ به ضمناً عندما يقول : « كان نيتشه يغبط الحيوانات لأنها تعيش في الحاضر فقط ، فهي سعيدة .. »

لأنها لا تتذكر الماضي ، ولا تفكر في المستقبل . وينتهي عياد إلى القول : « إنه من السهل حقاً أن نطعن في التاريخ ، ولكن من الصعب جداً أن نتحرر منه ونستغني عنه » .

ويعلن عياد « أن التاريخ يقوم لدى الشعوب مقام الذاكرة عند أفراد البشر » ، ويسهب بعد ذلك في شرح دور الذاكرة في تكوين شخصية المرء ، ويبين أهميتها في مراحل العمر المختلفة ، ويركز اهتمامه على ما تتصف به الذاكرة من انتقاء في ما تجمع وتخزن ، فيقول : « إن شرط التذكر الصحيح هو النسيان ... وهكذا التاريخ بالنسبة إلى الشعوب : فإنه ... لا نفع في استقصاء كل الأمور ... لا بد من عملية اصطفاء لابرار الحوادث الخطيرة ... وانتقاد الأخطاء ، وبيان أسباب النكبات والنكسات لاستخلاص العبر منها ، وكما لدينا من تقاليد وعادات بالية ... لا بد لنا من نسيانها والتخلص منها ، إذا أردنا السير في طريق التقدم ... » . ثم يقول : « إن الشعوب الفتية لا تهتم إلا بالمستقبل ، وتنصرف في الحاضر إلى تكوين ذاتها وبناء حضارة جديدة . وحين تتوقف ... عن النمو ... والابداع تتجه إلى الماضي ، تتغنى بأمجاده ، أو تدعو إلى إحيائه والرجعة إليه . ثم عندما تهزم ... تبدأ في دراسة تاريخها ، وتبحث في أسباب التقدم والتأخر ... » فيتكون (الوعي التاريخي) التام والواضح ، الذي يجعلنا نعرف من نحن ، وإلى أي مرحلة من التطور وصلنا ، وفي أي طريق نسير ... هناك شبان يرغبون في التحرر من الماضي ... يصرخون قائلين : نريد أن نعيش الحياة الحاضرة ، حياة عصرنا ، ولا يهتمنا الماضي الميت « لكن عياد يرد على هؤلاء ويقول إن « الحاضر ليس سوى امتداد للماضي ، ونحن لا يمكننا أن نفهم أوضاعنا ومشاكلنا الحاضرة ، وأن نعالجها معالجة صحيحة ناجعة ، وأن نرسم الطريق إلى المستقبل ، إلا بالرجوع إلى الماضي وإدراك الأسباب الفاعلة .. التي أدت إلى خلق تلك المشاكل (التي) لها جذورها وأصولها في

التراث . ويفصل عياد في هذا الباب تفصيلاً حتى يقول : « إن العالم الذي يحيط بنا يظل لغزاً إذا لم نعرف كيف تكون ... وإذا تساءلنا لماذا يختلف موقف العربي عن موقف الانكليزي مثلاً ، أو الفرنسي في الظروف الخاصة أو العامة ، فإن التاريخ وحده يعطينا الجواب » .

أما فائدة التاريخ على صعيد حياتنا العملية فيتناولها عياد مشيراً إلى اعتقاد « الناس في جميع العصور بأنه من الممكن استخلاص عبر ودروس من التاريخ يسترشدون بها في أعمالهم » . ويعرض آراء هيرودوت وتوكيديدس وديودورس الصقلي في هذا الباب ، ويسهب في عرض آراء المؤرخ اليوناني بوليبيوس ، الذي كشف الغطاء عن الأسس المتينة ، التي قامت عليها عظمة روما ، وعلل الاستقرار الذي عرفه نظام الحكم فيها ، وبين أن معرفة الماضي هي أفضل وسيلة لإصلاح الطبيعة البشرية ، ونصح المؤرخين بأن يركزوا اهتمامهم على كشف الأسباب ، ومعرفة النتائج ، لا على سرد الوقائع ورواية الأخبار .

ثم انتقل عياد إلى المؤرخين العرب ، فاقتطف من كتاب (تجارب الأمم) لمسكويه قوله : « إني لما تصفحت أخبار الأمم وسير الملوك وقرأت كتب التاريخ وجدت فيها ما يستفاد منه تجربة في أمور لا يزال يتكرر مثلها وينتظر حدوث شبيهها » إلى أن يقول مسكويه : « ولما كانت أمور الدنيا متشابهة وأحوالها متناسبة صار جميع ما يحفظه الانسان من أحداث التاريخ كأنه تجارب له ، وكأنه عاش الزمان كله » .

وينقل عياد من كتاب (الآداب السلطانية) هذه الحكاية : « طلب الخليفة (المكتفي) من وزيره كتباً يلهو بها ويقطع بمطالعتها وقته . فتقدم الوزير إلى نوابه بتحصيل ذلك ، وعرضه عليه قبل حمله إلى الخليفة . فحصلوا على بعض كتب التاريخ ، وفيها شيء مما جرى في الأيام السالفة من ... معرفة التحيل في استخراج الأموال . فلما رأى الوزير ذلك قال

لنوابه : والله إنكم أشد الناس عداوة لي ! أنا قلت حصلوا له كتباً يلهو بها عني وعن غيري . وقد حصلتم له ما يعرفه مصارع الوزراء ، ويرشده إلى الطريق لاستخراج المال ، ويبين له خراب البلاد من عمارتها .

ثم وقف عياد وقفة غير قصيرة عند « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر » لابن خلدون ، « الذي أراد أن يجعل من التاريخ علماً ... يقوم على دراسة العمران والاجتماع البشري ومعرفة قوانين التطور » . وأوضح أن « ابن خلدون كان يطالب بملاحظة تبدل الأحوال في الأمم والأجيال مع مرور الأيام ، واختلاف الأخلاق والعوائد والمذاهب من عصر إلى عصر » . وكان يدعو إلى المقارنة بين الحوادث لمعرفة ما بينها من تشابه أو تباين ، وتعليل ذلك ، ويحذر من أن نحكم على أخبار الماضين حسب أوضاعنا . وذكر عياد بنظرية ابن خلدون التي تقول بحتمية التطور التاريخي ، وتذهب إلى أن كل مجتمع يجتاز في تطوره أدواراً معينة ، تتكرر بانتظام ، وتشبه مراحل نمو الكائنات الحية وفنائها ، وتدعي أن هناك قوانين تاريخية، مثل القوانين الطبيعية ، لا تتغير لذلك لا مجال في التاريخ للمصادفات أو المعجزات . وأشار أيضاً إلى أن ابن خلدون بين أن الحوادث التاريخية تخضع لقانون السببية . وهنا يكمن السر في إمكان الاستفادة عملياً من عبر التاريخ ، لأن الأسباب نفسها لا بد أن تؤدي إلى النتائج ذاتها .

ولكن لما أطل القرن التاسع عشر ، أخذ الاعتقاد بالاستفادة من عبر التاريخ يتزعزع . وأيد عياد هذا التحول مستشهداً بما كتبه هيجل في ذلك الوقت ، إذ قال : « الشيء الوحيد ، الذي نتعلمه من التاريخ هو أن لا أحد يتعلم من دروس التاريخ شيئاً » . إن في التاريخ أمثلة كثيرة عن العقوبة الوخيمة التي ينتهي إليها الظلم والطغيان ، غير أن هذا لم يردع الطغاة المستبدين ، وظلوا يطمعون في الاستئثار بالحكم وخنق حرية الشعوب . ونابليون أخطأ خطأ فاحشاً بهجومه على روسيا وزحفه على موسكو ، ولكن

هتلر لم يتعلم من هذا الخطأ ، بل سرعان ما وقع فيه . وبعد أن يورد عياد أمثلة كثيرة وطريقة من هذا القبيل ، استقاها من الحريين العالميتين ، يقول معلقاً على كلمة هيغل « إنها لا تعني أنه يستحيل استخلاص العبر من التاريخ ، ولكنها تعلن أن البشر ، أفراداً وشعوباً وحكومات ، لا يستفيدون من هذه العبر ، إما لجهلهم ، أو طيشهم ، أو ضعف إرادتهم وانقيادهم للأنانية وما يتفرع عنها من طمع وحسد وخوف وحقد » . وينبه عياد إلى أنه « للاستفادة من دروس التاريخ يجب أن تكون لدينا معرفة جيدة دقيقة للحوادث ، وأن نحسن تفسيرها ونلاحظ اختلاف الظروف التي وقعت فيها بالنسبة إلى الأوضاع الجديدة » . ويضرب أمثلة عديدة على ذلك من حرب القرم وحرب سنة ١٨٧٠ وثورة البلاشفة والثورة الفرنسية .

وبعد كلمة هيغل « ارتفعت أصوات كثيرة تؤكد على أن أهم درس نتعلمه من التاريخ هو أنه لا يعيد نفسه ، وأن الصفة المميزة للحدث التاريخي هي أنه فريد ، ومقيد بمكان معين وزمان محدود وظروف خاصة ، وأنه لا يتكرر أبداً .. على الصورة نفسها وبجميع التفاصيل و... أنكر قسم من العلماء أن تكون هناك قوانين تاريخية ثابتة مثل القوانين الطبيعية ، وحجتهم في ذلك .. أن المصادفات لها دور كبير في حياة البشر ... وأن حوادث التاريخ تنبعث من إرادة الأفراد الحرة ، فهم الذين يصنعون تاريخهم ، وزعماء الشعوب يتبعون أهواءهم الذاتية ، فكيف يمكن أن نستخلص الدروس والعبر من التاريخ ؟

وينبري عياد لمناقشة هذه الاعتراضات والرد عليها بالتفصيل فيؤكد أن القول بحرية الإرادة من وجهة نظر ما بعد الطبيعة لا ينفي أن الأعمال البشرية تخضع لقوانين منتظمة . ويستند في رده هذا على اجتهادات علماء الكلام المسلمين وعلى الفيلسوف الألماني (كنت) ، وينتهي إلى القول مع هيغل « إن الشخصية التاريخية العظيمة ليست سوى الفرد البارز في

المجتمع ، والذي هو محصول الأحداث التاريخية ، وفي الوقت نفسه صانع هذه الأحداث والمؤثر في توجيهها .

وعن دور المصادفة في التاريخ يورد عبارة باسكال الساخرة : « لو كان أنف كليوباترا أقصر لتبدل مجرى أحداث العالم » . يقصد أن أنطونيوس ما كان ليقع في غرامها وينهزم في معركة (أكسيوم) . كما ينقل عن تشرشل أن قرداً صغيراً عض اسكندر ملك اليونان ، فتسمم الجرح ومات الملك في خريف سنة ١٩٢٠ . ويضيف تشرشل قائلاً : « بسبب هذه العضة مات ربع مليون من البشر » ، ذلك أن اليونانيين أعادوا الملك قسطنطين إلى الحكم فاستأنف الحرب ضد الأتراك ، وسقط فيها هذا العدد من القتلى . ثم يفسر عياد المصادفة بأنها نقطة التقاء سلسلتين من الأسباب الحتمية ، ولهذا فالمصادفة لا تتنافى مع قانون السببية والحتمية ، ولا يمكننا أن نستنتج قاعدة عامة من التقاء أنطونيوس وكليوباترا فحواها أن قادة الجيوش عامة يخسرون المعارك إذا هم وقعوا في غرام ملكات جميلات . ثم يعترف عياد بأن التاريخ لا يعيد نفسه ، لكنه يؤكد أن في تاريخ الشعوب أوضاعاً متشابهة قد تؤدي إلى نتائج مماثلة ، ويضرب مثلاً على ذلك أن الأزمات التي سبقت الثورة الإنكليزية سنة ١٦٤٠ والثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ والثورة البلشفية سنة ١٩١٧ كانت أزمات متشابهة .

وينبها عياد إلى أننا نخطئ كثيراً إذا اعتقدنا بأن التاريخ يقدم لنا وصفات جاهزة وحلولاً كاملة . إن الفرد يستفيد من التجارب التي مرت به . والتاريخ إنما هو ذاكرة البشرية التي تحوي خلاصة تجارب الشعوب على مر العصور . وتجارب التاريخ ليست نماذج نقتدي بها ونقلدها ، بل هي مادة للتأمل والتفكير والمقارنة . نتعلم من التاريخ أن أحوال البشر في تطور دائم ، كذلك تعلمنا التاريخ كيف نفكر تفكيراً واقعياً انتقادياً ، ويحررنا بذلك من الأوهام والأضاليل والأساطير . إن مقدرات الأمم مرتبطة

بإدراكها للعوامل التاريخية ، التي نشأت عنها أوضاعها الحاضرة ، ومعرفتها للرواسب ، التي انتقلت إليها من الماضي ... يجب ، في تاريخنا القومي أن نربط بين أمجادنا وتقاليدنا الماضية وبين حاضرننا ، فلا يجوز أن نغرق في الماضي ونستسلم إلى سحره وننسى واقعنا ومتطلبات عصرنا . إن الانغماس في الماضي قد يورث الضعف بدلاً من القوة ويشل الإرادة عوضاً عن أن يدفعنا إلى النهوض ..

ويورد عياد أمثلة من التاريخ كثيرة ومملوءة عبراً ، أقتطف منها هذا المثال : في سنة ١٨٠٤ استدعى ملك بروسيا السياسي الألماني فون شتاين لتولي الوزارة وتنظيم حركة المقاومة ضد نابليون ، فلم يقبل إلا بشروط ، بينها إصدار قانون بتحرير الأتقان وآخر بتنظيم ملكية الأراضي ، رغم أنه كان من النبلاء الاقطاعيين المحافظين ، ومن المعارضين لمبادئ الثورة الفرنسية . قال فون شتاين للملك : « كيف أستطيع ، يا صاحب الجلالة ، أن أدعو الفلاحين ، الذين يؤلفون أكثرية الشعب ، إلى الدفاع عن أرض لا يملكون منها شيئاً ؟ وكيف نطالب أفراد الشعب بأن يقاتلوا في سبيل حرية بلادهم ، إذا لم يكونوا هم أنفسهم أحراراً ؟ » .

وفي النهاية يصل عياد إلى زبدة الزبدة فيقول :

« وأخيراً هانحن في الوطن العربي ، عندما نفكر كل يوم في تحرير فلسطين ، تعود بنا الذاكرة رأساً إلى جهاد صلاح الدين الأيوبي ، الذي طرد الصليبيين من الأراضي المقدسة . وعلى الرغم من معرفتنا بالفروق العديدة بين الأوضاع التي كانت سائدة في القرن الثاني عشر ، وبين الحالة في الوقت الحاضر ، فإننا نعتقد بأن أعمال صلاح الدين يمكن أن تكون عبرة ، وحافزاً لنا ، ودرساً نتعلم منه . وبديهي أننا لا نستفيد شيئاً من إحياء ذكرى صلاح الدين ، إذا اقتصرنا على الإشادة بصفاته السامية ، ومزاياه النادرة ، والتغني بأعماله المجيدة . إنه لا بد لنا من دراسة دقيقة

للخطط السياسية البعيدة ، التي رسمها ، والأساليب العملية ، التي اتبعها لبلوغ الهدف ، ليس بمحشد الجنود وجمع العتاد والذخائر فحسب ، بل كذلك بإنشاء الطرق والجسور ، وتسهيل وسائل العيش للشعب ، بإلغاء المكوس وتخفيض الضرائب ، ثم تنوير الأفكار بتأسيس المدارس ونشر العلم . وهو لم يكتب له النجاح في طرد الصليبيين إلا لما اتصف به من بعد النظر ، والمهارة السياسية ، والثقة بالنفس ، والحزم في تنفيذ ما يصمم عليه ، والصبر على الشدائد ، والعمل المتواصل دون كلال أو ملل . فكان حقاً مثال البطولة في تاريخ الإسلام ، بل كان ، باتفاق اراء المؤرخين المسلمين والفرنج على السواء ، من أعظم عباقرة العالم . وإن في سيرته لعبرة لمن يتفكرون ؟» .

أيها السيدات والسادة

هذا نزر يسير من عطايا الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد لأمتة العربية ، وما أعظم ما أعطى ، وما أقل ما أخذ ، وما أفدح ما فقدناه برحيله . رحم الله هذا المعلم العربي الكبير رحمة واسعة بقدر ما أوسع في البذل وأجزل في العطاء .

أشكر لكم حسن إصغائكم والسلام .

حفل استقبال

الزميل الأستاذ الدكتور عادل العوا

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ٧/٥/١٤١١هـ = ٢٤/١١/١٩٩٠م (الدورة الجمعية ١٩٩٠ - ١٩٩١م) الأستاذ الدكتور عادل العوا عضواً عاملاً في المجمع . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٤) تاريخ ١٤/١١/١٤١١هـ = ٢٧/٥/١٩٩١م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور عادل العوا في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٧ جمادى الأولى ١٤١٢هـ / ١٣ تشرين الثاني ١٩٩١م حضرها نخبة من رجال الفكر والأدب والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحاضرين لمشاركتهم في هذا الاحتفال ، وهنا الأستاذ الدكتور العوا ثقة زملائه المجمعين به واختيارهم له لانضمامه إلى صفوفهم يؤيد مسعاهم في خدمة اللغة العربية والذود عنها .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمع . أشاد فيها بسجاياه الخلقية ومكانته العلمية وذكر طرفاً من سيرته .

ألقى بعد ذلك الأستاذ الدكتور عادل العوا كلمته التي تحدث فيها عن اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية .

ونشر فيما يلي كلمات الحفل .

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم :

أحييكم أجمل تحية ، وأرحب بكم ، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور ، لتشاركونا في الاحتفال باستقبال الأخ الكريم والزميل العزيز الأستاذ الدكتور عادل العوا .

لقد انتخب الأستاذ العوا عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع ، في دورته الجمعية ١٩٩٠-١٩٩١ م (التي عقدت في ١٤١١/٥/٧ هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤ م) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٤ (في ١٤١١/١١/١٤ هـ = ١٩٩١/٥/٢٧ م) بتعيينه^(١) .

فهنيئاً للأستاذ العوا ثقة زملائه المجمعين به ، واختيارهم له زميلاً عزيزاً ينضم إلى صفوفهم ، ويؤيد مسعاهم ، قد أعدّ عدته ليقدم لمجمع الخالدين صفوة تجربته ، وخلاصة خبرته .

والأستاذ العوا ، هو ما هو علماً ومعرفة ، قد فطر على القراءة والمطالعة والبحث ، ووقف نفسه على التعلم والتعليم .

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٦ ، ج ٣ ، ص ٥٧٠ (تموز / ١٩٩١ م) .

بدأ يدرّس ويحاضر منذ عام ١٩٤٥ م ، وها هي ستة وأربعون عاماً قد مرت ، وهو دائب في عمله ، متفان في تحقيق هدفه ، يعطي دون توقف ، قد تخرّج به مئات ومئات من الطلاب ، بعد أن ملؤوا عيابهم من المعرفة ، واكتسبوا ما أهّلهم لحياة البحث ومتابعة العلم .

ولئن كان مركز نشاطه العلمي في جامعة دمشق ، إنه قد مدّ من حدود نشاطه فدرّس وحاضر في الجامعة الأردنية ، والجامعة اللبنانية ، وجامعة الجزائر ، وجامعة هلسنكي ، كما حاضر في جامعتي الكويت واليرموك . وكان له المشاركات الواسعة في المؤتمرات والندوات العلمية العربية والعالمية ، وقام بقسط وافر في المناصب العلمية الإدارية بجامعة دمشق ، فترأس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ، وكان وكيلاً لكلية الآداب وعميداً لها سنوات عدة .

كان الكتاب صديق الأستاذ العوا وجليسه طوال حياته ، فهو مشغوف بالمطالعة ، لا يفتر عن القراءة والتقييد ، وقد واثته موهبة التعبير الجميل ، والأسلوب السلس ، فاستجاب لها ، وسلك في كتابته طريقي التأليف والترجمة ، وقدمّ لدنيا الثقافة والكتب مجموعتين من نفائس مؤلفاته وترجماته أغنى بهما المكتبة العربية ، وهياً للناشئة العربية الجنى الطيب تزود منه بنخير زاد ، ويفتح لها النوافذ لتطل على آفاق الفكر الواسعة .

صدر أول تأليف الأستاذ العوا (الفكر الانتقادي لجماعة أخوان الصفا) سنة ١٩٤٨ م ، وتابع الأستاذ طريقه بهمة وعزيمة لا يعرفان الكلل ، ليصدر كتابه الثالث والعشرون (مذاهب السعادة) سنة ١٩٩١ م .

وقدّم أول كتبه المترجمة (المدنية : سراها وبقينها) سنة ١٩٥٧ م ، ليصدر كتابه المترجم التاسع والثلاثون (الحرية) سنة ١٩٩٠ .

إنه التاج الطيب الوفير ، قد آتى أكله أضعافاً مضاعفة . لقد أعطى الأستاذ العوا فأكثر وأطاب ، ولم يُمسك ، وإنه ليحق له أن يزهي بما قدم ، وإننا لنعتزُّ بالزميل العزيز رفيقاً يؤازر ويسعف ، لتظل الفصحى اللسان المبين في كل المؤسسات والبيئات العلمية في الوطن العربي .

لقد أسعدني الحظ بصداقة الأستاذ العوا ، وقُدِّر لنا أن نعمل معاً فقد كان الأستاذ العوا عميداً لكلية الآداب ، وكنا نلتقي أسبوعياً في مجلس الجامعة طوال ثلاث سنوات (١٩٦٨-١٩٧١) ، فعرفنا فيه سماحة الخلق ، وحصافة الرأي ، وثقوب النظر ، وحسن التأني لحل المشكلات .

أعود فأرحب بالزميل العزيز رفيق دربنا في خدمة اللسان العربي المبين . وأدعو الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا عضو المجمع ليتفضل بالقاء كلمة المجمع في استقبال الأستاذ العوا ، ويعرض سيرته العلمية ، ثم يُعقبه الأستاذ العوا فيلقي كلمته التي يتحدث فيها عن اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية .

خطاب الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

في حفل استقبال الأستاذ الدكتور عادل العوا

السيد العماد مصطفى طلاس نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع
سيادة وزير الأوقاف والسيد الأستاذ الدكتور نائب رئيس مجمع اللغة العربية
السادة الزملاء أعضاء مجمع اللغة العربية سيداتي سادتي .

حينما كُلفت من قبل مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق الكلام عن
السيرة العلمية للأخ الزميل والصدیق العزيز الأستاذ الدكتور عادل العوا ،
احتفالاً باستقباله عضواً عاملاً في المجمع المذكور ، عادت بي الذاكرة إلى
عام ١٩٣٨ حينما أقام الأستاذ المرحوم جودت الهاشمي ، مدير الثانوية الأولى
بدمشق ، حفلاً تكريمياً للطلاب المتفوقين في نهاية الامتحان ، وكان
الدكتور العوا الأول في شعبة الفلسفة من الصف الثاني عشر في النظام
القديم .

وفي ذلك العام أعلنت وزارة المعارف في سورية عن مسابقة لإيفاد
عند من حملة الشهادة الثانوية إلى فرنسا ، للتخصص في فروع العلم
المختلفة . وقد تقدم الدكتور العوا إلى امتحان تلك المسابقة للتخصص في
الفلسفة ، فنجح فيه بتفوق ثم سافر إثر ذلك إلى فرنسا ، وانتسب إلى
جامعة السوربون في باريس لتحضير شهادتي اللسانس والدكتوراه . وقد
شاءت الأقدار أن يحظى بالتلمذة على أيدي مجموعة من خيرة أساتذة

الفلسفة في ذلك الحين ، كما كان المُشرف على تحضير رسالة الدكتوراه ورئيسُ لجنة الحكم العلامةُ والمستشرقُ الشهير لويس ماسينيون .

أما موضوعُ تلك الأطروحة التي قدّمها عام ١٩٤٥ فكان (الفكرُ الانتقادي في رسائل أخوان الصفا) . لقد طُبعت هذه الرسائل ونُشرت عدةَ مرات ، في الهند والقاهرة وبيروت ، ولكن دون تحقيقٍ علمي صحيح أو دراسةٍ منهجية . لذلك انتخب الأستاذ العوا نسخة القاهرة ، المصحّحة والمنشورة من قبل المرحوم الأستاذ خير الدين الزركلي عام ١٩٢٩ . وقام بدراستها دراسة تحليلية ونقدية باللغة الفرنسية ، وخلصَ منها إلى النتائج الرئيسة الآتية :

لقد كان القصدُ من كتابة هذه الرسائل ونشرها الدعوة في مختلف الأوساط الاجتماعية والقومية والثقافية والدينية ، للانضمام إلى حركة أخوان الصفا ، يبلغ عددُ هذه الرسائل اثنتين وخمسين رسالة . وهي أشبه بمحاضراتٍ جلسات لهذه الجماعة ، يثونها في الناس لشرح أفكارهم بأسلوبٍ علمي وفلسفي أصيل .

كانت حركة أخوان الصفا في أول أمرها متميزةً بتجاوز الانحياز إلى أي مذهب أو دين . وكان هدفها التقاء الناس كافةً على مذهبٍ إنساني يجمع ما سبقه وعاصره من مذاهب وحركاتٍ دينية وفلسفية . كما امتازت حركتهم بنزعة اشتراكية بالإضافة إلى النزعة الإنسانية المثالية .

لقد قاموا بتصنيف الناس في أربع زمر ، فمنهم من رُزق العلم والمال ومنهم من حُرم منهما . ومنهم من رُزق العلم دون المال أو رُزق المال دون العلم . ولكي ينعم جميع هؤلاء الناس بالسعادة والخير يجبُ عليهم أن يتعاونوا في السراء والضراء ، وأن ينشروا العدل في صفوفهم ثم في مجتمعهم . لقد أطلق أخوان الصفا على أنفسهم اسم أهل العدل وأبناء الحمد . وفي

تسميتهم أنفسهم بأهل العدل إشارةً جليةً إلى إجلالهم الاسم الذي هو أحبُّ الأسماءِ إلى المعتزلة .

إن الدراسة الموضوعية لرسائل أخوان الصفا ، والتحليل النقدي لنصوصها يُبين خصائص تفكيرهم ، مما يُبيح لنا تحديد هويتهم الثقافية واعتبارهم معتزلة متأخرين .

تابع الأستاذ العوا بعد تخرجه ، دراسته للفكر العربي الإسلامي ، وغني بنشر نصوص إسماعيلية في كتاب عنوانه « منتخبات إسماعيلية تُنشر لأول مرة » ، مع مقدمة وافية تشير إلى الحركة الإسماعيلية وتطورها .

ثم توسع بعد ذلك في بحث جانبيين أساسيين من الفكر الإسلامي وهما « علم الكلام والفلسفة » فنشر كتاباً بهذا العنوان عام ١٩٦٤ ، تحدث فيه عن مختلف الفرق الكلامية ، والمسائل الرئيسية التي عالجها أصحاب الكلام .

وفي مضمار الفلسفة العربية سبق الأستاذ العوا مؤرخي الفلسفة إلى تمييز تيارين في الفلسفة العربية المشرقية ، دعا أحدهما التيار الانتقادي ، وبحث فيه عن آراء ابن المقفع والنظام والجاحظ والمعري وأخوان الصفا . أما الفريق الثاني فهم الفلاسفة المسلمون الذي اهتموا بالتوفيق بين الشرع والفلسفة ، وكان منهم الكندي والفارابي وابن سينا . لقد امتاز الفريق الأول بنظرته الإنسانية الشاملة ، بينما اقتصر اهتمام الفريق الثاني على الإنسان المتدين المسلم .

وفي عام ١٩٨٧ نشر الأستاذ العوا كتاباً بعنوان (المعتزلة والفكر الحر) ، أوضح فيه أسباب ظهور حركة الاعتزال ، واعتبراها ارتكاساً تاريخياً وثقافياً وسياسياً ، على تطرف الخوارج المتزمتين ، وتراخي المرجئة السليبيين . ثم حلل خصائص حركة المعتزلة من شتى الجوانب العقلية

والعلمية والانتقادية والإنسانية . وتحدث عن آراء بعض زعمائهم أمثال :
واصل بن عطاء والعلاف والنظام والجاحظ والقوطي وابن أبي دواد
وغيرهم . وفي نهاية كتابه قدم بحثاً شاملاً عن تأثير المعتزلة وتأثيرهم ،
وأوضح استمرار روح الاعتزال في الفكر العربي والإسلامي إلى وقتنا
الحاضر .

لقد اهتم الأستاذ العوا بعلم الأخلاق ، إلى جانب اهتمامه بعلمي
الكلام والفلسفة ، فنشر منذ عام ١٩٥٨ كتاباً عنوانه « المذاهب
الأخلاقية » ، بين فيه مفهوم الأخلاق عند مختلف المفكرين والفلاسفة ،
منذ نشأة الفكر الأخلاقي في اليونان حتى المرحلة المعاصرة ، فأصبح البحث
الفلسفي في الأخلاق يندرج في مجال معاصر شامل تحت اسم (فلسفة
القيم) . ومن الفصول التي تناولها في كتابه هذا مذاهب المدرسة السقراطية
والأبيقورية والرواقية ، ومذهب ديكارت وسبينوزا وليبنز وكانت ، كما تحدث
عن الموسوعيين وروسو وآدام سميث ، وعن شبنهور وسبنسر ونيتشه
وبرغسون وسواهم .

وفي عام ١٩٦٠ نشر الأستاذ العوا كتاباً بعنوان (القيمة
الأخلاقية) ، توسع فيه في بيان النظرة المعاصرة لهذا المفهوم ، ثم تتابع بعد
ذلك ظهور عدة مؤلفات أخلاقية له ، نكتفي بالإشارة إلى عناوينها وهي :
(الوجدان) صدر عام ١٩٦١ - (أسس الأخلاق الاقتصادية) عام
١٩٨١ - (العمدة في فلسفة القيم) عام ١٩٨٦ - (الأخلاق والحضارة)
عام ١٩٨٩ - (أخلاق التهكم) عام ١٩٨٩ - (مذاهب السعادة) عام
١٩٩١ .

ومن مؤلفاته المهمة أيضاً ، والمتعلقة بالمطلب الأخلاقي ، كتاب عنوانه
(من معالم الكرامة في الفكر العربي) صدر عام ١٩٦٩ ، وفيه بحث عن

الكرامة الإنسانية بين القديم والحديث . وقد بين المؤلف النظرة الإسلامية إلى هذا المفهوم في اللغة العربية والقرآن والتفسير . ثم انتقل إلى بحث هذا المفهوم في التاريخ العربي الإسلامي ، مبيّناً معنى كرامة الرسول والخلفاء الراشدين ، وكرامة آل البيت في نظر السنة والشيعة ، ثم كرامة الأشراف .

وقدم بعد ذلك بحثاً انتقادياً عن كرامة الأولياء والمتصوفة ، يعيب فيه على الأخيرين غلوهم في سلب إرادة المريد ، خضوعاً بل رضوخاً لشيخه .

كما تصدّى أيضاً لمشكلة الرقّ والموالة ، وبين مفهوم الكرامة في الأخلاق ، وأتى على آراء المجتهدين في تحديد حقوق الإنسان المسلم والزوج والأب والمرأة والملك وأولي الأمر . وأشار أخيراً إلى موقف الأدباء والشعراء ، في مختلف العصور ، بصدد الكرامة القومية ، ومعركة الشعوبية المتصلة بفضل العرب على العجم أو العكس . وانتهى إلى بيان الكرامة بالمعنى القومي والاجتماعي ، واتصالها بالمطالب الاقتصادية والاجتماعية .

لقد توقّف الأستاذ العوّا طويلاً عند الكلام على كارثة فلسطين ، والكرامة العربية في نكسة عام ١٩٦٧ .

— وما تحسن الإشارة إليه قيام زميلنا بترجمة عدد وافر من كتب الأخلاق ، نذكر منها : (الفن والأخلاق) نشر عام ١٩٦٥ — (الانتحار والأخلاق) عام ١٩٨٧ — (الأخلاق والسياسة) عام ١٩٨٨ .

وفي الكتاب الأخير يشير المؤلف ، بعد تعريفات وافية ، إلى تناقض الأخلاق والسياسة . ويتقدم بمحاولات لحل هذا التناقض ، منتهاً إلى ما انتهى إليه أخوان الصفا وهو أن العدالة قيمة أساسية في حياة المجتمع ، وفي قيام سلطة شرعية ونجاح ممارستها . فالشعب يتكلم لغة العقل ، وهو يُعرب عن رأي المجتمع بأسره ، وأن رسالة الفلاسفة لم تبق في أن يحكموا المجتمع مباشرة ، بل هي تربية المواطنين وإعدادهم لحكم أنفسهم ، والإيمان

بأن الديمقراطية هي الأساس الوحيد المعقول للسلطة الشرعية .

لقد أراد الأستاذ العوا أن يتوسع في مفهوم الكرامة ، باعتبارها نزعة عالمية إنسانية ، فنشر عام ١٩٧٣ كتاباً عنوانه (من الشرف إلى الكرامة) يبين فيه تطور العادات في هذا المجال ، من تقديم الإنسان قرباناً للآلهة ، كما كان قرباناً في حالات الحرب والمجاعة والوباء والكوارث الطبيعية .

ومن عوائق نضج هذا المفهوم القتل في سبيل الثأر ، وقتل الزوج للزوجة أو العكس ، في حال الخيانة الزوجية ، وقتل الوالدين عند الهرم عقوقاً ، ووآد البنات صوناً للكرامة والعرض أو خوفاً من السبي .

ويرى المؤلف أن الكرامة الإنسانية تنافي تقييد الحرية الموجودة في بعض العادات الاجتماعية ، كخضوع الأبناء والبنات لأوامر الأب أو الابن الأكبر ، وخضوع الفتاة القاصر للزواج ممن لا ترضاه .

ولما كانت المرأة لما تنزل تعتبر أدنى منزلة من الرجل ، فقد رفض المؤلف هذه النظرة ، وأوضح ضرورة تحررها ومساواتها للرجل ، حفظاً لكرامتها .

وفي بحثين آخرين يبين الأستاذ العوا بعض أشكال الاستغلال ، المنافي للكرامة الإنسانية ، فطرح قضية الرق والقنانة ، والاستعمار والتمييز العنصري ، ولم يغفل نضال الأمم حالياً لمكافحة الرقيق الأبيض والبغاء .

وفي الفصل الأخير من كتابه هذا يعالج مشكلات الحرب وكوارثها ، وينتهي إلى بيان سعي الدول لانقاذ الكرامة الفردية والجماعية ، أيام الأزمات والفتن والحروب ، عن طريق عقد المواثيق في ظل الأمم المتحدة .

وفي إطار الفلسفة العامة ، التي أشرقت على جوانب التفكير المعاصر ، قام الأستاذ العوا بمجهود كبير ، فصنف أو ترجم مؤلفات كثيرة ومتنوعة ، نذكر من عناوينها : الفكر والتاريخ – التجربة الفلسفية – نهج الفلسفة والفلاسفة الإنسانيون – الفلسفة والتقنيات – الفكر الفلسفي المعاصر –

الثقافة الفردية وثقافة الجمهور .

ومن مؤلفات الأستاذ العوا المهمة ما يتصل بالإبداع الفني والإلهام . فقد نشر كتاباً عنوائه (مدرسة الآهات) ، وهو من وحي الأسطورة اليونانية التي تقول بوجود ربّات للوحي ، في مجالات الشعر والتاريخ والرقص والموسيقى . ويبيّن فيه مفهوم العبقرية في الفكر العربي ، مستشهداً بمؤلفات وآراء مجموعة من أدباء ومفكرين أجلاء ، منهم الشاعر خليل مردم ، الذي تكلم عن اللحظات الإشرافية التي يتم فيها الإبداع الشعري والفني بصورة عامة .

ومن المؤلفات الحديثة التي ترجمها الأستاذ العوا (حوار الحضارات) لروجيّه غارودي ، المعروف بتطوره الفكري ، ونضاله في سبيل نصرّة الحق ، ولو كان حقاً عربياً . وفيه يستعرض تاريخ الغرب ومستقبله ، انطلاقاً من وجهة نظر لا تتركز إلى أوربا فحسب . ويرى أن الغرب ليس وحده مبدع القيم الإنسانية ، بل اشترك في ذلك جميع شعوب العالم القديم . لذلك لا مناص من إعداد نظام عالمي جديد ، يبدأ الحوار مع حضارات آسيا وإفريقية وأمريكة اللاتينية على السواء .

هذا ولما كان للإيديولوجيا في وقتنا الحاضر مفهوم كثير الشبوع ، فقد بحث الأستاذ العوا هذا العلم الجديد عبر ترجمته المتجسدة في ثلاثة مؤلفات متكاملة ، عناوينها : « نقد المجتمع المعاصر - نقد الأيديولوجيات المعاصرة - الممارسة الأيديولوجية » . وهذه الكتب من تأليف الفيلسوف ريمون رويّه ، الأستاذ بجامعة نانسي في فرنسة ، والباحث المعروف في علم الاجتماع . وفي مؤلفاته نقد للمجتمع المعاصر ، الغارق في خضم وسائل الإعلام الجماهيرية ، حيث لا يكاد الإنسان يفقه من آلياتها المعقدة وأهدافها الحقيقية شيئاً .

ولذا تبدو مؤسسات ووسائل الأعلام في العالم الثالث ، على اختلاف أنواعها ، متخلفة . كما يبدو الحاضر الاجتماعي قاصراً عن التهيؤ لاستقبال الغد . ومن هنا وجب تجاوز مجتمع البعد الواحد إلى المجتمع المتعدد الأبعاد ، وهذا يقود إلى انتقاد الأيديولوجيات المعاصرة بروح منفتحة ، ومستعدة للتطور ، لتجعل الممارسة الأيديولوجية أكثر فائدة ومواءمة لحياة الإنسان في العصر القادم .

مما سبق يتبين لنا جودة وغزارة الإنتاج العلمي للزميل الكريم الأستاذ الدكتور عادل العوا الذي أغنى المكتبة العربية بمؤلفاته القيمة والذي يعتبر بحق أحد المربين الأوائل ، والمؤسسين لعلمي الأخلاق والفلسفة في بلادنا ، ونحن نستقبله في هذه الأمسية عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية ، راجين له دوام الصحة واستمرار العطاء .

ولنا كبير الأمل أن يكون انتماء الأعضاء الجدد لهذا المجمع فاتحة عهد ازدهار وتقدم لنشر العربية الفصحى والدفاع عنها تجاه الطامعين في تشويهها والقضاء عليها والسلام .

كلمة الأستاذ الدكتور عادل العوا

في حفل استقباله

اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية

العروبة انتماء محبة وولاء ، محبة الأمة العربية ، خير الأمم ، وولاءٍ للخلص الكملة الفضلاء من عشاق اندود عن حياضها ، والنهوض بإمكاناتها ، ولا سيما من بني جلدتها . وهل من يضارع رسل مجمع اللغة العربية جهاداً صادقاً في سبيل الأمة العربية ولغتها الشريفة النامية ؟ إنهم ، كما وصف (التوحيدي) جماعة (إخوان الصفاء) ، « مَنْ تألفت قلوبهم بالعشرة ، وتصافت بالصدقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة » ، فندروا جهودهم وجهادهم ، وأنفقوا مددهم وأعمارهم ، في سبيل هذا الهدف السامي الرفيع ، والغرض الأسمى النبيل .

وإنه ليشرفني ، ويسعدني ، أن أرى حقبة أخيرة من حياتي الفانية يتوجها تكريم رفضتْ دونه كل تكريم ، ويهيب بي وعي مسؤولية ثينة غالية إلى مزيد من الشكر لمن جادوا باقتراح قبولي في هذه الندوة العريقة ، وهم الأماثل زملاء المستقبل ، والشكر والامتنان كذلك لسيادة الرئيس القائد الذي أيد هذا الاقتراح وأقره بإفضال سابغ . وأخص بالشكر أوفره الصديقين العزيزين الدكتور شاكر الفحام والدكتور محمد زهير البابا ، وقد أغدقا علي من وحي عطفهما ثناءً ، كما شهدت ، لا أجديني جديراً بأقله ، فكيف أفوز بأكمله ؟

أيها السيدات والسادة .

إن ألفاً من السنين الأخيرة من تاريخنا ، تفصلنا عن نشاط (أخوان الصفاء) . فلتتمهل لحظة نبصر فيها بعض ما طرأ من فوارق ، وبعض ما ثبت من اهتمامات .

يتابع (التوحيدي) كلامه على جماعتهم ، حاكياً قولهم : « إن الشريعة قد دُتست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاوية الحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية » .

وقد تمخض مسعاهم ، في الأحوال كلها ، عن رسائل كثيرة يشبه أن يكون مجموعها موسوعة تامة للمعارف الإنسانية السائدة في عصرهم ، من حساب وفلك وهندسة وموسيقا ، إلى العلوم الطبيعية والنفسية والدينية الناموسية أو الإلهية . فهم لم يعادوا علماً من العلوم ، ولا فناً أو صناعة أو أسطورة ، حتى السحر والعزائم والتنجيم . وقد تناولوا مصطلحات هذه الإحاطة الشاملة بالإيضاح والتدقيق ، وما زالت رسائلهم تشهد على حيوية اللغة العربية ، ونباهة الناطقين بها آنذاك ، وقد حققوا نصراً مبيناً في معركة التعبير عن كل ما خطر ببال بشر بلغة جليلة ، ومصطلحات مبتكرة ، ولم يفت في عضدهم عجز ولا قصور .

وها نحن أولاء بعد قرون عشرة نملك من أدوات المعرفة ، وأجهزة حفظها وتطويرها ما لم يكن لهم به عهد ، ونطرح على أنفسنا تساؤلاً عن مراكز اهتمامنا العلمي والثقافي . أترانا نكرر عنايتهم بصلة الشريعة والفلسفة بمثل الصدق والعمق والحرية التي كانت تواكب بحوثهم ومناقشاتهم ؟

مطالب المجمعين :

لقد أحييت ، بغية الإجابة ، أن أسئلهم طرفاً من آراء السادة

المجمعيين ، فقرأت ما اتفق لي من الخطب الملقاة تقليدياً في حفلات استقبال الأعضاء العاملين الجدد ، فوجدت إجماعاً رائعاً ، وطبيعياً ، على الإشادة بلغتنا الحبيبة الشريفة « التي كرمها الله فأنزل بها كتابه المعجز ليكون هدى للعالمين »^(١) ، وهي « اللغة المقدسة التي تعلو في شموخها على سائر لغات العالم »^(٢) . وأنا أعلم أن (أخوان الصفاء) ، مثلاً ، يجلون العربية كذلك بقولهم : « اللغة التامة لغة العرب ، والكلام الفصيح كلام العرب ، وما سوى ذلك ناقص . واللغة العربية في اللغات مثل صورة الإنسان في الحيوان ... وهي تمام اللغة الإنسانية ، وختام صناعة الكتابة ، ولم يحدث بعدها شيء ينسخها ، ولا يغيرها ، ولا يزيد لها ، ولا ينقصها »^(٣) .

هذه الإشادة باللغة العربية ، وهذا الإيمان بتفوقها ، بل بتفرد لها ، وربما بتقديسها ، قاسم مشترك ، وصلة متصلة بين أجيال الأمة العربية الواحدة في تاريخها التليد والطريف . أليست « أم اللغات » كما قيل^(٤) ؟. بيد أن السادة المجمعيين ، جلهم ، يعزفون عن « الميتافيزياء » القومية أو الدينية . وهم بذلك يختلفون عن الأسلاف المبجلين ، وإن آمنوا بأن « من أراد خيراً بهذه الأمة خدّم لغتها وصانها من العابثين »^(٥) .

فمن « الخالدين » من يشكو « داء انتفاخ الأفكار » حين يُعبّر عن فكرة بسيطة بلفظة أكبر من هذه الفكرة « فيسرع النخر والبلى إلى لغتنا ، ويتباعد ما بين عقليتنا وعقليات الأمم »^(٦) . ومنهم من يستخلص من ملكية الأجيال العربية لغتها ضرورة « أن ينضاف عن طريقها جديد إلى قديم » « لنواكب ما بين اللغة وبين الحياة قبل أن ينقسم الذي بينهما » « ونضمن للفكر العربي كله أن يعمل في طلاقة وحرية »^(٧) . ومنهم من يحذر من الدعوات الفاسدة في مجال اللغة « لأن اللغة في حياة الأمة العربية شأنًا

كبيراً ، وقيمة أعظم من قيمتها في حياة أي أمة من الأمم^(٨) . وقد « تداعت على اللغة العربية الأمم : كبيرها وصغيرها »^(٩) ، كما أن « أخطر ما يهددها هو هذه الأمراض التي تساور بناءها الصحيح ، وتسرب إلى ينابيعها الثروة الصافية كالسُم الخفي »^(١٠) .

ويمضي مجمعون خطوات أخرى في درب المنحى الواقعي . فيرى الأستاذ نائب رئيس المجمع الدكتور (شاكر الفحام) « أن أمانة المجمع العربية تلتقي وأمانة الجامعات لتكون الفصحى لغة العلم والتعليم والإدارة والحياة اليومية في الوطن العربي » . و « العربية قادرة على الاستجابة لكل ما جدَّ ويجد من كشوف في مجالات العلوم البحتة والتطبيقية والتكنولوجية والإنسانية »^(١١) . ويطمح مجمعي عزيز إلى قيام مجمع موحد للغة العربية تسهم فيه الأقطار العربية كافة « نشداناً للوحدة الثقافية » التي هي « اللبنة الأولى في صرح الوحدة السياسية » ، وهي عنده كذلك « لبنة في مؤسسة أكاديمية واسعة تضم النابهين من المفكرين والأدباء واللغويين والعلماء »^(١٢) . وكان أستاذنا الدكتور (جميل صليبا) يطلب « إنشاء مجمع علمي واحد » . واكتفى الزميل (عبد الكريم زهور) « بتوثيق العلاقة بين مجامع اللغة العربية ، وتشكيل ما يشبه الهيئة المركزية .. تُوزَّع على المجمع الأعمال ، ثم تنظر في النتائج ، وتقر ما تقره ، وتعممه »^(١٣) .

إن الأمنيات تعكس ، من الناحية الجدلية ، نقائص وعوزاً . فمم تشكو اللغة العربية والناطقون بها ؟ وما هي الجهالات التي دنست لغتنا الجميلة بعد أن دنست الشريعة الغراء ؟ وكيف السبيل إلى غسل اللغة وتطهيرها كما شاءوا غسل الشريعة بالفلسفة ؟

لقد نبّه الأمير (مصطفى الشهابي) إلى « مبلغ اتساع العلوم الحديثة اتساعاً يحير العقول . ورأى أن العلوم والفنون الحديثة تدهمنا من جميع

جوانبنا ؛ ومجامعنا اللغوية والعلمية بطيئة في وضع المصطلحات العربية^(١٤) . بيد أن للقضية وجهاً آخر ، على الأقل ، يجدر بنا الالتفات إليه ، والعناية به . فلم يبق « انتفاخ الأفكار » هو المشكلة وحسب . وكذلك داء العجمة والرطانة العتيق جداً ، وهو يهدد اللغة الفصحى بخطر ألا يجيدها إلا فئة من المتخصصين ، بعد أن ساءت أساليب تعليم اللغة وعلومها ، ومُنيت الأجيال الفتية بنقرة منها ، وهبت عواصف الشعوبية تدعو إلى اللغة العامية ، وتمارسها ، وتدعي عجز لغة القرآن عن مواكبة مسيرة العلم والفن ، زاعمة أن من الخير أن يُستبدل بها اللغات الأجنبية ولا سيما في تدريس العلوم .

التفاعل التاريخي :

وهذا الوجه الآخر الذي نحب أن نلفت الانتباه إليه هو التفاعل التاريخي الراهن في عالمنا المعاصر ، حيث تضاعفت الأبعاد ، وقصرت المسافات ، وكثر التواصل بازدياد وثأب ، وصار للدول ذوات الوسائل الأحدث التأثير الأقوى في توجيه الوقائع والأفكار . وبات من أثر التفاوت بين العوالم السياسية اضطرام الجشع ، وطغيان العدوانية الشمولية على الوجود العربي . ومن أخفى أسلحته تجاهل هذا الوجود ، وقصر الاكتراث به على مسعى الاساءة إليه في السر أو العلن .. ومن هنا كانت دعاوى انتقاص الامكانيات العربية في كل مجال ، ومنها مجال الثقافة والعلم والفكر والأدب والفنون .

إننا نود إمطة اللثام عن بعض هذا التجاهل العالمي ، شبه العالمي ، وهو يتطلع إلى أن يُسقط من حساب الحضارة العالمية الثقافة العربية في سالفها وحاضرها ، ويسد الطريق أمام تطويرها ومستقبلها . وسيلنا إلى ذلك سبيل ذاك الفيلسوف القديم الذي نهض وسار ليبرهن على إمكان الحركة بالحركة ، حاسماً على هذا المنوال تحبط المتخبطين .

وقد اخترنا للتمثيل على مشاركة ثقافتنا الثقافية العالمية إلماعات سريعة في ميدانين أساسيين هما : ميدان الشعور الديني ، وميدان الشعور الفلسفي . وغرضنا توضيح أن إسهام العرب غابراً وحاضراً في صنوف النشاط الإنساني كلها ، ومنها هذان المجالان ، يمنحنا الحق في متابعة الخطأ ، وغذ السير لمواكبة ما بلغ الآخرون من المتقدمين في وقتنا ، بل حق/وواجب/الإسهام فيما يتصور المستقبليون من إمكانات قادمة لمصير الإنسانية ، الممكن والمحتمل .

المجال الديني :

ففي المجال الديني ، يرى المتبع ، بادئ ذي بدء ، أن اللغة العربية تنم عن توافر الأنماط الابتدائية من الظاهرة الدينية في الجزيرة العربية قبل الإسلام . وهذا يعني أن للأمة العربية في غابرها إسهاماً في سيرورة الشعور الديني وتطوره من طوطمية ووثنية حتى التوحيدية . ولما ظهر الإسلام ، وتتابعت الدعوة إليه في ظل الدولة العربية فالأموية فالعباسية ، تأكد التفاعل الكلامي ، بل والصوفي ، مع ما يماثل هذين المنزعين في الديانتين السماويتين السابقتين . ونحن نعلم ، من ناحية أخرى ، أن البحث العلمي في الشؤون الدينية ما انفك يزداد أهمية وتنوعاً واتساعاً ، حتى في أقطار ليست الممارسة الدينية فيها أمراً لازماً كلياً . وقد واكب البحث الاعتقادي في كنه الدين بوجه عام بحث متطور تبع نماء العلوم التاريخية والإنسانية : فكان من ذلك علم النفس الديني ، وعلم الاجتماع الديني ، وتاريخ الأديان ، والأديان المقارنة ، والظواهرية الدينية ، وآل الأمر حالياً إلى ما يسمى علم الأديان ، وهو يسعى يود العثور على جوهر التدين باستقراء معطيات الديانات كافة ، أعني حقيقة القداسة والمقدس .

وليس هنا مجال سرد كثير من التآليف العربية التي تمضي مع هذا

النشاط العلمي العالمي . ونكتفي بالإشارة إلى واقع مهم يبيّن الحرص على الانفتاح العربي العقلي والقومي المعاصر ، والمؤيد للتآزر الإنساني في حقل المعرفة الدينية ، وإن ظلت جوانب من هذه المعرفة تُعدّ قبل فترة وجيزة من العقائد السرية المكتومة عن غير مستحقّها .

ذاكم مثلاً هو الانفتاح الذي نشاهده اليوم لدى بعض النزعات أو التيارات كالإسماعيلية التي أخذ معتنقوها ينشرون على الملأ ما كان مكتوماً ، ويذيعون ما كان محجوباً . ويحقّ للممعن أن يدرك بجلاء أن للفلسفة الباطنية جذوراً هي عينها الجذور التي نلقاها في الفلسفة الإسلامية الظاهرة . وما الفارق الأساس بينهما سوى فارق التأويل ، شأنه هنا كشأنه في كل مكان مماثل في سائر الديانات العالمية أن ينوس بين تفسير حرفي مرفوض ، وبين دلالات مجازية طريفة أو مبتكرة . ولا يخفى أن « جلاء العقول » العالمة بمزيد من جلاء جوانب هذه الفلسفة الباطنية إنما يسهم إسهاماً جليلاً في توحيد الشعور القومي العربي من ناحية ، ويضع في الوقت ذاته لبنة جديدة في صرح التكامل الثقافي العالمي من ناحية أخرى .

غير أن لهذا الصرح الديني العالمي جوانب مهمة أخرى كان للعرب والمسلمين فيها إسهام عظيم ناجع . من ذلك ما نعلم عن قصة الفكر الحر ونشأته وتطوره في جو الصراع العقائدي السياسي - الاجتماعي معاً . فقد طَمَح رواقيو (رومه) إلى تحرير الإنسان العبد . وجاء المعتزلة بتحرير الإنسان الفكر . وأعقبهم كثيرون من طبقة (روسو) و (فولتير) و (مونتسكيو) و (دولباخ) و (لوك) و (ستورت مل) و (رينان) و (لوازي) . وانتهى الأمر إلى مقولة الفكر الحر ، وآل إلى صوغ شعارات عالمنا المعاصر المتقدم . تقول الوثيقة العالمية لحقوق الإنسان : « لكل شخص الحق في حرية التفكير والاعتقاد والديانة » . وقد ألحف المعتزلة من

قبل على الدفاع عن الدين بتحرير العقل الإنساني ، راجين تحول حرية التفكير في الإسلام إلى فكر حر جهد المستطاع . رائدهم في ذلك آية قرآنية كريمة : « لا إكراه في الدين »^(١٥) ، وآية أخرى كذلك : « أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ »^(١٦) . وقد امتد تأثير المعتزلة إلى فرق السنة والجماعة والشيعة وإلى الفلاسفة و (المعري) و (مسكويه) ، وإلى الثقافة الأدبية واللغوية ، وإلى الثقافة الإسلامية غير العربية ، بل وإلى الفكر اليهودي .. ولئن خَفَت صوت المعتزلة مذهباً ، فإن الاعتزال ، بأصالته العربية والعالمية ، ما زال ينمو في دنيا البشر روحاً وموقفاً .

المجال الفلسفي :

لنتقل الآن إلى المجال الفلسفي بالمعنى الدقيق .

فقد أهمل مؤرخو الفلسفة الغربية الكلام ، إلا بنحو من الاستثناء ، على الفلسفة العربية ، وتجاهلوا إسهامها الثرّ والأساسي في نماء النشاط الفلسفي الغربي فإلحامي ، وقلّ منهم من أنصف العرب والفكر العربي ، فوجب التنبيه إلى إحقاق الحق ، وإعادة الأمور إلى نصابها بإحلال النشاط الفلسفي العربي - الإسلامي محله الصحيح من تطور الفكر الفلسفي العالمي ، وغداً مُنكراً زعم (رينان) « أن الفلسفة العربية فلسفة إغريقية بحروف عربية » ! وقد فاته أن الفلاسفة العرب القدامى لم ينسجوا على منواله ، ولم ينظروا نظرة عرقية كنظرتهم ، وإنما وجدوا أن الحقيقة ملك البشر كافة ، وإن ثمة قرابةً روحية ، ونسباً ثقافياً يَنَمُّ عن اتصال تاريخي بين الشعوب والحضارات ، وإن انتقلت مراكز التميز من شعب إلى شعب ، ومن أمة إلى أخرى . آية ذلك إيمان (الكندي) بأن الحقيقة تراث مشترك بين الأمم على مرّ العصور ، وعلى الرغم من تفاوت المكان والزمان والديانة

واللغة والجنس .. وقد أوجب (الكندي) ، فوق ذلك أن يشكر اللاحق السابق الرائد . يقول : « من أوجب الحق ألا نذم من كان أحد أسباب منافعنا الهزلية ، فكيف بالذين هم أكبر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية » . فإنهم « كانوا لنا أنساباً وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم ... فينبغي أن نعظم شكرنا للآتين ييسر الحق ، فضلاً عما أتى بكثير من الحق إذ أشركونا في ثمار فكرهم » . وهذا الشكر والعرفان يتجدد لدى سائر الفلاسفة والمفكرين العرب والمسلمين ، حتى لدى (ابن رشد) ، المتيمّر بـ (أرسطو) ، وشارحه الشهير ، وصاحب مذهب الرشدية الذي كان له الأثر العميق في تطور الفكر الغربي عامة ، والتومائية بوجه خاص .

وقد رصد استاذنا المجمعي الدكتور (جميل صليبا) ، قبل ثلاثين عاماً^(١٧) ، الإنتاج الفلسفي العربي خلال المائة السنة الأخيرة ، وأشار إلى أن المشتغل بالفلسفة كان في العصور المظلمة يُرمى بالمروق من دينه ، ويُنهم بالزندقة والإلحاد . ثم جاءت مراحل « مدّ البصر إلى أقصى حدود المعرفة . وعمد مؤلفون ومترجمون إلى وضع المصطلحات العربية للتعبير عن المعاني الفلسفية الحديثة ، فأغنوا لغتنا العربية بالألفاظ الفلسفية ، ومكنوها من التعبير عن دقائق الفكر الحديث . يقول : « إن العالم العربي لم يتمخض عن فيلسوف عربي كبير على طراز (أفلاطون) و (أرسطو) و (ابن سينا) و (ابن رشد) » . وإن ثمة أساتذة آثروا العناية بتاريخ الفلسفة « وآلفوا كتباً لا تخلو من النظر الدقيق ، والتحليل العميق » . ولكن الأستاذ الكبير ينتهي إلى تمييز اتجاهات كثيرة في الإنتاج الفلسفي المعاصر ، ليس أقلها الاتجاه المادي ، والعقلي ، والروحي ، والتكاملي ، والوجودي ، والشخصاني ، والعلمي » . وعندنا أن هذه الاتجاهات السبعة تدل على مشاركة العقل العربي في منازع مختارة من الفكر الغربي والعالمي الراهن . ولكن هذه المشاركة تاريخاً أعرق من تأثير الباحثين المعاصرين بالاحتكاك

الجديد بالثقافة العالمية . فإذا رجعنا بالماعة إلى الماضي ألفينا الفلسفة العربية حلقة لازمة في تطور النشاط الفلسفي . وإن المشكلات التي طرحها في الإسكندرية الفكر اليهودي لدى (فيلون) ، والمسيحي لدى (أفلوطين) هي مشكلات علم الكلام ذاتها . ومن نظرية الفيض تمتح الفلسفة (الفارابية) و (السينوية) والفلسفات الباطنية التأويلية دون أن يغفل أي مفكر « تقويم » أفكار من سبقه ، فتجدهم يجلّون القدامى ، غير غافلين عن قصورهم تارة ، وأخطائهم تارات .

وقد عمدوا إلى تصحيح الغلط ، وتدارك النقص ، والمضي قدماً إلى حلول مبتكرة لمشكلات « ميتافيزيائية » مستعصية . ولم يشذّ نهجهم في هذا كله عن النهج العالمي في الفلسفة ، أعني الطريقة التفكيرية التي نشاهدها هي هي لدى (أفلاطون) ، و (الفارابي) ، و (ابن سينا) . وإن الجدل ذاته هو الذي يتيح للشيخ الرئيس بناء فلسفته بتعمق مفهوم واجب الوجود وتحليل ما ينطوي عليه هذا المفهوم تحليلاً خلفياً مشفوعاً باستطراد أمامي ، ويجيز ربط معنى آله الفيلسوف بفكرة خلق العالم ، والانتهاء من ذلك إلى اتفاق الحكمة والشريعة ، والعقل مع النقل ، شأن الفلاسفة المسلمين إجمالاً ، وفلاسفة العصر الوسيط الأوربي بوجه أعم . بل إن (الغزالي) نفسه ، صاحب النفحة الإلهية ، والإشراقة القلبية ، لا يبعد عن (ديكارت) في منطلق الشك المنهجي الموصل إلى يقين الكوجيتو (الديكارت) من جهة ، وإلى ذي العزة والجلال بالذوق الصوفي عند (أبي حامد) ، من جهة أخرى .

المشاركة المعاصرة :

إن أستاذنا الجليل الدكتور (صليبا) لم يدرك متزعاً راهناً لاحقاً في الفكر الفلسفي المعاصر ، وهو المتزع الذي يعي دقائق المشاركة العربية في

الثقافة العالمية ، وذلك بالانطلاق من واقع العروبة التي تواجه في هذه الفترة الأخيرة من القرن العشرين تألباً شبه عالمي يود القضاء عليها وتدميرها ، لولا أن الشعوب لا تموت ، وإن أمكن أن تحقق بها هزائم نكراء ، ونكسات ماحقة الفكر واللغة والثقافة جميعاً .

وهذا المنزع المعاصر محاولة نضالية هادفة تسعى ، في المرتبة الأولى ، إلى إعادة البرهان على حيوية الفكر العربي ، وعلى إمكاناته اللامحدودة ، واللامحددة ، بما لا يقل سطوعاً عن نصوع ما يتحلى به تراثنا العربي الماجد ، وتسعى ، في المرتبة الثانية ، إلى مشاركة حضارية في التقدم الإنساني على سلم المعمورة بأسرها . ونحن سنختار للتمثيل على هذا المنزع الثاني الإلماع إلى جانبي النظر والعمل ، فنختار أولاً في ميدان النظر العقلي ما يسمى اليوم بمجال الأستمولوجيا أو نقد العلوم . ونختار ثانياً في ميدان العمل ما يعرف باسم فلسفة القيم ، وهو ميدان وسيع جد وسيع ، وله فروع بعضها جمالي فني فيه كلام على البلاغة ، ومن ضروبها التهكم . وبعضها الآخر أخلاقي ، ومن شعبه الحديث عن الفضيلة عامة ، وعن الكرامة الإنسانية بوجه التخصيص .

فقد بدأ مفهوم العقل في الفكر اليوناني القديم على صورة « هواء مفكر » في نظر (ديوجين الأبولوني) ، ثم أصبح « ناراً كونية » في نظر (هرقليط العجوز) ، وسماه به (أناكساغور القلامازوني) إلى فكرة « المبدأ الروحي المدبر للكون » . وانحدر به المغالطون إلى درك التميؤ الذكي طلباً للربح أو الجاه . فجاء (سقراط) ، ومن بعده (أفلاطون) ف (أرسطو) ، وإذا ذاك استوى الفكر المنطقي القديم على سوقه ، ونهض العرب بنشاطهم الدؤوب ، وأسهموا في تنمية هذا كله ، وولّدوا من معنى العقل البسيط معاني شتى هي بلا ريب مشاركة ثمينة في رقي الفكر الإنساني العالمي .

لنذكر من ذلك قبسة لغوية . العقل هو الحِجى ، لإصابة الحُجّة به . وهو الحِجَر لحجره عن ركوب المناهي . والنهى لانتهاه الذكاء والمعرفة إليه . وهو اللب ، والملجأ ، والحبل ، والعقال ، والعقل ، أو المعقول ، ذو مِرّة ، أي عقل ، لأن أصل المِرّة إحكام القتل . والعقل في الاصطلاح جوهر روحاني ، أو نور في القلب يعرف الحق والباطل ، أو هو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات . وثمة عقل هيولاني ، وعقل بالملكة ، وعقل بالفعل . وفي مجال السلوك : إذا كان المرء في أول درجة العقل يسمى أديباً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلاً . كما أن الرجل إن كان في أول حد الدهاء قيل له : شيطان . فإذا عتا في الطغيان قيل : مارد . فإذا زاد على ذلك قيل : عبقرى . فإذا جمع إلى خبثه شدة شر قيل : عفريت . وكذلك الجاهل : يقال له في أول درجته : المائق ، ثم الرقيع ، ثم الأنوك ، ثم الأحمق^(١٨) .

أتراها ألفاظاً عربية لأمة واحدة وحسب ، أم أن في مضمونها إغناءً رائعاً لدلالات إنسانية عالمية يحسن بالآخرين أن يمتحوا منها قياً نفسية واجتماعية وسلوكية معاً ؟

العقل ، والمنطق ، والقسطاس المستقيم أو منطق الرحمن عند (الغزالي) ، ونقض المنطق لدى (ابن تيمية) ... وضروب الشروح على منطق (أرسطو) ، والروح الانتقادية المنطقية لدى (ابن المقفع) و (النظام) و (الجاحظ) و (المعري) و (اخوان الصفاء) و (أبي زكريا الرازي) .. كل ذلك يجيز للنشاط العربي أن يشغل موقعه في نماء الفكر العقلي الإنساني العالمي . ولم يأل المعاصرون جهداً في مسعى اللحاق بركب التطور المنطقي من المنطق الصوري أو التقليدي إلى منطق التناقض والجدل الثلاثي فالمنطق الرمزي ومنطق الأولويات (الاكسيوماتيك) فالمنطق القيمي ومنه الاستمولوجيا أو نقد العلوم . وتكفي الإشارة إلى

ما نشرت وزارتنا الثقافة والتعليم العالي بدمشق من آثار باحثين عالميين في هذا المجال المتقدم الأخير ، من طبقة (جان بياجه) و (غاستون باشلار) و (روبرت بلانشه) أو (اليونسكو) ...

ذلك أن لفظ الأبستمولوجيا مركب من (ابستيمه)، وهي العلم ، و (لوجيا) ، أو المقال . وقد ذهب فريق إلى أن هذا المبحث يعني « علم العلم »^(١٩) ، أو أنه « نظرية المعرفة » .. أو أنه « فلسفة العلوم » كما يقول (لالاند) ، صاحب المعجم الفلسفي التقني الانتقادي . ولا مرء في أن هذا الاختلاف في التسمية ينم عن اختلاف في التحديد وفي الممارسة ، ويوجب عوداً موصولاً إلى تاريخ العلوم ، ومنطق العلوم ، وربما اتّخذ نقد الفلسفة ذاتها موضوعاً أبستمولوجياً ، فتصبح صنو ما يسمى التاريخ الفلسفي الانتقادي . وقد جنح (غاستون باشلار) إلى تمييز نوعين من الأبستمولوجيا : إحداهما تنقد العلوم ، والأخرى تنقد الأدب .. ودعا إلى ما يسميه التحليل النفسي للمعرفة . وابتكر (جان بياجه) ما يدعوه الأبستمولوجيا التكوينية ، وبعض آثاره فيها قيد الترجمة في وزارة التعليم العالي بدمشق ، كما أسهم مترجمون سوريون ، بإشراف هذه الوزارة ، منذ سنوات قليلة ، في نقل أفكاره الأساسية إلى اللغة العربية ، وأسهم سواهم من قطرنا ومن أقطار عربية أخرى في تنمية آراء (باشلار) ، وتعميق أفكار مدرسته .

فلسفة القيم :

وعلى غرار إسهام الفكر العربي في مراحل تطور المبحث المنطقي حتى الأبستمولوجيا ، كان له إسهام حميد آخر في ميدان فلسفة القيم أو (الاكسيولوجيا) من ميادين الفكر العالمي المعاصر .

ومن خاصة هذا المبحث الطريف أنه علم يتناول ما هو ثمين ، كما

يقول (لافيل) . فهو يبحث القيم ويشكل فلسفة قيم أو نظرية قيم . وفي
مكنة المعن في تاريخ الفكر الإنساني أن يكتشف بجلاء انطواء كل فلسفة
على معنى قيمى : قيم الخير ، والحق ، والجمال ، وما يتفرع عنها ، ويتصل
بها ، ويكملها في عصرنا ، وفي العصور اللاحقة . ومن الجائز قولنا : « إن
الإنسان حيوان مقوم » أو : « في البدء كانت القيمة » . والقيمة تصور
وواقع ووعى . بل إنها وعى بتصور الواقع بالإضافة إلى ما يجب أن يكون .

لقد كان الفلاسفة والمفكرون الإنسانيون ، ومنهم مؤمنون
ومتكلمون ، ينشدون معنى الكمال . والكمال في حقيقته تشوف وتطلع ،
تجربة قيمية . وكل فلسفة ذات مطمح عملي هي فلسفة قيمة . إنها
حكمة . والحكمة اتخاذ العمل والسلوك (براكسيس) غرضاً للتأمل
والنظر . وإنما فلسفة القيم ، في آخر المطاف ، فلسفة تغيير العالم ، فلسفة
أنسنة الكون ، أي فلسفة تحديد الإنسان مصيره ومصير الوجود .

البشر كافة ، في جميع أصقاع الأرض ، يتحدثون بالثر أسلوباً .
وبعضهم يجهل معنى النثر لأنه لا يضيفه إلى سواه ، كالشعر . وكذلك فإن
الناس قاطبة يمارسون القيم في حياتهم حتى اليومية ، من تغذية ، ودفع ،
وسكن ، إلى عقائد وعلاقات أسرية ومهنية واقتصادية : بيد أن جلهم
لا يفقه قوام ما يفعل . وما فلسفة القيم سوى وعى هذه الممارسة بالذات ،
والتعبير عنها بدقة وجلاء . وقد كان للغة العربية ، والأدب العربي ، إسهام
رائع في تنمية هذا الوعي القيمى ، وإن تأخرت تسميته باسم الفلسفة
القيمية ؛ فمثل ذلك قد حدث في جميع الثقافات ، ولدى الأمم كلها ،
حتى مستهل القرن العشرين ، حيث مولد الوعي القيمى .

إننا نلمس بيسر روعة الرافد العربى منذ الإشارة إلى أقرب الأمثلة
اللغوية .

أمثلة لغوية :

تقول نظرية راجحة أن ليس بين الألفاظ العربية ترادف مطلق ، بل ثمة فویرقاتُ تفاضل دقيقة تبلغ درجة الإذهال في التعبير . فهذا (أبو منصور الثعالبي) ، مثلاً ، يمتنع بكلامه على أوصاف الإنسان السيد قائلاً^(٢٠) :

السيد : الحلال ، وهو السيد الشجاع . والهُمام ، وهو السيد البعيد الهمة . والقُمقام ، وهو السيد الجواد . والغُطريف ، وهو السيد الكريم . والصنديد ، وهو السيد الشريف . والأروع ، وهو السيد الذي له جسم وجهارة . والكوثر ، وهو السيد الكثير الخير . والبهلول ، وهو السيد الحسن البشر . والمعتم ، وهو المسود في قومه . ومثل هذا الإبداع التقويمي نجده في وصف المقايح . وما برح التضاد القيمي في ألفاظ المدح والقدح ، وتمايزها ، يغذيان - بتفاعلهما - الإبداع الأدبي ، والمقامات ، والروايات ، وكتب المحاسن والمساوئ ، والمحاسن والأضداد ، ويعمران ميادين الفخر والهجاء .

قيل في مدح العقل : إنه يقلب الأمر إلى ضده ، والقيمة السلبية قيمة إيجابية . يقول (البستي) : « كفى بالعاقل فضلاً ... أن تُجعل البلادة منه حليماً ، والحدة ذكاءً ، والعِي صمتاً ، والإسراف جوداً ، والإمساك تقديراً ، فلا تكاد ترى عاقلاً إلا موقراً للرؤساء ، ناصحاً للأقران ، متحرزاً من الأعداء ، غير حاسد الأصحاب ، ولا مخادع للأحباب ... لا يمدح أحداً إلا بما فيه »^(٢١) .

أما الأحمق فإن له شياً كريهة كلها . من شيم الأحمق العجلة ، والخفة ، والعجز ، والفجور ، والجهل ، والمقت ، والوهن ، والمهانة ، والتعرض ، والتحاسد ، والظلم ، والخيانة ، والغفلة ، والسهو ، والغبي ، والفحش ، والفخر ، والخيلاء ، والعدوان ، والبغضاء^(٢٢) . إنها عشرون شيمة مذمة تشكل صورة تامة لإمكانات سلوك قيمي مرفوض ، لا ندرى

إن كانت اللغات المتقدمة الأخرى قد انتهت إلى ما يقاربها ، أو يدنو منها ، دون أن تزيد عليها . ونحسب أن في الأدب المقارن متسعاً رحباً لمثل هذه البحوث وأضرابها ، مما يتعلق حتى بالأمثال ، كل الأمثال ، وهي تنطوي على دلالات قيمية شديدة الاتصال بالوقائع ماضية ومتوقعة ، أو مفترضة ومتخيلة . ولكنها في الحق وقائع تعكس كذلك أمام الناظر المدقق أصداء صلات الأمم بعضها ببعض ، وتفاعل عاداتها وخصالها ، وحتى أمزجتها وأيامها . ولو أتيحت لجائزة (نوبل) فرص عادلة لكان نصيب الأدب العربي أكثر من بيضة ديك .

وهكذا نجد النشاط القيمي العربي يسهم في تطور النشاط العالمي ، وقد أصبح مفهوم القيمة في حقل السلوك الإنساني كمفهوم الطاقة أو القوة في العلم الحديث .

المقولات البلاغية : التهكم

لم يكن الفكر العالمي في طفولته ليفصل النظر عن العمل ، وقد ظل الإغريق القدامى يمزجون الفن النافع أو الصناعة بالفن الجميل . وكانوا يطلقون على الرجل المثالي كلمة تعني بآن واحد إنه صالح وجميل Kalos Agtos . وظل المعتزلة والمتكلمون يتحدثون عن الخير والشر باسم الحسن والقبح . وحرص المتصوفة على اتحاد شعوري الجمال والخير . ولكن الفكر الإنساني ما عثم أن تطور ، واقرقت القيم الرئيسة الثلاث بعضها عن بعض بادئ الأمر . ثم اشتد غماء فروعها فصار لكل فن أو قيمة مقولات متعددة يتفاوت تحديدها باختلاف المذاهب والثقافات . وليس بمستغرب أن نجد لغة الفصاحة ، وأمة الكلمة ، وتاريخ البيان تتيح لمثل (ابن حجة الحموي) تمييز ما ينوف على مائة وأربعين ضرباً من ضروب البلاغة ، وفنون البديع . منها ، على سبيل المثال : التهكم الذي نعته بأنه « نوع عزيز لعلو مناره ،

وصعوبة مسلكه ، وكثرة التباسه بالهجاء في معرض المدح ، وبالهزل الذي يراد به الحق .

والحق أن الناظر في هذا الفن يدرك عراقته في التاريخ البشري ، كما يدرك شأوه واستمراره . فقد امتدت جذوره إلى شتى الآداب والثقافات . وفي اللغة العربية كوكبة من المعاني الرهيفة التي تدور حوله دون أن تطابقه : كالفكاهة ، والدُّعابة ، والإضمار ، والمواربة ، والتلميح ، والتورية ، والتوهيم ، والالغاز .. إلخ .

وقد تهكم (الجاحظ) و (التوحيدي) و (ابن زيدون) فيما سلف . وتهكم في الحاضر كثيرون عندنا . وجرى في هذا السياق (سقراط) و (ارستوفان) و (مارسيال) و (جوفنال) ، ثم (رابله) و (شكسبير) و (مولير) و (فولتير) و (سوفت) و (مارك توين) و (برنارشو) و (بير دانيوس) ...

والتهكم يحظى في ثقافتنا ، وفي بعض ظروف حياتنا ، كما في الثقافة العالمية المعاصرة ، بعناية عظمى جعلت أكثر من باحث يعدّه ذروة الفطنة ، ومنطلق الفكر الثالث ، وهو الفكر الهادف الضاحك الناقد : يلهو ويؤنب ، ويهدم ليبني ، ويراوغ ليصدق ، يدّعي الجهل لينصر كلمة الحق ، ويهدم الوثنية و « الجمود » في الأعراف وفي الأفعال .

هكذا تشارك اللغة العربية ، ويشارك الذوق العربي ، في لون من أبرع ألوان الذكاء الجمالي في العالم . وليس بمحال أن يطرأ ظرف يمتح فيه أكثر من أدب أجنبي من معين إرهافات البديع العربي : وما أرقّها وأدقّها ! وإن ما يُنقل الآن من العربية إلى لغات حية معاصرة ليشهد على هذا الإمكان .

ولكن المشاركة العربية في الثقافة العالمية لا تقتصر على مجالي الحقيقة والجمال . ذلك أن لقاءاً متميزاً يجمعنا والبشر في حقل خصيب رئيس هو

حق العمل أو السلوك ، أي الأخلاق .. ترى هل ثمة فضيلة عربية ؟ بمثل
تساؤلنا عن وجود إنسان عربي وأرض عربية ؟

العروبة : سجية حضارية

ليست العروبة ، كما أسلفنا ، قومية عنصرية ، ولا سُخطاً أو تزمناً .
إنها مزاج حضاري كسائر أمزجة الأمم والأقوام . والمزاج الحضاري سجية
شعب حين يفترق عن بقية الشعوب ، وحين يُقرن بهذه البقية من
الشعوب .

وبقول آخر : إن خصائص الأمة تنحل في نهاية المطاف إلى ما يُكسبها
المدح والاعتزاز ، أو ما يجترّ عليها الذم والامتهان . ونحن ، بعفويتنا القومية ،
نعجب طوعاً ، ويسرنا فضل العرب على العجم ، كما قال (ابن قتيبة) (٢٣) .
وقد نغلو بجاهلية فتعني بالعجم كل من ليس عربياً . ومما يروقنا قول (ابن
المقفع) عن أجدادنا الأقدمين : « إن العرب لم تزل في الجاهلية تتواصى
بالحلم والحياء والتدب ، وتتعاير بالبخل والغدر والسّفه ، وتتزه عن الدناءة
والمذمة .. وتوجب للجار حفظ الجوار فوق ما توجب للحميم والشقيق » .

ولكننا ننظر اليوم بعقولنا إلى وقائع الوجود البشري ، ونرى أن في
الناس فضائل أيضاً . والفضيلة بمعناها الدقيق هي الاستعداد لفعل الخير .
وهي اختيار . وكذلك الرذيلة . ولم يبق ممكناً ، ولا مقبولاً ، أن يرجع
فكرنا القهقري إلى عصور الطفولة البشرية ، فنَدعي أن أمة ، أو قوماً ،
يمكن أن يتحلّى وحده بالفضيلة المطلقة ، وأن لا فضيلة لسواه ، أو أن يكون
شعب ، حتى الشعب العربي ، مالكاً باستثثار فضائل البشر كافة ، وأنه
مبرأ من كل نقيصة أو مذمة أو عيب .

والقول الفصل في ذلك كله امتزاج موصول لدى الأفراد والأمم لبعض
فضيلة وبعض رذيلة . وهذه الأمشاج قوام الوجود الأخلاقي كما تجلوه اللغة
العربية ، ومفكروها المدرسيون .

الفضيلة العربية :

الفضيلة في « لسان العرب » هي الدرجة الرفيعة من الفضل .
والتفاضل تمايز في الفضل . والفواضل هي الأيادي الجميلة . والإفضال
الإحسان . وعند (أبي البقاء) الفضل هو كل عطية لا تلزم من يعطي .
وهو بمعنى الزيادة . والفضيلة تدل على صفات الكمال من العلم ونحوه ..
وهي ضد النقيصة ، ومجالها مجال الحكمة العملية من علم السلوك أو
الأخلاق ، إلى علم السياسة ، أو تدبير المرء حياته ، وتدبير المنزل ،
والمدينة ، والدولة ، فالمعمورة .

يقول (ابن المقفع) : « اختلف ثلاثة في العقل والدولة والعافية ،
وتنازعوا أيهم هو الأفضل ؟ » وقصدوا حكماً قلب وجوه هذه القيم الثلاث ،
وانتهى إلى التوفيق بينها « فصاروا هنالك شيئاً واحداً »^(٢٤) . وهذا هو الحل
الذي اعتنقه في منتصف القرن العشرين الفيلسوف العلامة (شارل لالو)
إذ عرض لتنافر قيم الفن والأخلاق ، ودرس تجاذبها وتناوبها . وانتهى في حلّ
نزاعها إلى القول إن القيم كافة نلتقي في ذروة النظر المطلق^(٢٥) .

الكرامة الإنسانية :

إن النظر الإنساني إلى معنى المطلق يقود إلى حلّ المشكلات القيمة في
مجالات الحقيقة والخير والجمال . ويكفي أن نشير هنا إلى دلالة مفهوم ذائع
جداً كان فيه للغة العربية والفكر العربي اسهام كبير في مسار التطور الثقافي
العالمي ، وأعني مفهوم الكرامة الإنسانية .

فعلى صعيد الشعور بالكرامة يتجلى النشاط العربي في جوانب رئيسة
شتى : منها الجانب اللغوي والديني والتاريخي والمثالي . ألم تقل العرب :
فلان كريم المَحْتَد ، والمَنْصِيب ، والمَنْبِت ، والعَنْصُر ، والمَغْرَس ، والجَذْم ،
والأرومة ، والنَجَار ، والأبوة ، والمتنضي ، والمُرْكَب ، والجُرْثومة ، والمتنمي .

وكذلك : فلان مُعِمْ ، مُخول ، وفلان كريم الضُّضِيّ، والآصرة^(٢٦) .. الخ . وقد قال بعضهم ، وما أحسن ما قال : الكرم مثل الحرية ، إلا أن الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة ، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة ...

والى جانب المعطى اللغوي والأدبي نجد في الجانب الديني أن الكريم من صفات الله تعالى وأسمائه . وقد جاء في الذكر الحكيم لفظ الكرم والكرام والأكرم والمُكْرَم في خمسة وأربعين موضعاً . وجاءت كذلك الآية القائلة : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾^(٢٧) . وفي هذه الآية إيماء إلى مساواة الذكر والأنثى من حيث القيمة والأرومة ، مع إمكان تفاوت الناس كافة من حيث العمل الصالح ، والفعل الكريم . ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ .

وهذه المساواة من جهة ، والمنافسة والمباراة من جهة أخرى ، ظلتا تصطرعان في التاريخ العربي - الإسلامي . فالمساواة كأسنان المشط ، أو أسنان الحمار ، لم تتحقق دوماً في أرض الواقع . وظلت ثمة فوارقٌ جنسية واجتماعية وقومية ، وربما عنصرية في بعض الأحيان . ولكن مطلب العزوف عن مساوئ الواقع ، وحصر المنافسة والخصام على المباراة في ابتغاء المزيد من التقوى ظل في الوقت ذاته ناشطاً في ميادين السياسة والمجتمع والاقتصاد والعلم . وهذا الجدل الحي بين واقع مرفوض ، ومثل أعلى مرموق أنجب إرهافاً نامياً في معطيات الثقافة العربية الإسلامية ، من الفقه حيث الرأي والقياس والاجتهاد ، إلى سائر المنجزات العلمية والتطبيقية المتصلة بقواعد السلوك التي تتيح للإنسان ، وتوجب عليه ، تحقيق إنسانيته الأتم ، وعزته النوعية الأكمل . وإن النشاط العربي لغوياً ودينياً وتاريخياً ومثالياً في درب وعي الكرامة الآدمية إنما هو إسهام عظيم ، ومشاركة حية في الثقافة العالمية ، ومن ورائها في تقدم ما يسمى الحضارة والمدنية على قدر سواء .

الحضارة والمدنية :

والحق أن في وسعنا هنا أن نستفيد من خصائص لغتنا العربية الغالية ،
فَنَمِيزَ معنى الحضارة ومعنى المدنية أحدهما عن صاحبه . فالحضارة قيمة
إنسانية تدل على ما يغيّر به البشر معطيات الطبيعة . والثقافة جزء من
الحضارة ، وإن كانت بعض اللغات تجعل الحضارة والثقافة بمعنى واحد . أما
المدنية فإنها الغاية التي تنشدها البشرية كلها وتتخذها في أيامنا هدفاً مشتركاً
أسمى لكل فاعلية حضارية وثقافية معاً . إن الحضارة لا تكون صالحة ،
ولا قيمة مبتغاة ، بل قد تسمي شراً ورذيلة وهمجية حين تنحاز إلى القوة
الغاشمة فتغفل القيم الإيجابية ، وتزن ميزانين : أحدهما للقوي أو للأقوى .

في الحضارة ثقافة عاجزة إن لم تؤيد بقوة الحق المبين . وفي الثقافة
جهود عقلية وفكرية وعاطفية ، ينخر أصحابها ثمار نصيبهم إذا لم تؤت
مشاركتهم أكلها في الحياة وفي الوجود . أما المدنية فهي المفهوم – القيمة
المشتركة الأسمى التي تتسق وكرامة الإنسان الفرد ، والإنسان المجتمع . إنها
مطمح الأخلاق والقانون والفكر والعمل ، والفلسفة والسلوك . وهي
الديمقراطية ، والإخاء ، والتعاقد ، والوفاء : شمولها يمتد من مكافحة المجاعة
والأوبئة والتلوث إلى توافر الأمن والرخاء ومساواة الناس بعضهم بعضاً ، إن
لم نقل إحسان الإنسان إلى الإنسان .

وفي هذا الإطار القيمي الرحب ، وعلى هذا النحو من المشاركة
التاريخية اللازمة ، تسهم ثقافتنا العربية ، عبر لغتنا المعطاء ، إسهاماً وافياً في
الثقافة العالمية ، وهو إسهام جدير بالإبانة والتقدير .

أيها السيدات والسادة :

إن هذا كله غيض من فيض رسالة المجمع الخالدة ، ينهض بها قادة
أجلاء مجتمعون .

طبتم عيشاً ، وأفضلتم سماعاً ، وأجملتم صبراً ، فالشكر لكم ، والسلام عليكم .

الحواشي

- (١) د. شاکر الفحام : حفل استقبال د. محمد زهير البابا (مجلة المجمع - المجلد ٦٤ ج ٣ تموز ١٩٨٩) .
- (٢) د. عبد الکریم الیافي : حفل استقبال د. عبد الحليم سويدان (مجلة المجمع المجلد ٥٩ ج ٣ تموز ١٩٨٤) .
- (٣) أخوان الصفاء : الرسائل - تصحيح خير الدين الزركلي - القاهرة ١٩٢٨ ج ٣ الرسالة ١٧ ص ١٥٢ .
- (٤) جاء علی لسان (فؤاد الخطيب) قوله :
وهل لعبوني ، قبل موتي ، أن أرى فتى عريياً بأنف الذل مقعداً ؟
یرد علی « أم اللغات » جلالها ويجعل للمجد الطريق معبداً ؟
(المجلة - العدد ٤٠ السنة ٤ أبريل - نيسان) ١٩٦٠ ص ٥٨) .
- (٥) د. عبد الحليم سويدان : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع - المجلد ٥٩ ج ٣ تموز ١٩٨٤) .
- (٦) شفيق جبري : حفل استقبال د. حکمة هاشم بتاريخ ١٩٥٤/٣/٢٥ .
- (٧) حفل استقبال د. شکري فيصل بتاريخ ١٩٦٣/٢/١ .
- (٨) حفل استقبال د. مختار هاشم بتاريخ ١٩٨٩/٥/١١ (مجلة المجمع المجلد ٦٤ ج ٣ تموز ١٩٨٩ ص ٤٤٨) .
- (٩) عبد الکریم زهور : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع المجلد ٥٥ ج ٣ تموز ١٩٨٠) .
- (١٠) د. عبد الکریم الیافي : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع المجلد ٥٢ ج ٣ تموز ١٩٧٧) .
- (١١) د. شاکر الفحام : حفل استقبال د. محمد زهير البابا (المصدر المذكور) .
- (١٢) د. إحسان النص : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع المجلد ٦٤ ج ٣ تموز ١٩٨٩ ص ٤٩٥) .
- (١٣) عبد الکریم زهور : خطابه في حفل استقباله (المصدر المذكور) .
- (١٤) الأمير مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ط ٢ دمشق ١٩٦٥ ص ٣٢ و ص ١٧٦ .
- (١٥) سورة البقرة / ٢٥٥ .
- (١٦) سورة يونس / ٩٩ .
- (١٧) د. جميل صليبا : الإنتاج الفلسفي خلال المائة السنة الأخيرة في العالم العربي (مجلة

- المجمع مجلد ٣٦ ج ٤ ومجلد ٣٧ ج ١) - وانظر : الفكر الفلسفي في مائة سنة (هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية - بيروت ١٩٦٢ ص ٣٩٣) .
- (١٨) أبو يوسف يعقوب بن إسحق السكيت : مختصر تهذيب الألفاظ - تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي - بيروت ١٨٩٧ ص ١١٢ .
- (١٩) المعجم العام للعلوم الاجتماعية بإشراف (ج. تينس وآ. لاميرور) باريس ١٩٧٥ - مادة أبستمولوجيا .
- (٢٠) أبو منصور عبد الله بن محمد الثعالبي : فقه اللغة وسر اللغة العربية - القاهرة - بلاتا ص ٢٢٦ .
- (٢١) أبو حاتم محمد بن حبان البستي : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - صححه مصطفى السقا - القاهرة ١٩٥٥ ص ١١ .
- (٢٢) المصدر السابق ص ١٠٣ .
- (٢٣) محمد كرد علي : رسائل البلغاء : كتاب العرب لابن قتيبة - (ط ٣ القاهرة ١٩٤٦ ص ٣٤٤) .
- (٢٤) المصدر السابق : يتيمة السلطان لابن المقفع (ص ١٤٦) .
- (٢٥) شارل لالو : الفن والأخلاق - ترجمة عادل العوا - دمشق ١٩٦٥ .
- (٢٦) عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني : الألفاظ الكتابية - القاهرة ١٩٣١ ص ٣١ .
- (٢٧) سورة الحجرات/ ١٣ .

في بيان نسبة كتاب (المنصوري) في الطب

الدكتور شاكر الفحام

١

كان أبو بكر محمد بن زكريا بن يحيى الرازي (٢٥١ - ٣١٣ هـ)^(١) من أشهر علماء عصره ، جمع المعرفة بعلوم القدماء ، ويقول ابن أبي أصيبعة في صفته : « وكان [الرازي] من صغره مشتتاً للعلوم العقلية ، مشتغلاً بها ، وبعلم الأدب ، ويقول الشعر »^(٢) . وقد أكبَّ على علم الكيمياء (الصناعة) ، وتمهَّر بالطب حتى كان فيه إمام وقته ، وأقبل على دراسة الفلسفة فبلغ فيها الغاية . دبر مارستان الرِّيِّ ، ثم مارستان بغداد زماناً . وقد ألف فأكثر وأجاد ، وصنَّف في الطب الكتب النافعة^(٣) ، وصنع فهرساً لمؤلفاته نقله ابن النديم في كتابه^(٤) ، وتبعه في ذلك القفطي^(٥) ، وعاد أبو الريحان البيروني فآلف فهرساً لكتب الرازي^(٦) . ثم قفى على أثرهما ابن

(١) فهرست كتابهاي رازي لأبي الريحان البيروني ، تح. الدكتور مهدي محقق : ١ ، ٤ ،

(٢) طبقات الأطباء : ٤١٤ .

(٣) الفهرست لابن النديم : ٣٥٦ ، طبقات الأطباء لابن جليل : ٧٧ ، طبقات الأمم

لصاعد : ٨٣ ، وفيات الأعيان ٥ : ١٥٧ - ١٥٨ .

(٤) الفهرست : ٣٥٧ - ٣٥٩ ، ٤٢٣ ، وبلغ عدد الكتب التي سردها ابن النديم :

(١٦٧) كتاب .

(٥) أخبار الحكماء : ٢٧٣ - ٢٧٧ .

(٦) فهرست كتابهاي رازي : ٥ - ١٨ ، وبلغ عدد الكتب التي سردها البيروني :

(١٨٤) كتاب .

أبي أصيبعة ، وكان كثيراً ما يتبع ذكر الكتاب بيان موضوعه وغرضه^(٧) .
ومن أبرز كتب الرازي الطبية : كتاب الحاوي^(٨) ، وكتاب
المنصوري^(٩) .

وقد اختلف مترجمو الرازي في بيان مَنْ نُسب إليه المنصوري الذي
ألف له الرازي كتابه ، ووسمه باسمه . وهذه طائفة من أقوالهم :

١ - قال ابن النديم في الفهرست وهو يتحدث عن الرازي :
« ... وبينه وبين منصور بن إسماعيل صداقة ، وله ألف كتاب
المنصوري » .

- ثم عاد فعَدّد كتبه فقال : « كتاب المنصوري في الطب ، إلى
منصور بن إسماعيل (بن نوح بن نصر من ملوك
آل سامان) »^(١٠) .

٢ - وقال أبو الريحان البيروني وهو يسرد كتب الرازي :
« الكناش المنصوري ، عمله لمنصور بن أسد ، قرابة والي
خراسان »^(١١) .

٣ - وذكر ابن جليل وهو يعدّد كتب الرازي : « ومنها
كتابه الذي بعث به إلى المنصور بن خاقان »^(١٢) .

(٧) طبقات الأطباء : ٤٢١ - ٤٢٧ ، وبلغ عدد الكتب التي عددها ابن أبي أصيبعة :
(٢٣٥) كتاب .

(٨) طبع كتاب (الحاوي) في ثلاثة وعشرين جزءاً ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
بمبدر آباد الدكن - الهند (١٩٥٥ - ١٩٧١ م) . ثم طبعته الدائرة طبعة ثانية .

(٩) طبع كتاب (المنصوري) في الكويت (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م) . وهو من منشورات
معهد المخطوطات العربية .

(١٠) الفهرست : ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وذكر بحقق الكتاب أن ما جاء بين هلالين فهو بخط
غير الخط الذي كتب به المخطوطة .

(١١) فهرست كتابهاي رازي : ٦ .

(١٢) طبقات الأطباء لابن جليل : ٧٧ .

٤ - وتحدث ابن أبي أصيبعة فأورد رواية ابن النديم في الفهرست ، ثم قال في موضع آخر : « وصنّف كتابه المنصوري للمتصور بن إسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر » ، وعاد فقال وهو يعدّد كتب الرازي : « كتاب المنصوري : ألفه للأمير منصور بن إسحاق بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان »^(١٣) .

٥ - وقال ياقوت الحموي وهو يتحدث عن مدينة الريّ : « ومن أعيان من يُنسب إليها أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الحكيم صاحب الكتب المصنفة . مات بالري ، بعد منصرفه من بغداد ، في سنة ٣١١ هـ ، عن ابن شيراز »^(١٤) . ثم قال بعد ذلك يذكر إسماعيل بن أحمد الساماني^(١٥) : « ... فرجع فتزل بظاهر الريّ ، ولم يدخلها ، فخرج إليه أهلها وسألوه أن يتولى عليهم ، ويكتب الخليفة في ذلك ويخطب ولاية الريّ ، فامتنع وارتحل عائداً إلى خراسان في ذي الحجة سنة ٢٨٩ هـ ، ثم جاء عهده بولاية الري من المكتفي^(١٦) وهو بخراسان ، فاستعمل على الري من قبله ابن أخيه أبا صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد فوليا ست

(١٣) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ .

(١٤) كثر الاختلاف في زمن وفاة الرازي . وذكر أكثر مترجميه أن وفاته كانت سنة ٣١١ هـ ، وجعلها البيروني سنة ٣١٣ هـ . وانظر بقية الأقوال في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٤٢٠ ، وأخبار الحكماء للقفطي : ٢٧٢ .

(١٥) في معجم البلدان : « أحمد بن إسماعيل » ، ولعله سهو من المؤلف أو الناسخ ، فإسماعيل بن أحمد بن أسد تولى ملك السامانيين (٢٧٩ - ٢٩٥ هـ) ، وخلفه ابنه أحمد بن إسماعيل بن أحمد الذي تولى الملك (٢٩٥ - ٣٠١ هـ) . انظر تاريخ بخارى للنرخسي : ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٥ - ١٢٦ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ٧٤ ، ١١٧ - ١١٨ ، ١٤٤ - ١٤٥ / سنة ٢٧٩ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ هـ .

(١٦) ذكر ابن الأثير أن الخليفة المكتفي (وقد تولى الخلافة : ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) أنفذ عهداً إلى إسماعيل بن أحمد الساماني بولاية الري ، فسار إليها وبها محمد بن هارون ، فكانت بينهما وقعة ، فاهزم محمد ، ودخل إسماعيل الري (الكامل ٦ : ١٠٤ ، ١٠٧ / سنة ٢٨٩ ، ٢٩٠ هـ) .

سنين ، وهو الذي صنف له أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الحكيم كتاب المنصوري في الطب ، وهو الكناشة . وكان قدوم منصور إليها في سنة ٢٩٠ هـ^(١٧) .

٦ - ونقل القفطي وهو يترجم لأبي بكر الرازي مقالة ابن جلجل في تفسير نسبة المنصوري ، ثم عاد فنقل عبارة ابن النديم^(١٨) .

٧ - أما ابن خلكان فقال في ترجمة الرازي : « وله أيضاً كتاب المنصوري المختصر المشهور وكان قد صنفه لأبي صالح منصور بن نوح بن نصر بن إسماعيل بن أحمد^(١٩) بن أسد بن سامان ، أحد الملوك السامانية ، فنسب الكتاب إليه وكانت وفاة أبي صالح المذكور في شوال سنة ٣٦٥ هـ^(٢٠) ، وكان قد صنف له الرازي الكتاب المذكور في حال صغره ليشتغل به . ثم رأيتُ نسخة كتاب المنصوري وعلى ظهره : ان المنصور الذي وسم الرازي هذا الكتاب باسمه هو المنصور بن إسحاق بن أحمد بن نوح^(٢١) ، من ولد بهرام كور ، صاحب كرمان وخراسان ، وكنيته أبو صالح ... »^(٢٢) .

٨ - وقال الصفدي متحدثاً عن المنصوري : « صنفه لأبي صالح منصور بن نوح أحد ملوك السامانية »^(٢٣) .

(١٧) معجم البلدان (الري) .

(١٨) أخبار الحكماء : ٢٧٢ .

(١٩) أسقط ابن خلكان اسم أحمد الساماني الملقب بالشهد . والصواب : نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد « . وقد تولى أحمد بن إسماعيل الملك سنة (٢٩٥ - ٣٠١ هـ) . انظر الحاشية السابقة رقم (١٥) .

(٢٠) وهذا التاريخ يخالف رواية ابن الأثير الذي جعل وفاة أبي صالح في منتصف شوال سنة ٣٦٦ هـ . (الكامل ٧ : ٨١ / سنة ٣٦٦ هـ) . وانظر تاريخ بخارى : ١٣٣ ، ١٤٣ .

(٢١) الصواب : أحمد بن أسد .

(٢٢) وفيات الأعيان ٥ : ١٥٨ ، ١٦٠ .

(٢٣) الوافي بالوفيات ٣ : ٧٦ ، نكت الهميان : ٢٤٩ .

٩ - وقال الذهبي وهو يترجم للرازي : « وكتاب المنصوري ، صنفه للملك منصور بن نوح الساماني »^(٢٤) .

١٠ - وتحتفظ نسختان من مخطوطات (المنصوري) التي اعتمدها محقق الكتاب بذكر الأمير الذي رسم الكتاب باسمه :

- جاء في نسخة تيمور : « قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازي : إني جامعٌ للأمير منصور بن إسحاق بن إسماعيل بن أحمد » .

- وجاء في نسخة الأوقاف : « قال أبو بكر محمد بن زكريا المتطبب الرازي رحمه الله : إني جامعٌ للأمير سيدي وابن سيدي أبي صالح منصور بن إسحاق - أطال الله بقاءه - في كتابي هذا جملاً وجوامع ونكتاً وعيوناً في صناعة الطب ، ومتحرراً في ذلك الاختصار والایجاز »^(٢٥) .

- ويذكر الأستاذ فؤاد سيد محقق كتاب طبقات الأطباء لابن جلجل أن مخطوطة الخزانة التيمورية تذكر في مقدمتها : « أما بعد فإني جامعٌ للأمير منصور بن إسحاق بن أحمد في كتابي هذا جملاً وجوامع ونكتاً وعيوناً في صناعة الطب ... » ، ويمثلها ما جاء في نسخة آقاي حسين بطهران^(٢٦) .

٢

إن أقصر الطرق وأسلمها لحل هذا الخلاف هو العودة إلى كتب التاريخ . ونستطيع أن نتبين من مجمل ما قاله المؤرخون في حديثهم عن ملوك السامانية الذين قامت دولتهم في ما وراء النهر ، ثم ضموا إليها خراسان ، وكانت بخارى كرسى مملكتهم ، وعلى هدي ما جاء في مقدمة كتاب

(٢٤) سير أعلام النبلاء ١٤ : ٣٥٤ .

(٢٥) المنصوري في الطب (ط. الكويت - ١٩٨٧ م) : ١٧ .

(٢٦) طبقات الأطباء لابن جلجل : ٧٩ .

المنصوري (مخطوطة الأوقاف ، ومخطوطة الخزانة التيمورية التي ذكرها الأستاذ قواد سيد) أن الأمير الذي أهدى أبو بكر الرازي كتابه إليه ، ووسمه باسمه هو أبو صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد [بن سامان] ، كما جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ، وتسقط الأقوال الأخرى التي أثبتتها مترجمو الرازي ، لأنها تخالف حيناً ما أطلعنا عليه في كتب المؤرخين من أنساب السامانيين ، ولا تلائم الوقائع والأحداث حيناً آخر . ولقد شعر بالخرج المؤرخ الكبير ابن خلكان حين نسب المنصوري إلى أبي صالح منصور بن نوح الذي تولى الملك سنة (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ)^(٢٧) ، ولجأ إلى التكلف والتخمين ليصحح الرواية فقال : « وكان قد صنف له الرازي الكتاب المذكور في حال صغره ليشتغل به » .

٣

وهذه كلمة في التعريف بالأمير أبي صالح منصور .

كان أبوه إسحاق بن أحمد بن أسد بن سامان أمير سمرقند وفرغانة ، ولما تولى ملك السامانيين أبو نصر أحمد بن إسماعيل بن أحمد (٢٩٥ - ٣٠١ هـ) خلفاً لأبيه إسماعيل ، خاف عمه إسحاق فسجنه ثلاث سنين (٢٩٥ - ٢٩٨ هـ) ، ثم أطلقه^(٢٨) .

وقد استولى أبو نصر أحمد على سجستان سنة ٢٩٨ هـ ، فولّى ابن عمه أبا صالح منصور بن إسحاق عليها ، فظلّ بها حتى ثار الناس في سجستان سنة ٣٠٠ هـ وحبسوه ، ثم أفرجوا عنه بعد أن عادوا إلى الطاعة . وتولى أبو صالح نيسابور سنة ٣٠٠ هـ^(٢٩) ، ولما قُتل ابن عمه

(٢٧) الكامل لابن الأثير ٦ : ٣٥٩ ، ٧ : ٨١ / سنة ٣٥٠ ، ٣٦٦ ، وانظر الحاشية

السابقة رقم (٢٠) .

(٢٨) الكامل ٦ : ١١٨ ، ١٣٨ ، ١٤٥ / سنة ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ هـ .

(٢٩) الكامل ٦ : ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ / سنة ٢٩٨ ، ٣٠٠ هـ .

أبو نصر أحمد بن إسماعيل ملك السامانية سنة ٣٠١ هـ ، واضطربت الأمور على الملك الساماني الجديد الصغير أبي الحسن نصر بن أحمد بن إسماعيل (٣٠١ - ٣٣١ هـ) وكثر المخالفون ، رفع الأمير منصور راية الخلاف في نيسابور سنة ٣٠٢ هـ ، ولكن الأيام لم تمهله ، فمات في السنة نفسها (سنة ٣٠٢ هـ) ، وقيل : مات مسموماً^(٣٠) .

وتبقى رواية ياقوت في أن أبا صالح منصور بن إسحاق قد ولي الري ست سنين (٢٩٠ - ٢٩٦ هـ) ، فهذه الرواية تفرد بها ياقوت ، ولم أجد فيما اطلعتُ عليه من كتب المؤرخين ما يعضدها أو ينفيها .

وقد عُرف ياقوت بسعة الاطلاع ، ووفور المعرفة ، وتمكنه من مراجعة خزائن الكتب الغنية بالمؤلفات النفيسة النادرة ، فأكمل بكلمته عن أبي صالح ما كان أغفله المؤرخون حين عددوا ولاية الري ، وتحدثوا عن أحداثها .

وقد صنف أبو بكر الرازي للأمير أبي صالح منصور بن إسحاق كتاباً ثانياً هو كتاب الطب الروحاني . وقصّ في مفتحه بيان سبب تأليفه فقال : « جرى بحضرة الأمير - أطال الله بقاءه - ذكرُ مقالة عملتها في إصلاح الأخلاق ، سألتها بعضُ إخواني بمدينة السلام أيام مقامي بها ، فأمر سيدي الأمير - أيده الله - بإنشاء كتاب يحتوي على جُمَل هذا المعنى بغاية الاختصار والابحاز ، وأن أُسمّه بالطب الروحاني ، فيكون قريناً للكتاب المنصوري الذي غرضه في الطب الجسماني ، وعديلاً له ، لما قدّر - أدام الله عزّه - في ضمّه إليه من عموم النفع ، وشموله للنفس والجسد »^(٣١) .

(٣٠) تاريخ بخارى : ١٢٧ ، الكامل لابن الأثير ٦ : ١٤٨ - ١٤٩ / سنة ٣٠٢ هـ .

(٣١) رسائل فلسفية ، تع. كراوس (القاهرة - ١٩٣٩ م) ١ : ١٥ .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق
في مطلع عام ١٩٩٢م (جُمادى الآخرة ١٤١٢هـ)
أ - الأعضاء العاملون

تاريخ دخول المجمع	تاريخ دخول المجمع
١٩٧٩ الدكتور محمد مروان محاسني	الدكتور عدنان الخطيب
١٩٨٣ الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٦٠ « أمين المجمع »
١٩٨٨ الدكتور عبد الله واثق شهيد	١٩٦١ الدكتور أمجد الطرابلسي
١٩٨٨ الدكتور محمد بديع الكسم	١٩٦٨ الأستاذ المهندس وجيه السمان
١٩٨٨ الدكتور مختار هاشم	الدكتور شاكِر النحام
١٩٨٨ الدكتور محمد زهير البابا	١٩٧١ « نائب الرئيس »
١٩٩١ الدكتور عادل العوا	١٩٧٥ الدكتور عبد الرزاق قدورة
١٩٩١ الدكتور عبد الوهاب حومد	١٩٧٦ الدكتور محمد هيثم الخياط
١٩٩١ الأستاذ جورج صدقي	١٩٧٦ الدكتور عبد الكريم البافي
١٩٩١ الأستاذ سليمان العيسى	١٩٧٦ الأستاذ أحمد راتب النفاخ
	١٩٧٩ الدكتور إحسان النص

ب - الأعضاء المراسلون في البلدان العربية^(٥)

تاريخ دخول المجمع	تاريخ دخول المجمع
الجمهورية العربية السورية	المملكة الأردنية الهاشمية
الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤	الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩
	الدكتور سامي خلف حمارة ١٩٧٧
الجمهورية العراقية	الدكتور عبد الكريم خليفة ١٩٨٦
الشيخ محمد بهجت الأثري ١٩٣١	الدكتور محمود إبراهيم ١٩٨٦
الأستاذ كوركيس عواد ١٩٤٨	الدكتور محمود السمرة ١٩٨٦
الأستاذ محمود شيت خطاب ١٩٦٩	الجمهورية التونسية
الدكتور فيصل دبدوب ١٩٦٩	الأستاذ محمد المزالي ١٩٧٨
الدكتور عبد اللطيف البدري ١٩٧٣	الدكتور محمد الحبيب بلخوجة ١٩٨٦
الدكتور جميل الملائكة ١٩٧٣	الدكتور محمد سويسي ١٩٨٦
الدكتور عبد العزيز الدوري ١٩٧٣	الدكتور رشاد حمزاوي ١٩٨٦
الدكتور محمود الجليلي ١٩٧٣	الجمهورية الجزائرية
الدكتور عبد العزيز البسام ١٩٧٣	الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢
الدكتور صالح أحمد العلي ١٩٧٣	الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ١٩٧٧
الدكتور يوسف عز الدين ١٩٧٣	الدكتور صالح الحرفي ١٩٨٦
الدكتور محمد تقي الحكيم ١٩٧٣	المملكة العربية السعودية
فلسطين	الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١
الدكتور إحسان عباس ١٩٧٢	جمهورية السودان
الأستاذ أكرم زعير ١٩٨٥	الدكتور محي الدين صابر ١٩٨٥
الجمهورية اللبنانية	الدكتور عبد الله الطيب ١٩٨٥
الدكتور فريد سامي الحداد ١٩٧٢	

(٥) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني .

تاريخ دخول المجمع	تاريخ دخول المجمع
الأساذ عبد الرحمن الفاسي ١٩٨٦	جمهورية مصر العربية
الدكتور محمد بن شريفة ١٩٨٦	الأساذ محمود محمد شاكر ١٩٧٧
الأساذ عبد العزيز بن عبد الله ١٩٨٦	الدكتور رشدي الراشد ١٩٨٦
	الأساذ وديع فلسطين ١٩٨٦
الجمهورية العربية اليمنية	المملكة المغربية
الأساذ القاضي إسماعيل بن	الأساذ الأحضر غزال ١٩٧٨
علي الأكوع ١٩٨٥	الدكتور عبد الحادي التازي ١٩٨٦

ج - الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع	تاريخ دخول المجمع
السويد	الاتحاد السوفيتي
١٩٦٥ الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٨٦ الدكتور غريغوري شريباتوف
الصين	اسبانية
١٩٨٥ الأستاذ عبد الرحمن ناجوتغ	١٩٤٨ الأستاذ اميليو غارسيا غومز
فرنسة	إيران
١٩٨٦ الأستاذ اندره ميكيل	١٩٧٧ الدكتور محمد حواد مشكور
فلانده	١٩٨٦ الدكتور فيروز حريرجي
١٩٢٣ الأستاذ كرسيكو (يوحنا هتنن)	١٩٨٦ الدكتور محمد باقر حجتي
	١٩٨٦ الدكتور مهدي محقق
النرويج	ايطالية
١٩٢١ الأستاذ مويرج	١٩٤٨ الأستاذ غبريلي (فرنسيكو)
النمسا	باكستان
١٩٢١ الأستاذ جير	الأستاذ محمد صغير حسن
١٩٢٨ الدكتور موجيك (هانز)	١٩٦٦ المعصومي
١٩٥٤ الدكتور اشتولز (كارل)	١٩٨٦ الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي
الهند	تركية
الأستاذ أبو الحسن علي	١٩٧٧ الدكتور فؤاد سزكين
١٩٥٧ الحسني الندوي	١٩٨٦ الدكتور إحسان أكمل الدين اوغلو
١٩٨٥ الدكتور مختار الدين أحمد	
١٩٨٦ الدكتور عبد الحليم الندوي	

مدة توليه رئاسة المجمع

(١٩١٩ - ١٩٥٣)

(١٩٥٣ - ١٩٥٩)

(١٩٥٩ - ١٩٦٨)

(١٩٦٨ - ١٩٨٦)

رؤساء المجمع الراحلون

الأستاذ محمد كرد علي

الأستاذ خليل مردم بك

الأمير مصطفى الشهابي

الأستاذ الدكتور حسني سبيح

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ - الأعضاء العاملون

تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة
١٩٥٥	الشيخ طاهر السمعوني الجزائري ١٩٢٠
	الأستاذ الياس قدسي ١٩٢٦
١٩٥٦	الأستاذ سليم البخاري ١٩٢٨
١٩٥٦	الأستاذ مسعود الكواكبي ١٩٢٩
	الأستاذ أنيس سلوم ١٩٣١
١٩٥٩	الأستاذ سليم عنحوري ١٩٣٣
١٩٦١	الأستاذ ميري قندلفت ١٩٣٤
١٩٦٢	الشيخ سعيد الكرمي ١٩٣٥
	الشيخ أمين سويد ١٩٣٦
١٩٦٦	الأستاذ عبد الله رعد ١٩٣٦
	الشيخ عبد الرحمن سلام ١٩٤١
١٩٦٨	الأستاذ رشيد بقدونس ١٩٤٣
	الأستاذ أديب التقي ١٩٤٥
١٩٧٠	الشيخ عبد القادر المبارك ١٩٤٧
١٩٧١	الأستاذ معروف الأرناؤوط ١٩٤٨
	الدكتور جميل الخاني ١٩٥١
١٩٧٢	الأستاذ محسن الأمين ١٩٥٢
١٩٧٥	الأستاذ محمد كرد علي
١٩٧٦	« رئيس المجمع » ١٩٥٣
١٩٧٦	الأستاذ سليم الجندي ١٩٥٥
	الأستاذ محمد البزم ١٩٥٥
	الشيخ عبد القادر المغربي
	« نائب الرئيس »
	الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف
	الأستاذ خليل مردم بك
	« رئيس المجمع »
	الدكتور مرشد خاطر
	الأستاذ فارس الخوري
	الأستاذ عز الدين التنوخي
	« نائب الرئيس »
	الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي
	« رئيس المجمع »
	الأمير جعفر الحسني
	« أمين المجمع »
	الدكتور سامي الدهان
	الدكتور محمد صلاح الدين
	الكواكبي
	الأستاذ عارف النكدي
	الأستاذ محمد بهجت البيطار
	الدكتور جميل صليبا

تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة
	١٩٧٩	الدكتور أسعد الحكيم
١٩٨٥	١٩٨٠	الأستاذ شفيق حبري
١٩٨٦	١٩٨٠	الدكتور ميشيل الحوري
	١٩٨١	الأستاذ محمد المبارك
١٩٨٦	١٩٨٢	الدكتور حكمة هاشم
١٩٨٨	١٩٨٥	الأستاذ عبد الكريم زهور عدي
		الدكتور شكري فيصل
		« أمين المجمع »
		الدكتور محمد كامل عباد
		الدكتور حسني سبح
		« رئيس المجمع »
		الأستاذ عبد الهادي هاشم

ب - الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية

تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة
١٩٣٨	المملكة الأردنية الهاشمية
١٩٤١	الأستاذ محمد الشريفي ١٩٧٠
١٩٤٢	الجمهورية التونسية
١٩٤٣	الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ١٩٦٨
١٩٤٨	الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور ١٩٧٠
١٩٥١	الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ١٩٧٣
١٩٥١	الأستاذ عثمان الكعاك ١٩٧٦
١٩٥٦	الجمهورية الجزائرية
١٩٥١	الشيخ محمد بن أبي شنب ١٩٢٩
١٩٥٦	الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي ١٩٦٥
١٩٥٧	محمد العبد محمد علي خليفة ١٩٧٩
١٩٥٨	المملكة العربية السعودية
١٩٦٧	الأستاذ خير الدين الزركلي ١٩٧٦
١٩٦٩	جمهورية السودان
١٩٨١	الشيخ محمد نور الحسن
١٩٩٠	الجمهورية العراقية
١٩٢٤	الأستاذ محمود شكري الألوسي ١٩٢٥
١٩٣٦	الأستاذ جميل صدقي الزهاوي ١٩٢٨
١٩٤٥	الأستاذ معروف الرصافي ١٩٣٣
١٩٤٦	الأستاذ طه الراوي ١٩٣٣
١٩٤٧	الأب انستاس ماري الكرمل ١٩٣٣
١٩٦٠	الدكتور داود الجليبي الموصل ١٩٣٣
١٩٦١	الأستاذ طه الهاشمي ١٩٣٥

تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة	
١٩٥٧	الأستاذ عادل زعير	١٩٦٥	الأستاذ محمد رضا الشبيبي
	الأب أوغسطين مرمرجي	١٩٦٩	الأستاذ ساطع الحصري
١٩٦٣	الدومنيكي	١٩٦٩	الأستاذ منير القاضي
١٩٧١	الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٦٩	الدكتور مصطفى جواد
	الجمهورية اللبنانية	١٩٧١	الأستاذ عباس العزاوي
١٩٢٥	الأستاذ حسن بيهم	١٩٧٢	الأستاذ كاظم الدجيلي
١٩٢٧	الأب لويس شيخو	١٩٧٣	الأستاذ كمال إبراهيم
١٩٢٧	الأستاذ عباس الأزهرى	١٩٧٧	الدكتور ناجي معروف
١٩٢٩	الأستاذ عبد الباسط فتح الله		البطريك اغناطيوس يعقوب
١٩٣٠	الشيخ عبد الله البستاني	١٩٨٠	الثالث
١٩٣٠	الأستاذ جبر ضومط	١٩٨٣	الدكتور عبد الرزاق محي الدين
١٩٤٠	الأستاذ أمين الرينحاني	١٩٨٣	الدكتور إبراهيم شوكة
١٩٤١	الأستاذ حرجي نبي	١٩٨٣	الدكتور فاضل الطائي
١٩٤٥	الشيخ مصطفى الغلايني	١٩٨٤	الدكتور سليم النعيمي
١٩٤٦	الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٨٤	الأستاذ طه باقر
	الأستاذ بولس الخولي	١٩٨٤	الدكتور صالح مهدي حنتوش
١٩٤٦	الأمير شكيب أرسلان	١٩٨٥	الأستاذ أحمد حامد الصراف
١٩٥١	الشيخ إبراهيم المنذر		الدكتور أحمد عبد المنار
١٩٥٣	الشيخ أحمد رضا (العالمي)	١٩٨٨	الحواري
١٩٥٦	الأستاذ قليب طرزي	١٩٩٠	الدكتور جميل سعيد
١٩٥٧	الشيخ فؤاد الخطيب		فلسطين
١٩٥٨	الدكتور نقولا فياض	١٩٢١	الأستاذ نخلة زريق
١٩٦٠	الشيخ سليمان ظاهر	١٩٤١	الشيخ خليل الخالدي
١٩٦٢	الأستاذ مارون عبود	١٩٤٧	الأستاذ عبد الله محلي
	الأستاذ بشارة الخوري	١٩٤٨	الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي
١٩٦٨	(الأختل الصغير)	١٩٥٣	الأستاذ خليل السكاكيني
١٩٧٦	الأستاذ أمين نخلة		

تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة
١٩٤٨	الأستاذ أنطون الجميل	١٩٧٧	الأستاذ أنيس مقدسي
١٩٤٩	الأستاذ خليل مطران	١٩٧٨	الأستاذ محمد جميل بيهم
	الأستاذ إبراهيم عبد القادر	١٩٨٦	الدكتور صبحي المحمصاني
١٩٤٩	المازني	١٩٨٧	الدكتور عمر فروخ
١٩٥٣	الأستاذ محمد لطفي جمعة		الجمهورية العربية الليبية الشعبية
١٩٥٤	الدكتور أحمد أمين		الاشتراكية
١٩٥٦	الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٨٥	الأستاذ علي الفقيه حسن
١٩٥٨	الشيخ محمد الحضر حسين		جمهورية مصر العربية
١٩٥٩	الدكتور عبد الروهاب عزام		
١٩٥٩	الدكتور منصور فهمي	١٩٢٤	الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
١٩٦٣	الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٢٥	الأستاذ رفيق العظم
١٩٦٤	الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٢٧	الأستاذ يعقوب صروف
١٩٦٤	الأستاذ خليل ثابت	١٩٣٠	الأستاذ أحمد تيمور
١٩٦٦	الأمير يوسف كمال	١٩٣٢	الأستاذ أحمد كمال
١٩٦٨	الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٣٢	الأستاذ حافظ إبراهيم
١٩٧٣	الدكتور طه حسين	١٩٣٢	الأستاذ أحمد شوقي
١٩٧٥	الدكتور أحمد زكي	١٩٣٣	الأستاذ داود بركات
١٩٨٤	الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٣٤	الأستاذ أحمد زكي باشا
١٩٨٥	الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٣٥	الأستاذ محمد رشيد رضا
	المملكة المغربية	١٩٣٥	الأستاذ أسعد خليل داغر
١٩٥٦	الأستاذ محمد الحجوي	١٩٣٧	الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٩٦٢	الأستاذ عبد الحفي الكتاني	١٩٣٨	الأستاذ أحمد الاسكندري
١٩٧٣	الأستاذ علال الفاسي	١٩٤٣	الدكتور أمين المعلوف
١٩٨٩	الأستاذ عبد الله كنون	١٩٤٣	الشيخ عبد العزيز البشري
١٩٩١	الأستاذ محمد الفاسي	١٩٤٤	الأمير عمر طوسون
		١٩٤٦	الدكتور أحمد عيسى
		١٩٤٧	الشيخ مصطفى عبد الرازق

ج - الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة	الاتحاد السوفيتي	إيطاليا
		الأستاذ كراتشكوفسكي	الأستاذ غريفي (اوجينيو) ١٩٢٥
	١٩٥١	(أغناطيوس)	الأستاذ كابتاني (ليون) ١٩٢٦
		الأستاذ برتل	الأستاذ غويدي (اغنازيو) ١٩٣٥
	١٩٥٧	(ايفكي ادوار دو فيشر)	الأستاذ نلليو (كارلو) ١٩٣٨
		اسبانية	باكستان
		الأستاذ آسين بلاسيوس	الأستاذ محمد يوسف البنوري ١٩٧٧
	١٩٤٤	(ميكل)	الأستاذ عبد العزيز الميمني
		المانية	الراجكوتي . ١٩٧٨
	١٩٢٨	الأستاذ هارتمان (مارتين)	البرازيل
	١٩٣٠	الأستاذ ساخاو (ادوارد)	الدكتور سعيد أبو حمرة ١٩٥٤
	١٩٣١	الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	الأستاذ رشيد سليم الخوري
	١٩٣٦	الأستاذ هوميل (فريتز)	(الشاعر القروي) ١٩٨٤
	١٩٤٢	الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	البرتغال
	١٩٤٨	الأستاذ هرزفلد (أرنست)	الأستاذ لويس (دافيد) ١٩٤٢
	١٩٤٩	الأستاذ فيشر (أوغست)	بريطانية
	١٩٥٦	الأستاذ بروكلمان (كارل)	
	١٩٦٥	الأستاذ هارتمان (ريشارد)	الأستاذ ادوارد (براون) ١٩٢٦
	١٩٧١	الدكتور ريتز (هلموت)	الأستاذ بفن (انطوني) ١٩٣٣
		ايران	الأستاذ مرغليوث (د. س.) ١٩٤٠
	١٩٤٧	الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	الأستاذ كرينكو (فريتز) ١٩٥٣
	١٩٥٥	الأستاذ عباس إقبال	الأستاذ غليوم (الفريد) ١٩٦٥
	١٩٨١	الدكتور علي أصغر حكمة	الأستاذ اربري (أ. ج.) ١٩٦٩
			الأستاذ جيب (هاملتون أ. ر.) ١٩٧١

تاريخ الوفاة

- الأستاذ دوسو (رينه) ١٩٥٨
 الأستاذ ماسينيون (لويس) ١٩٦٢
 الأستاذ ماسيه (هنري) ١٩٧٠
 الدكتور بلاشير (رينجيس) ١٩٧٣
 الأستاذ كولان (جورج)
 الأستاذ لاوست (هنري) ١٩٨٣

المجر

- الأستاذ غولدزير (اغناطيوس) ١٩٢١
 الأستاذ ماهر (ادوارد)
 الأستاذ عبد الكريم جرمانوس ١٩٧٩

النمسا

- الدكتور اشتولز (كارل)

الهند

- الحكيم محمد أجمل خان ١٩٢٧

هولاندة

- الأستاذ هورغرونج (سنوك) ١٩٣٦
 الأستاذ اراندونك (ك فان)
 الأستاذ هوتسا (مارتينوس)

- ١٩٤٣ تيودوروس (١)

- ١٩٧٠ الأستاذ شخت (يوسف)

الولايات المتحدة الأمريكية

- ١٩٤٣ الدكتور مكدونالد (ب)
 ١٩٤٨ الأستاذ هرزفلد (ارنست)
 ١٩٥٦ الأستاذ سارطون (جورج)
 ١٩٧١ الدكتور ضودج (بيارد)
 ١٩٧٨ الدكتور فليب حتي

تاريخ الوفاة

بولونية

- ١٩٤٨ الأستاذ (كوفالسكي)

تركية

- الأستاذ أحمد اتش
 ١٩٣٢ الأستاذ زكي مغامر

تشيكوسلوفاكية

- ١٩٤٤ الأستاذ موزل (ألوا)

الداغرك

- ١٩٣٢ الأستاذ بوهل (فرانز)

- ١٩٣٨ الأستاذ استروب (يحيى)

- ١٩٧٤ الأستاذ بدرسن (جون)

السويد

- ١٩٥٣ الأستاذ سيرستين (ك. ف)

سويسرة

- ١٩٢٧ الأستاذ مونته (ادوارد)

- ١٩٤٩ الأستاذ هيس (ح. ح)

فرنسة

- ١٩٢٤ الأستاذ باميه (رينه)

- ١٩٢٦ الأستاذ مالانجو

- ١٩٢٧ الأستاذ هوار (كلبان)

- ١٩٢٨ الأستاذ غي (ارثور)

- ١٩٢٩ الأستاذ ميشو (بليز)

- ١٩٤٢ الأستاذ بوقا (لوسيان)

- ١٩٥٣ الأستاذ فران (حبريل)

- ١٩٥٦ الأستاذ مارسيه (وليم)

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأخير من عام ١٩٩١

أ - الكتب العربية

وفاء تقي الدين

- آثار الشابي وصداه في الشرق - أبو القاسم محمد كرو - دار المغرب العربي ، تونس ، بيروت ١٩٨٨ م .

- أجمل قصص الأطفال (جزآن) - ترجمة وتقديم د. عبده عبود ، وفريزة التجار - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- أدهم إسماعيل قراءة في ثلاثة أبعاد - خليل صفية - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- الأرض وأسرارها - جورجيت بارتلمي ، ترجمة المهندس ميشيل خوري - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- أساطير جبل كومكانغ - ترجمة سامي كعكي - دار النشر باللغات الأجنبية ، بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .

- الاشتراكية - إعداد وتقديم محمد كامل الخطيب - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (الجزء الأول في قسمين) - تأليف ابن شداد عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ، تحقيق يحيى زكريا عبّارة - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- أعلام الموسيقى الرومانتيكية - ميلتون كروس ، ترجمة أبيه حمزاوي - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- أفلامنا وأفلامهم - تأليف ساتيا جيت راي ، ترجمة عبد الكريم ناصيف - منشورات وزارة الثقافة ، المؤسسة العامة للسينما ، دمشق ١٩٩١ .
- اقتصاد الانتفاضة الوطنية العربية في الضفة الغربية وقطاع غزة - د. عصام الزعيم - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- الإملاء المختصر في شرح غريب السير (٣ أجزاء) - أبو ذر مصعب بن أبي بكر محمد بن مسعود الحشني ، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني - دار البشير .
- أمير المدينة الفضائية - جان السندريني ، ترجمة عطا نعيسه - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- إنسان ومال (حكاية مصورة) - رسم تشاي زوسوب - دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .
- أوجه التشابه الواجب توافرها بين الدول الساعية لتأسيس مجموعات إقليمية - أكاديمية الملكة المغربية ، سلسلة (الدورات) - مدريد ١٤١٠هـ ، الرباط ١٩٩٠م .
- الإوزة البيضاء وقصص أخرى - بول جيليكو ، وجولس فيرن ، ترجمة أديب الإنكليزي - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ،

دمشق ١٩٩١ .

– بيان اللجنة التمهيدية إلى العالم العربي (دائرة المعارف العربية) – رئيس اللجنة عضو المجمع العلمي العربي بدمشق رشيد بقدونس (المتوفى سنة ١٩٤٣) .

– البيت الأخضر – ماريو فارغاس ليوسا ، ترجمة رفعت عطفة – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– تطوير الإعلام في الدول العربية الاحتياجات والأولويات – إعداد يحيى أبو بكر ، سعد ليب ، حمدي قنديل – اليونسكو .

– التقنين الدولي للوصف السيلوغرافي (المواد الخرائطية) – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٠ .

– التيسير في مداواة والتدبير – أبو مروان عبد الملك بن زهر ، تحقيق محمد بن عبد الله الروداني – مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة التراث ، الرباط ١٩٩١ .

– الثقافة العربية الإسبانية عبر التاريخ ، دراسات وأبحاث – عدد من الباحثين والمحاضرين ، صنف المحاضرات ونسقتها باسمه الجزائري – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– ثلاث سنوات ومائتان وواحد وتسعون يوماً – سيرو خزاتيان ، ترجمة نزار خليلي ، مراجعة شوكت يوسف – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– جذور الحجارة (قصص) – فائز الزبيدي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– الجمال الأسود – آنا سويل ، تعريب أديب الإنكليزي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– جيمس والدراقفة الضخمة – رولد داهل ، ترجمة هاني الصالح –

- منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- حركة الإصلاح بتونس في الثلث الأول من القرن العشرين – ندوة دولية أيام ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ أكتوبر ١٩٩١ بدار الثقافة ابن خلدون ، تونس .
- الحركة العمالية – آلان تورين ، ميشيل فيفورك ، فرانسوا دوبيه ، ترجمة عيسى عصفور – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- الحظ السعيد والعائر لمول فلاندرز الشهيرة – دانييل ديغو ، ترجمة خالد حداد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- الحق في الاتصال : تقرير عن الوضع الحالي – تقارير ودراسات في مجال الاتصال الجماهيري – اليونسكو .
- حكايات جديدة لجدتي نعمت – نعمت فوق العادة الحفار – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- حلب ، أسواق المدينة ١٩٢٧ – ١٩٨٠ – الدكتور محمود حريثاني – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- حل مسألة الضرائب في كوريا – الدكتورة المرشحة كيم يونغ هي – دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .
- حول مهمات الشباب في بناء الاشتراكية – كيم ايل سونغ – دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .
- دراسات في الأدب والنقد – أبو القاسم محمد كرو – منشورات دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ١٩٨٩ .
- دراسات في التاريخ والتراث – أبو القاسم محمد كرو – منشورات دار

- المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ١٩٩١ .
- رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية – أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا الوزير ، تحقيق محمد سواعي – دمشق ١٩٩١ .
- سعيد ودراجه – ريشارد بوت ، تعريب أديب الإنكليزي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- السياسي الأديب يوسف غنيمه ، حياته ، آثاره ، عصره – حارث يوسف غنيمه – بغداد ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م .
- شجرة الأمان (قصص للأطفال) – وليم فولكنز ، ترجمة صلاح مزهر – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- صفحات من تاريخ البعث ، دورات مجلس الحزب ١٩٤٧ – ١٩٥٧ – جورج صدقي – دار طلاس ، دمشق ١٩٩١ .
- ضرورة الإنسان الاقتصادي من أجل الإقلاع الاقتصادي لدول أوروبا الشرقية – مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (سلسلة الدورات) ، فاس ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م .
- طبيعة الكون – كليف كيلمستر ، ترجمة المهندس محمد بشار حكمت البيطار – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ م .
- ظلال الطيور الهاربة (قصص وروايات عربية) – جنان جاسم حلاوي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- العرب وابن خلدون – أبو القاسم محمد كرو – دار المغرب العربي ، تونس ، بيروت ١٩٨٨ .
- عمدة الطبيب في معرفة النبات (في قسمين) – أبو الخير الإشبيلي ،

قدم له وحققه محمد العربي الخطابي - أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ١٩٩٠ .

- العنصرية الصهيونية والمجتمع الدولي - الدكتور جورج جبور ، دمشق ١٩٩١ .

- عودة الرجل الغريب (قصص وروايات عربية) - حسن صقر - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- فاتح المدرس فن حديث بروح تعبيرية - طارق الشريف - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- فسر المولى وحصر معانيه والكشف عن حقيقة ما قيل فيه - تأليف أبي الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي ، تحقيق الدكتور حمد بن ناصر الدخيل - الرياض ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

- قانون البحار وتطبيقاته في الدول العربية - الدكتور إدريس الضحاك - الرباط ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- قصص من العالم (جزآن) - عدد من المؤلفين ، ترجمة غادة بلدي ، ومنتهى حسن حديفة - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- القوة العاملة والتخطيط لها وتطبيقاته على واقع القطر العربي السوري - الدكتور مصطفى العلواني - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- كارل غوستاف يونغ ، الأساسيات في النظرية والممارسة - إيلي هومبيرت ، ترجمة وجيه أسعد - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- كاشف هم الويل في معرفة أمراض الخيل ، أو كامل الصناعتين البيطرة والزرطقة المعروف بالناصرى - تأليف أبي بكر بن بدر الدين البيطار ،

تحقيق الدكتور عبد الرحمن الدقاق - دار النفائس ، بيروت ١٤١١هـ
١٩٩١م .

- الكتاب السنوي للإحصاءات التربوية في الوطن العربي ١٩٨٨ -

١٩٨٩ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩١ .

- محمد الهادي المدني شاعر الوطنية والوفاء - أبو القاسم محمد كرو -
تونس ١٩٩١ .

- مختصر لآلء العرب (الجزء الأول) - ألفه سالم خليل رزق ، حققه
محمد المصري والدكتور علي أبو زيد - منشورات وزارة الثقافة في
الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- المرآئي - محمد بن العباس اليزيدي ، تحقيق محمد نبيل طريفي -
منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- مستدرك الفهرس التاريخي للمؤلفات التونسية - أبو القاسم محمد
كرو - بيت الحكمة قرطاج ١٩٨٨ .

- مسرح الأطفال فلسفة ومنهج - موسى كولدبرغ ، ترجمة صفاء
روماني - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق
١٩٩١ .

- المعجم العربي الأمازيغي (الجزء الأول أ - ض) - محمد شفيق -
أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة (معاجم) ، الرباط ١٤١٠هـ
١٩٩٠م .

- المُعَلِّم ومرغريتا - ميخائيل بولغاكوف ، ترجمة يوسف حلاق - دار
رادوغا ، موسكو ١٩٩٠ .

- مَعْلَمَة الملحن (الجزء الثاني - القسم الأول) - تأليف محمد
الفاسي - مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (سلسلة التراث) ، الرباط
١٩٩١ .

- مغنيات بغداد في عصر الرشيد وأولاده – خير الله سعيد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- ملتقى ابن منظور الإفريقي ، دراسات الملتقى الثاني ١٩٧٢ في اللغة والأدب والتاريخ – نخبة من الأساتذة – دار المغرب العربي ، تونس ١٩٧٤ .
- المنسيور كيشوت – غراهام غرين ، ترجمة شاهر حسن عبيد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- الموسوعة الصحفية العربية ، الجزء الثاني : مصر ، السودان ، الصومال – د. عواطف عبد الرحمن ، د. نجوى كامل ، د. عاطف عدلي العيد ، د. صلاح عبد اللطيف – تونس ١٩٩١ .
- الموسيقى في سورية أعلام وتاريخ – صميم الشريف – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- موضوعات حول التخطيط والتنمية في الوطن العربي – د. عصام خوري ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- نشرة الإيداع (يناير ، فبراير ، مارس ١٩٨٨) – دار الكتب القومية ، قسم البيبلوغرافيا القومية – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ .
- نشوء الرواية – إيان واط ، ترجمة عبد الكريم محفوض – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- الولد الصغير المشاكس – فيصل الحجلي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- يوميات يوسف غنيمه (رحلة إلى أوربة ١٩٢٩) – اختارها وعني بها حارث يوسف غنيمه – بغداد ١٩٨٦ .

ب - المجلات العربية المهداة

حسين منعم

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
الأسبوع الأدبي	٢٧٩ - ٢٩٠	١٩٩١	سورية
تاريخ العلوم العربية	٢ ، ١	١٩٩١	سورية
التراث العربي	٤٣ ، ٤٢	١٩٩١	سورية
الثقافة	تشرين أول ، تشرين ثاني ، كانون أول	١٩٩١	سورية
الثقافة الأسبوعية	٣٥ - ٤٦ ، ٤٨	١٩٩١	سورية
صوت فلسطين	٢٨٦ ، ٢٨٥	١٩٩١	سورية
عالم الذرة	١٤	١٩٩١	سورية
مجلة بحوث جامعة حلب	١٣ ، ١٢	١٩٨٩	سورية
المجلة البطركية	١٠٧	١٩٩١	سورية
المجلة الطبية العربية	١١٢	١٩٩١	سورية
مجلة القانون	١٠ - ١	١٩٨٩	سورية
المعرفة	٣٣٩ - ٣٣٦	١٩٩١	سورية
الموقف الأدبي	٢٤٣	١٩٩١	سورية
آفاق علمية	٣٣	١٩٩١	أردنية
المجلة العربية للإدارة	١٥/١	١٩٩١	أردنية
مآب	٨	١٩٩١	أردنية
مؤنة للبحوث والدراسات	٢ ، ١	١٩٩١	أردنية

أردنية	١٩٩٠	-	الموسم الثقافي الثامن
الإمارات العربية المتحدة	١٩٩١	٣	دراسات
الإمارات العربية المتحدة	١٩٩١	٩٨	المنتدى
تونس	١٩٩١	٦١	الحياة الثقافية
السعودية	١٩٩١	٧ ، ٦	نشرة المقتنيات الجديدة
لبنان	١٩٩١	٧	الدراسات الفلسطينية
لبنان	١٩٩١	٥٠٣ - ٤٩٠	الشراع
المغرب	١٩٩١	٨ ، ٧	الارشاد
المغرب	١٩٩١	٥	دراسات سيميائية
المغرب	١٩٩١	٢٨٤ ، ٢٨٣	دعوة الحق
المغرب	١٩٩١	٨٥ ، ٨٣ ، ٨٢	الوحدة
إيران	١٩٩١	٦	تراثنا
تركيا	١٩٩١	٢٦ ، ٢٥	نشرة منظمة المؤتمر الإسلامي
كوريا	١٩٩١	١٧	جمهورية كوريا
الهند	١٩٩٠	٤	ثقافة الهند

ج - الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء المحاسني

1 - BOOKS:

- Droit International, Bilan et perspectives/par M; Bedjaoui. - Paris, unesco, 1991, Tomes I - 2.
- Cartes, Plans et Fortifications Hispaniques De La Tunisie, (XVIé - XIXés.)/par: Juan Bta. Vilar. - Universidad de Murcia 1991.
- Les Musulmans de Valence et la Reconquête (XI - XIII siecles)/par: Pierre Guichard. - Damas, 1991, Deuxieme Tome, (publ. par: Institut Francais De Damas).
- The Museum of Oriental Art, Moscow. Leningrad: Art Publishers, 1988.
- Al - Zahrawi's Al - Tasrif, commemorating its millenary Appearance/by: Sami Hamarneh, off - print of Hamdard Quarterly Journal of Science and medicine. Vol. XXXIII/April - june, 1990, No.2.
- Mondo arabo - islamico, profilo di un risveglio incompito/par: antonio Pellitteri, publ. by: cultura nuova libri, italy, 1991.

2 - Periodicals:

- Bulletin D'Etudes Orientales, De grammaire De L'Arabe Aux Grammaires Des Arabes/publ. by: Institut Francais De Damas, 1991, Tome: XLIII, Année, 1991.
- Asie et Afrique aujourd'hui, nos.: 2,5,1991, Moscou.
- Sources unesco, nos. 30,31,1991, Paris, unesco.
- Espana, revue d'information de L'O.I.D, NO.215, nov., 1991.
- Hamdard Islamicus, a quarterly journal at madinat alhikmat, pakistan, no.3, Autumn 1991, vol. xiv.
- Natural Resources and Development, A Biannual collection of recent german contributions concerning the exploration and exploitation of natural Resources/issued by: Institute for scientific co - operation, Tubingen, vol. 34,1991.
- Social sciences quarterly review, issued by: U.S.S.R Academy of sciences no.i, 1991.

-
- Durham university journal, july, 1991.
 - Lettera Dall' Italia, publ. by: Istituto della enciclopedia italiana fon-
-da G. Treccani, Anno VI, no. 23, LUGLIO – settembre 1991.
 - Acta Biologica Cracoviensia, publ. by/Polska Akademia Nauk,
Warszawa. series: Botanica, vol.: xxxI, series: zoologia, vol. xxxI, 1991.

فهرس الجزء الأول من المجلد السابع والستين

(المقالات)

يَسْبُغُ مَأْلَفُ السَّاجِعَاتِ وَمَرْتَعُ الشَّوَادِنِ قَدِيمًا حمد الجاسر ٣

(التعريف والنقد)

معجم موسوعي وثائقي بالمفردات والمصطلحات الدبلوماسية الدكتور صالح الأشر ٢٣
المستدرك على شعر أبي هلال العسكري الدكتور حاتم صالح الضامن ٣٧

(آراء وأنباء)

- ٤٩ استقبال ثلاثة أعضاء عاملين في الجمع :
- ٥٠ حفل استقبال الزميل الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد
- ٥١ كلمة الأستاذ الدكتور شاعر الفحام نائب رئيس الجمع
- ٥٥ خطاب الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص
- ٦٢ خطاب الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد
- ١٠٠ حفل استقبال الزميل الأستاذ جورج صدقي
- ١٠١ كلمة الأستاذ الدكتور شاعر الفحام نائب رئيس الجمع
- ١٠٥ خطاب الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم
- ١١٣ خطاب الأستاذ جورج صدقي
- ١٢٤ حفل استقبال الزميل الأستاذ الدكتور عادل العوّا
- ١٢٥ كلمة الأستاذ الدكتور شاعر الفحام نائب رئيس الجمع
- ١٢٨ خطاب الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا
- ١٣٦ كلمة الأستاذ الدكتور عادل العوّا : اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية
- ١٥٩ في بيان نسبة كتاب (المنصوري) في الطب الدكتور شاعر الفحام
- ١٦٦ أعضاء جمع اللغة العربية بدمشق في مطلع عام ١٩٩٢م
- ١٧٨ الكتب والمجلات المهداة إلى مكتبة الجمع في الربع الأخير من عام ١٩٩١م
- ١٩٠ فهرس العدد

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

- مشيخة ابن طهمان
- سفر السعادة وسفير الإفادة ج ١
- شعر دعل بن علي الخزاعي (ط ٢)
- الثقافة الإسلامية في الهند (ط ٢)
- شرح الكافية البديعية لصفى الدين الحلبي
- رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا
- نظرات في ديوان بشار بن برد
- التوفيق للتفريق للثعالبي
- فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج ٣
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج ٢
- نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج ١
- تح د. محمد طاهر ملك
- تح محمد أحمد الدالي
- صنعة د. عبد الكريم الأشتر
- لعبد الحلي الحسني
- تح د. نسيب النشاوي
- تح د. طيان وميرعلم
- للدكتور شاكر الفحام
- تح إبراهيم صالح
- وضع محمد رياض المالح
- وضع مراد وسواس
- الدكتور حمدي سبح
- وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

- فهرس مخطوطات الظاهرية (الجامع) ق ١
- سفر السعادة وسفير الإفادة ، ج ٢ ، ٣
- نوح العندليب
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج ٢ ، ٣
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق ١
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة - أحمد بن محمد)
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان)
- وضع ياسين السواس
- تح محمد أحمد الدالي
- لشفيق جبري
- وضع صلاح الخيمي
- تح نشاط غزاوي
- تح عبد الغني الدقر
- تح سكبنة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

- شعر عمرو بن معدى كرب
- معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج ١
- معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج ٢
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج ١
- جمعه ونسقه مطاع الطرايشي
- تح محمد كامل القصار
- تح حافظ وبدبر
- تح عبد الإله نهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٢٤
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٣٩
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج ٢
- المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي
- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجمع) ق ٢
- الميسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج ٣
- المستدرك على فهرس (الشعر)
- تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللعنش
- الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً
- الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا
- تح مطاع الطرايشي
- تح سكينه الشهابي
- تح غازي طلبات
- تح مصطفى الحدري
- وضع ياسين السوام
- تح سبيع الحاكسي
- تح إبراهيم عبد الله
- إعداد رياض مراد
- تح إبراهيم صالح
- للدكتور عدنان الخطيب
- للدكتور أحمد عروة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

- اذهب والمحجوب للسري الرفاء مج ١ - ٤
- شعر خدش بن زهير العامري
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٣٨ ، ٤٠
- إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط ٢)
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٦
- الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج ٤
- علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٥
- تح غلاونجي والذهبي
- صنعة د. يحيى الجبوري
- تح سكينه الشهابي
- تح عبد الإله نهان
- وضع غزوة بدير
- وضع الحيمي والحافظ
- تح أحمد مختار الشريف
- دراسة وتحقيق د. مرياتي وطيان ومير علم
- وضع محمد خير محمد

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا »



رمضان ١٤١٢ هـ
نيسان (أبريل) ١٩٩٢ م

كتب الأنساب العربية (٤)

كتاب : القصد والأتم
في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ،
لابن عبد البر التَّمَرِي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ)
الدكتور إحسان النص

المؤلف (*) :

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر التَّمَرِي النسب (من
النَّجْدِ بن قاسط ، إحدى قبائل ربيعة) ، القرطبي الدار ، إمام عصره في
الحديث حفظاً وفقهاً وتأليفاً ، مع الاطلاع الواسع على المعارف الأخرى
كالأدب والتاريخ والقراءات والأنساب .

ثمة خلاف في سنة ولادته وسنة وفاته ، والجمهور على أنه ولد بقرطبة
سنة ٣٦٨ هـ وفيها طلب العلم وتفقه على أيدي طائفة من علمائها ، وتمن
أخذ عنهم ولزمهم أبو عمر أحمد بن عبد الملك الفقيه الإشبيلي ، والحافظ
أبو الوليد ابن القُرَظِي ، وقد أخذ عنه كثيراً من علمه في الحديث وتراجم
الرجال . وروى عن جماعة من العلماء منهم الحافظ أبو القاسم خلف بن

(●) نشرت الأقسام : الأول والثاني والثالث في مجلة المجمع (مج ٦٤ ، ج ٤ / مج ٦٥ ،
ج ٣ / مج ٦٦ ، ج ٣) .

(*) من مصادر ترجمته : بغية الملتبس للضيبي ص ٤٧٤ ، وقد جعل مولده سنة ٣٦٢ هـ
ووفاته في سنة ٤٦٠ هـ ؛ وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٧ ص ٦٦ ؛ الصلة لابن بشكوال
٦٧٧/٢ ؛ المغرب في حلي المغرب لابن سعيد ٤٠٧/٢ ؛ الديساج المنهب لابن فرحون
ص ٣٥٧ ، شذرات الذهب ٣١٤/٣ .

القاسم^(١) ، وعبد الوارث بن سفيان ، وأبو عمر المعروف بابن الباجي^(٢) ، وسعيد بن نصر^(٣) .

حين اضطربت الأمور في قرطبة إبان الفتنة التي أثارها النزاع بين أمراء بني أمية على الحكم ، والنزاع بين العرب والبربر ، والتي أودت أخيراً بحكم الأسرة الأموية في الأندلس وقيام دويلات الطوائف سنة ٤٢٢ هـ غادر ابن عبد البر قرطبة - ولا تعرف على وجه الدقة سنة مغادرته لها - وأخذ يتجول في بلاد الأندلس شرقاً وغرباً ، ويتنقل بين مدن دانية وبلنسية وشاطبة وغيرها ، وتولى أثناء ذلك القضاء بمدينة بني الأشبونة وشنترين في أيام الملك المظفر بن الأفطس (ت ٤٦٠ هـ) ، وتوفي أخيراً بمدينة شاطبة سنة ٤٦٣ هـ .

نال أبو عمر مكانة رفيعة في عصره فقصده طُلاب العلم ورحل إليه الناس فسمعوا منه وأخذوا عنه ، وتمن أخذوا عنه أبو العباس الدلائي ، وأبو محمد بن حزم مؤلف كتاب « الجمهرة في النسب » ، والحافظ محمد بن فتح الحميدي مؤلف كتاب « جذوة المقتبس » ، وأبو علي الغساني . وقد أثنى عليه الكثير من العلماء ، ومنهم القاضي أبو الوليد الباجي الذي قال فيه : « لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث » وقد جعله أحفظ أهل المغرب^(٤) ، وقال فيه ابن حزم :

(١) ضبط اسمه في ترجمة ابن عبد البر في بغية المتتمس (ص ٤٧٤) : أبو القاسم خالد بن القاسم ، والصواب : خلف بن القاسم كما ورد في مصادر أخرى وفي البغية أيضاً في ترجمته (ص ٢٧٢ - ٢٧٤) وذكر فيها أنه يعرف بابن الدبّاغ

(٢) ضبط في الوفيات (٣٤٨/٢ ط بولاق) : أبو عمرو الباجي ، وقد رجّحت ما وجدته في الصلة (١١/١) وبغية المتتمس (الترجمة رقم ٤٢٣) .

(٣) كذا ضبط اسمه في بغية المتتمس (ص ٣٠١ و ص ٤٧٤) وكنيته أبو عثمان ، وفي وفيات الأعيان : سعيد نصر ، والأول أصح . (وفيات ٦٦/٧) .

(٤) الصلة لابن بشكوال ص ٦٧٧ .

« لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله »^(٥).

صَنَّف ابن عبد البر الكثير من الكتب في الحديث والرجال والمغازي والنسب والقراءات ، ومن كتبه المطبوعة : « الدرر في اختصار المغازي والسير » و « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وهو في تراجم صحابة الرسول عليه السلام ، و « جامع بيان العلم وفضله » و « الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء » ، وقد تحدّث فيه عن الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي ، و « القصد والأمم » و « الإنباه على قبائل الرواة » وكلاهما في الأنساب ، وهما موضع حديثي هنا ، وكتاب « الإنصاف فيما بين العلماء من اختلاف » و « الكافي في الفقه » ، ومن أضخم كتبه كتاب « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » في عشرين مجلدة ، ولم يعثر عليه كاملاً ، وكتاب « الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار » وقد طبع قسم منه . وفي كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان نقول من بعض كتبه .

الكتاب :

الكتاب صغير الحجم ، يقع في زهاء ثلاثين صفحة ، فهو أدنى إلى أن يكون رسالة . وموضوع الكتاب وضّحه المؤلف في مقدمته فقال : « أمّا بعد ، فإني أذكر في هذا الكتاب بعون الله إن شاء الله ، أصول أنساب الأمم من العرب والعجم ، وما تداخل من بعضهم في بعض ، على تباعد البلدان ، ومرّ الدهور والأزمان ، إذ لا يُحصى فروغهم وجماعتهم إلا الله خالقهم الذي هو بكل خلق عليم ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ... »^(٦).

ويتّضح من هذا الكلام أن غاية المؤلف في كتابه بيان أصول أنساب الأمم كلها ، فالكتاب ليس وفقاً على أنساب العرب ، وهو لا يعني بتفصيل

(٥) المصدر السابق .

(٦) الكتاب ، ص ٨ .

الأنساب وإنما يتجه فقط إلى بيان أصول الأنساب عامة ، ولهذا جاء الكتاب موجزاً إذ لا نجد فيه حديثاً مفصلاً عن أنساب العرب .

بدأ المؤلف حديثه ببيان تناسل أُم العالم كلها من ذرية نوح عليه السلام وأبنائه الذين أنسلوا وهم : سام وحام ويافث ، وهو قول جمهور النسابين ، ثم يقدم بعض التفصيل عن أبناء نوح ، فيروي عن ابن عباس قوله : « ولد نوح ساماً وفي ولده يياض وأدمة ، وحاماً وفي ولده سواد ويياض قليل ، ويافث وفي ولده الشقرة والحمرة »^(٧) .

ثم يذكر ما ذهب إليه جمهرة النسابين من أن العرب هم من نسل سام ، ويروي عن سعيد بن المسيب قوله : « ولد نوح ثلاثة : ساماً ويافثاً وحاماً ، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة ، فولد سام العرب وفارس والروم ، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، وولد حام القبط والسودان والبربر » . ويشير المؤلف إلى بعض ما اختلف فيه النسابون بشأن تناسل الأمم من أبناء نوح الثلاثة .

وبعد هذا الإجمال ينتقل إلى التفصيل في أصول الأمم ، بادئاً بالعرب وهو يعرض لموضوع كان يشغل بال القوم في ذلك الحين وهو أول من تكلم بالعربية ، فيذكر مختلف الآراء بهذا الشأن ، هل هو جبريل عليه السلام وقد ألقاها على لسان نوح ، ونوح ألقاها على لسان ابنه سام ، أو أنه آدم ، أو لعلها قبيلة جرهم التي كان بعض رجالها في سفينة نوح ، أو أنه عمليق بن لاوذ ، إلى غير ذلك من الأقوال . ثم يذكر انقسام العرب إلى عاربة ، وهي القبائل العربية التي بادت وانقرضت كعاد وشمود وطسم وجديس ، ومستعربة ، وهم بنو إسماعيل الذين أخذوا العربية عن قبيلة جرهم . ويفيض بعد ذلك في أخبار العرب العاربة وينقل مختلف الأقوال المتصلة بأنسابها وتاريخها وأخبارها ، ثم يروي الأخبار المتصلة بولد

إسماعيل ، وهم العرب المستعربة ، ويقرّر أن « العربية الفصيحة التي في ربيعة ومضر ابني نزار بن معدّ بن عدنان هي التي ألهمها الله إسماعيل »^(٨) ، وإسماعيل ، في رأي بعضهم ، هو أول من وضع الكتابة العربية ، ويتّجه المؤلف أخيراً إلى تقرير أن آدم أول من تكلم بالألسن كلّها وأوّل من وضع الكتاب لأنه علّم اللغات وعلّم الأسماء كلّها ، ويستشهد بالآية الكريمة : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾^(٩) (البقرة ٣١) .

وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى تعداد أبناء سام وكم عمّر كلّ منهم ، فأرفخشذ مثلاً عمّر أربعمئة وخمساً وستين سنة . ثم يتحدّث عن ولد إبراهيم وولد إسماعيل ويعود ثانية إلى موضوع أول من كتب بالعربية وينقل أقوالاً مختلفة بهذا الصدد .

ولما فرغ من سام وأولاده انتقل إلى حام وولده ، ويعلّل سواده وسواد أولاده بما ذكره بعضهم من أن أباه نوحاً دعا عليه بتشويه ولده وسواده ، وأن يكون أولاده عبيداً لأولاد سام . ثم يثبت المؤلف أقوال طائفة من النسّابين المتصلة بأبناء حام ، والخلاف في أولاد حام والأئم المتناسلة منهم ، وهو يجعل من أبناء حام البربر والزنج والحبشة والنوبة والسند وغيرهم ، وجلّهم من نسل كنعان بن حام ، ووضح ما وقع من الاختلاف في نسب البربر ، وعنده أن أثبت ما قيل فيهم أنهم من ولد قبط بن حام^(١٠) ، ونفى انتماء البربر إلى قبيلة قيس عيلان . أمّا فراعنة مصر فالنسّابون يتفقون في أنهم من ولد حام^(١١) .

ثم يقف بعد ذلك عند يافث وولده ، ويجعل من ولده اليونانيين ،

(٨) الكتاب ، ص ١٦ .

(٩) نفسه ، ص ١٨ .

(١٠) نفسه ، ص ٢٤ .

(١١) نفسه ، ص ٢٧ .

وهم الروم الأولى ، والروم الثانية ، والفرس ، والأكراد ، والبرجان ،
والديلم ، والترك ، والصقالبة ، والصغد ، والصين . ويذكر مختلف
الأقوال في أصولهم النسيية ، وكذلك يجعل من ولد يافث يأجوج ومأجوج
وهم « أمم لا يقدر أحد على استقصاء ذكرهم لكثرتهم »^(١٢) .

هذا ملخص ما جاء في كتاب المؤلف ، ومنه يتضح أنه جمع فيه
أقوال النسابين والأخباريين المتصلة بأصول أنساب الأمم ، وبين هذه
الأقوال اختلاف كثير لأنها لا تقوم على أصول علمية ثابتة . وكان المؤلف
يدلي أحياناً برأيه فيرجح قولاً على قول أو ينفي بعض المرويات ، على أنه ،
بوجه عام ، يتجه إلى الرواية والنقل أكثر مما يتجه إلى النقد وتمحيص
الأخبار .

والنهج الذي سار عليه هو إيراد أقوال أهل النسب والأخبار
بأسنادها ، وهي طريقة المحدثين ، ونحن نعلم أن المؤلف كان إماماً في
الحديث وروايته .

وقيمة الكتاب هي في كونه يعرض لنا مختلف أقوال الأخباريين
والنسابين في أصول الأنساب .

طبع الكتاب بمطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٣٥٠ هـ وعنت بنشره
مكتبة القدسي ، وقد ألحق به كتاب آخر لابن عبد البر في الأنساب هو
كتاب « الإنباه على قبائل الرواة » ، وهو موضع حديثي الآن .

كتاب

الإنباء على قبائل الرواة

لابن عبد البر

الكتاب :

لم يقصد ابن عبد البر من تأليف هذا الكتاب بيان أنساب العرب عامة وإنما كان قصده بيان أنساب القبائل العربية التي روت عن رسول الله عليه السلام ، وقد جعله مدخلاً لكتابه « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وقد وضح غايته هذه في مقدمة كتابه فقال : « أما بعد ، فإنني ذكرت في كتابي هذا أمهات القبائل التي روت عن رسول الله ﷺ ، وقربت ذلك واختصرته وبيّنته وجعلته دليلاً على أصول الأنساب ومدخلاً إلى كتابي في الصحابة ، ليكون عوناً للناظرين فيه ، ومنبهاً على ما يحتاج إليه من معرفة الأنساب » (١٣) .

وقد بدأ كتابه بالحديث عن علم النسب ووجوب العناية به ، فعلم النسب « علم لا يليق جهله بذوي الهمم والآداب ، لما فيه من صلة الأرحام والوقوف على ما ندب إليه النبي ﷺ بقوله : تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم .. » (١٤) ثم يبيّن فوائد علم النسب ورد على القائلين بأنه علم لا ينفع وجهالة لا تضر ، ودعم كلامه بالآية الكريمة : ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ وبطائفة من الأحاديث النبوية وأقوال الخلفاء الراشدين .

ثم ذكر ابن عبد البر أن كتابه هذا مأخوذ من أمهات كتب النسب ومنها : كتاب ابن إسحاق ، وكتاب الجمهرة لابن الكلبي ، وكتاب

(١٣) الإنباء ، ص ٤٢ .

(١٤) الإنباء ص ٤٢ .

أبي عبيدة معمر بن المثنى ، وكتاب محمد بن عبدة بن سليمان ، وكتاب محمد بن حبيب ، وكتاب أحمد بن محمد العدوي في نسب قريش ، وكتاب الزبير بن بكار في نسب قريش ، وكتاب عمه مصعب بن عبد الله الزبيري في نسب قريش أيضًا ، وكتاب علي بن كيسان الكوفي في أنساب العرب قاطبة ، وكتاب علي بن عبد العزيز الجرجاني ، وكتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسي ... »^(١٥) .

ويتضح مما تقدم أنه كان في زمن المؤلف ، في القرن الخامس الهجري ، مؤلفات كثيرة في الأنساب ، بعضها في أنساب العرب عامة ، وبعضها الآخر في نسب قريش خاصة ، ولم يصلنا من هذه المؤلفات إلا القليل ، وهي التي ألفها ابن الكلبي والزبير بن بكار ومصعب الزبيري ، وسائرهما في حكم المفقود . على أننا نجد لدى مطالعة الكتاب أن جلّ اعتماد المؤلف كان على كتاب محمد بن عبدة .

يعقد المؤلف أولاً فصلاً لعدنان ، فيذكر إجماع النسابين على أنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وإنما وقع الاختلاف في عدد الآباء بينهما ، ثم أورد أحاديث نبوية وأقوالاً تذهب كلها إلى أن أحداً لا يعرف ما وراء معدّ بن عدنان من آباء .

وبدأ بعد ذلك يفصل القول في الأنساب ، فيذكر نسب عدنان حتى ينتهي به إلى إدريس النبي ، ويقول إن هذا النسب هو الذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان^(١٦) . وبهذا يناقض ما ذكره قبل من أن أحداً لا يعرف ما وراء معدّ بن عدنان من آباء .

وبهذه المناسبة يثبت قصيدة أبي العباس عبد الله بن محمد الناشئ (المتوفى سنة ٢٩٣ هـ) والتي مدح بها الرسول عليه السلام وأثبت فيها

(١٥) الإنباه ، ص ٤٦ .

(١٦) الإنباه ، ص ٤٩ .

نسبه إلى عدنان .

وانتقل بعد ذلك إلى قحطان فذكر ما وقع من الخلف بين العلماء في نسبه ، فطائفة نسبته إلى إرم بن سام ، وطائفة نسبته إلى عابر بن شالخ ، وطائفة ثالثة نسبته إلى إسماعيل بن إبراهيم . ويذكر أن من قالوا بانتسابه إلى إسماعيل قد أبدوا رأيهم بقوله عليه السلام لقوم من أسلم والأنصار : « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً » ، ولكن ابن عبد البر يميل إلى الأخذ بقول ابن عباس : « العرب العاربة قحطان بن الهميسع .. » وذلك لأن ابن عبد البر وجد إسناده حسنًا . « وهو أعلى ما روي في هذا الباب وأولى بالصواب » (١٧) . فكذلك نرى أنه ينهج نهج علماء الحديث في ترجيحه الأقوال التي يجد سندها قويًا ، ويوازن بين الأقوال بمعيار أسنادها .

وينتهي المؤلف حديثه عن عدنان وقحطان بقوله : « لا خلاف بين أهل العلم بالنسب أن العرب كلها يجمعها جذمان ، والجذم الأصل ، فأحدهما عدنان والآخر قحطان ، فالى هذين الجذمين ينتهي كل عربي في الأرض ، ولا يخلو أحدٌ من العرب أن ينتمي إلى أحدهما » (١٨) .

وبعد أن فرغ من حديثه عن جذمي عدنان وقحطان أخذ يفصل القول في أصول القبائل العدنانية واليمانية ، فوقف أولاً عند قضاة وذكر ما وقع بشأنها من اختلاف بين علماء النسب ، فمنهم من ينسبها إلى معد بن عدنان . وهم جمهرة النسابين ، وقد أورد حديثًا نبويًا يؤيد هذا النسب وأبياتًا لزهير بن أبي سلمى وغيره تؤيد انتماء قضاة إلى معد ، وطائفة أخرى تنسبها إلى اليمن ، فهي عندهم قضاة بن مالك بن حمير . وهنا أيضًا ترد أحاديث نبوية تدعم قول هؤلاء النسابين – ونحن نلاحظ أن افتعال الأحاديث النبوية لدعم هذا الرأي أو ذاك كان مألوفًا

عصرئذ ، كما نعلم أن القول الثاني هو الذي استقرّ عليه النسابون آخر الأمر ، فقضاة عندهم حميرية قحطانية - وهنا أيضاً يسوق المؤلف أشعاراً تؤيد انتماء قضاة إلى اليمن .

ويقف المؤلف بعد ذلك وقفات قصيرة عند كل من نزار ومضر وخندف ، ليقف وقفة أطول عند قريش ، فيذكر فضلها على سائر القبائل ، ومختلف الأقوال في سبب تسميتها بقريش ، ثم يعدّد البطون والأفخاذ التي تنتمي إليها والرجال المشهورين في كل بطن وفخذ ، ويعنى خاصة بذكر رواة الحديث منهم .

ثم ينتقل من قريش إلى كنانة وهذيل والقارة وأسد فيوجز الحديث عن هذه القبائل إيجازاً شديداً ، ثم يقف وقفة أطول عند قبيلة تميم والرواة المشهورين فيها ، وهكذا يتابع حديثه عن قبائل خندف بنت مضر فيتحدث في إيجاز شديد عن قبائل مُزينة والرباب وضبة .

وحين فرغ من خندف انتقل إلى الفرع الثاني من مضر وهو قيس عيلان ، فذكر ما وقع بشأنها من خلاف بين النسابين ثم عدد قبائلها وبطونها وأفخاذها والرواة المشهورين في كل منها .

وبعد قيس عيلان يعقد المؤلف فصلاً قصيراً لخزاعة وما دار من خلاف في نسبها بين النسابين ، إذ ينسبها بعضهم إلى قمعة بن خندف بن مضر ، وينسبها آخرون إلى قبيلة الأزد القحطانية ، وهو يورد حجج الفريقين التي تؤيد قولهما ، على أنه لا يرجح قول أحد الفريقين على الآخر ، وينتقل أخيراً إلى تعداد بطون خزاعة ورواة الحديث المشهورين في كل منها .

وبعد أن فرغ من مضر انتقل إلى الحديث عن ربيعة وقبائلها والرواة المشهورين فيها ، على أنه لا يطيل في الحديث عن ربيعة ، وسرعان ما ينتقل

إلى الكلام عن طائفة من القبائل وقع الخلاف بشأنها بين النسابين أهي عدنانية أم قحطانية وهي : بجيلة وخثعم وعاملة ولحم وجذام ، ويقرر أكثر أهل النسب على أنها قحطانية .

وأخيراً يقف المؤلف عند القبائل القحطانية التي لا خلاف في نسبها بادئاً بالأزد ، ذاكراً في كل قبيلة المشهورين من رواة الحديث فيها .

وقد اتبع ابن عبد البر في كتابه هذا النهج الذي اتبعه في كتابه الأول من حيث الإيجاز وإيراد السند في كل خبر - على طريقة المحدثين - مع بيان الكتب التي استعان بها مثل كتاب محمد بن عبدة وكتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسي وكتاب الجمهرة في النسب لابن الكلبي وغيرها . فإذا عن له رأي نسبته إلى نفسه فقال : قال أبو عمر . وقد أورد ابن عبد البر الأشعار التي أيد بها النسابون أقوالهم ، ولكن في غير إكثار .

وهذا الكتاب أوسع من سابقه فهو يستغرق ما يزيد على سبعين صفحة وهو مع ذلك شديد الإيجاز بالقياس إلى كتب الأنساب الأخرى . وقيمة الكتاب هي في تعداد أسماء رواة الحديث في كل قبيلة من قبائل العرب .

* * *

كتاب

طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب

للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول

(... - ٦٩٦هـ)

المؤلف^(١) :

هو عمر بن يوسف بن رسول البغساني ، ثالث ملوك آل رسول

(١) من مصادر ترجمته : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لعل بن الحسن الخزرجي ؛

باليمن . ويذكر المؤلف في ترجمته لأسرته أن آل رسول يرجعون بنسبهم إلى الملك الغساني جبلة بن الأيهم ، فهم إذاً من سلالة آل جفنة ملوك الشام ، وقد فصل المؤلف نسبهم في الكتاب^(١٩) .

واسم « رسول » الذي عرفت به أسرة المؤلف أطلق - فيما يذكرون - على أحد أجداد المؤلف واسمه محمد بن هارون بن الفتح ، وكان مُقَرَّباً من أحد خلفاء بني العباس ، فجعله رسولاً له إلى الشام ومصر ، ومن هنا أصبح يعرف برسول حتى جهل اسمه الحقيقي ، ونسبت أسرته بعد ذلك إليه . وربما أطلق على الأسرة لقب « التركاني » ، ويعلل الخزرجي في العقود اللؤلئية هذا اللقب بإقامة أسرة جدّهم الأول جبلة بن الأيهم في بلاد التركان بعد جلائهم عن بلاد العرب ، فزلوا أولاً بلاد الروم مع جبلة ثم ارتحلوا إلى بلاد التركان وتكلموا بلغتهم وانقطعت صلتهم بالعرب فنسبهم بعض من لا يعرفهم إلى التركان ، وقد عادت الأسرة بعد حقبة من الزمن إلى بلاد العرب .

ولا تتضح أخبار أسرة رسول إلا منذ أيام الأيوبيين ، فالمصادر التاريخية تذكر أن صلاح الدين لما أرسل أخاه شمس الدولة توران شاه إلى اليمن لقتال حكامها من الفاطميين أرسل معه نور الدين عمر بن علي بن رسول ، فسار معه إلى اليمن سنة ٥٦٩ هـ وكان مع عمر عدد من آل رسول^(٢٠) .

وبعد مغادرة توران شاه بلاد اليمن ظلّ عمر بن علي ومن معه من آل رسول مقيمين فيها . وفي سنة ٦١١ هـ يغدو « آقسي » ابن الملك الكامل الأيوبي ملكاً على اليمن ويلقب بالملك المسعود ، وكان ملكاً جباراً قتل المئات

= ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٦/٢٢٣ ؛ ومقدمة طرفة الأصحاب للأستاذ صلاح الدين المنجد ؛ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، الجزء الخامس وما بعده .

(١٩) انظر كتاب طرفة الأصحاب ص ٨٩ - ٩٢ .

(٢٠) النجوم الزاهرة ٨/٧١ .

من أشرف أهل اليمن . وقد قَرَّب عمر بن علي وولاه الحصون ثم ولّاه مكة . ولما توجه إلى مصر استناب على اليمن واستناب أخاه بدر الدين على صنعاء ، فقويت في زمنه شوكة آل رسول وعظم أمرهم ، وقد تخوّف آقسيس تعظم سلطان آل رسول فأمر بسجن نور الدين وإخوته ثم أمر بنفيهم عن اليمن ولكنه استبقى نور الدين في خدمته وجعله أتابك عسكره .

ولما توفي الملك المعظم عيسى بدمشق سنة ٦٢٥ هـ توجه آقسيس إلى دمشق لأخذها واستناب نور الدين عمر مكانه على بلاد اليمن وجعله خليفته في ملك اليمن إن هو توفي . ولما بلغ الملك المسعود مكة سنة ٦٢٦ هـ توفي مسموماً ، فسنحت الفرصة لنور الدين عمر فتولّى ملك اليمن وقاتل الخارجين عليه من أمرائها ، فكان أول من ملك اليمن من آل رسول ولُقّب بالملك المنصور .

وفي سنة ٦٤٧ هـ قُتل الملك المنصور بيد مماليكه فقام بالأمر بعده ولده الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر ، وقد اشتهر هذا الملك بالحزم والدهاء والحنكة السياسية ، وكان أول من كسا الكعبة داخلها وخارجها سنة ٦٥٩ هـ ، وقد دام ملكه ستة وأربعين عاماً . وكان معنياً بعلوم الطب ، وله كتاب « الأدوية المفردة » وهو مطبوع .

كان الملك المظفر معجباً ببيكره عمر لشغفه بالعلم وشجاعته فندبه للقيام بمهمات تأديبية ثم نزل له عن الملك سنة ٦٩٤ هـ بمحضر من النبلاء والأشرف وجاء في التقليد الملكي ما نصه : « أمّا بعدُ ، فقد ملّكنا عليكم من لا نؤثر فيه - والله - داعي التقريب على باعث التجريب ، ولا عاجل التخصيص على آجل التمهيص ، وهو سليلنا الخطير ، وشهابنا المنير ، وبصيرنا الذي نرجو به صلاح البلاد والعباد ... »^(٢١) ولم يلبث الملك المظفر أن توفي في العام نفسه .

(٢١) العقود اللؤلؤية ١/٢٨٤ .

وقد تولى الملك الأشرف عمر ملك اليمن في عهد ولاية الملك العادل زين الدين كَثُفًا على مصر . وكان الأشرف محمود السيرة ، محبوبًا من الرعية ، مهيب الجانب ، ولم تطل مدة ملكه فقد توفي في المحرم من سنة ست وتسعين وستمئة بعد أن حكم زهاء سنة ونصف ، وآل الملك بعده إلى أخيه المؤيد داود .

كان الملك الأشرف كأييه منصرفًا إلى طلب العلم وكانت له مشاركة في الفقه والحديث والنحو والفلك ، ولكنه انصرف خاصة إلى الطب وعلم النسب . وقد صنّف في مختلف الفنون ، فألّف كتابًا جامعًا في الطب سماه « المعتمد في مفردات الطب » وما زال مخطوطًا ، كما ألّف كتابًا في الاسطرلاب ، وقد تحدث عنه الشيخ طاهر الجزائري في مجلة المقتبس (مجلد ٣ عام ١٩٠٩م) ، وكتاب « تحفة الآداب في التواريخ والأنساب » ، وكتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » موضع حديثنا ، ولم يطبع من كتب المؤلف حتى الآن غيره (٢٢) .

الكتاب :

الكتاب في أنساب القبائل عامة ، ولكنه عني بأنساب القحطانية خاصة وينسب آل رسول أسرته وأوجز القول في أنساب القبائل العدنانية على أنه فصل القول في أنساب رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه وخلفاء بني أمية وبني العباس ثم في أنساب الأمراء والأشراف من أهل اليمن .

(٢٢) ذكر الأستاذ صلاح الدين المتجدد في مقدمة كتاب « طرفة الأصحاب » أن للملك الأشرف كتابًا اسمه « جواهر التيجان » ، وقد ورد ذكره في الطرفة مرتين ، في ص ٤٥ وص ٤٨ ، ووردت في ص ٤٨ عبارة : « قد ذكرنا قصتهم في جواهر التيجان » مما يوهم أن الكتاب للملك الأشرف ، ولكن المؤلف كان ينقل هنا عن نشوان بن سعيد الحميري (انظر ص ٤٣ من الكتاب) وهذه العبارة يرجح أنها من كلام نشوان الحميري ، والأرجح أن مؤلف جواهر التيجان هو نشوان الحميري وإن لم يذكر من ترجموا له أن له كتابًا بهذا الاسم ، والظاهر أن الكتاب تلخيص لكتاب « التيجان » لابن هشام الحميري .

فالكتاب لا يحقق التوازن في ذكر أنساب مختلف القبائل ، يفصل القول في بعضها ويوجز في بعضها الآخر . ويوضح المؤلف خطته في مقدمة كتابه فيقول : « هذا مختصر في علم الأنساب ، يسهل حفظه على أولي الألباب ، يحتوي على أصول أنساب العرب ، مقرب حفظها لأولي الطلب ، مضافاً إليه نسب النبي المختار ، مشفوعاً بصحابه الأبرار ، نبهنا على أوصلهم به سبباً ، وأقربهم منه نسباً ، ثم تلوناه بالخلفاء من بني أمية وبني العباس ، ثم من بني رسول ملوك اليمن ، ثم من شهر بخدمتهم من أكابر الأشراف ، في عصرنا والأعراب ، مما اطلعنا عليه وتلقيناه من الأصحاب ، مرتبين على قدر مناصبهم ، ومميزين بحق مراتبهم ... » (٢٣).

ثم بدأ حديثه عن الأنساب بنقل ما وجدته في كتاب ابن واضح (٢٤) حول آدم ومن خلفه من أولاده ، وانتقال الأمر من واحد إلى آخر حتى زمن نوح وحديث الطوفان وهلاك البشر كلهم باستثناء أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث ، وقسمة البلاد بينهم : « فجعل لسام وسط الأرض والحرم وما حوله واليمن وحضرموت إلى عُمان إلى البحرين إلى عالج وبيرين ووُبار والدهناء ، وجعل لحام أرض المغرب والسواحل ، وجعل لياث شرق الأرض جميعها . فولد حام : كُوش وكنعان والنوبة والزنج والحبشة والقبط ... » (٢٥) . ثم يذكر اختلاف المؤرخين في أولاد كل من أبناء سام . ويتابع بعد ذلك تسلسل الأنساب ، معتمداً على صاحب العقد ، فقد انتقل الأمر من سام إلى أرفخشذ إلى شالخ فعابر . وهنا يبين اختلاف النسابين فيمن انتقل الأمر إليه بعد عابر . وهو يجعل العرب كلهم من ولد سام ، وهما قسيان : ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وهم عدنان ، وولد قحطان بن

(٢٣) طرفة الأصحاب ص ١ .

(٢٤) ابن واضح هو أحمد بن إسحاق ... بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢ هـ) ويعرف

تاريخه بتاريخ اليعقوبي . طبع بدار الفكر ، بيروت ١٩٥٦ .

(٢٥) طرفة الأصحاب ص ٣ .

هود ، وهم أهل اليمن .

وبدأ بعد ذلك بأنساب القحطانية وقبائلها ، بخلاف ما اتبعته طائفة أخرى من النسابين آثرت البدء بالأنساب العدنانية رعاية لنسب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ولعل دافعه إلى ذلك كونه قحطاني النسب .

ولم يتبع المؤلف نهج ابن الكلبي في تفريع القبائل من أصولها وتفرع البطون من القبائل ، وإنما وقف عند كل قبيلة من قبائل قحطان وذكر بطونها المشهورة ، وقد بدأ بكهلان فذكر أولاً نسب الأزدي وقبائلها الست والعشرين ، والبطون المشهورة في كل قبيلة ، وكل ذلك على وجه الإيجاز . ثم انتقل إلى سائر قبائل كهلان : خثعم وبجيلة وهمدان ومذحج وطئ والأشعر ولخم وجذام وكندة ، ووقف وقفة قصيرة عند كل منها .

ولما فرغ من كهلان انتقل إلى حمير - الفرع الثاني من قحطان - فذكر قبائلها وبطونها ، وأدخل قضاة في حمير - وهو ما سار عليه جلّ النسابين - فذكر القبائل القضاعية وبطونها .

وبعد هذه الإمامة السريعة بأنساب قحطان انتقل إلى عدنان فجعل القبائل العدنانية كلها ترجع في نسبها إلى أصلين : معدّ وعكّ . ومن المعروف أن ثمة خلافاً بين النسابين في نسبة عكّ ، والجمهور على أنها يمانية . وذكر قبائل معدّ الأربع : مضر وربيعة وأنمار وإياد ، ثم عدّد القبائل المتفرعة من كل منها وبطونها ، ولم يحاول أن يوضح تفرّع القبائل من أصولها وتسلسل أنسابها ، وقد بدأ بمضر فربيعة فأبياد .

ولما فرغ من معدّ انتقل إلى عكّ فذكر قبائلها وبطونها .

بعد هذا الإجمال انتقل المؤلف إلى شيء من التفصيل : « فنذكر هاهنا القبائل ونوردها مفرّعة مشروحة على سبيل الاختصار أيضاً »^(٢٦) ،

وهنا أيضًا بدأ بقبائل قحطان فوقف أولاً عند بني جفنة الغسانيين - وقد ذكرت أن آل رسول ينسبون أنفسهم إليهم - فأثبت نسب جبلة بن الأيهم وما قيل فيه من الشعر ، ونقل عن ابن الجون في شرح الخمرطاشية^(٢٧) نسب ملوك آل جفنة ومدة حكمهم ثم فصل القول في نسب غسان وقبائلها ، ووقف عند آل رسول فتفى أن يكون انتمائهم إلى حمير أو إلى اللخمين ، ورأى أن من فعل ذلك إنما جرى على سبيل من ينسب الرجل إلى بني عمه^(٢٨) . ثم يعود إلى ذكر آل جفنة فيجعل منهم بني رسول ، يقول : « ومنهم ملوك اليمن بنو الرسول ، وأولهم الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، ومنهم السلطان الأعظم المظفر شمس الدنيا والدين ، يوسف بن عمر ، أوحده ملوك الزمن . ومنهم ولده - أي المؤلف - محمد الدنيا والدين ، الملك الأشرف أبو الفتح عمر بن يوسف بن عمر ، أفضل ملوك اليمن ، وأفضل ملوك الدهر ، وأشرف أبناء العصر ، وكفاهم فخراً أن أول الزمان لآبائهم وآخره لهم ... »^(٢٩) .

نرى في الفقرة السابقة أن المؤلف كان يعظم شأن آبائه وأجداده ، وهو يبالغ في إطرائهم كلما ورد ذكرهم في كتابه ، فمن ذلك قوله مثلاً : فهؤلاء الذين قدّمنا ذكرهم من أولاد كهلان هم أقرب قبائل قحطان إلى نسب السلطان الملك المظفر شمس الدنيا والدين يوسف بن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول^(٣٠) .

(٢٧) ابن الجون هو أبو الربيع سليمان بن موسى الأشعري نسباً ، الزبيدي ملداً ، المتوفى سنة ٦٥٢ هـ . فقيه حنفي من أهل اليمن . من كتبه : « الرياض الأدبية » وهو شرح للمقصورة التاريخية الخمرطاشية في تاريخ اليمن القديم من نظم أبي الحسن بن خمرطاش الزبيدي المتوفى سنة ٥٥٤ هـ (مخطوطات المتحف البريطاني) .

(٢٨) الطرفة ، ص ٢٦ .

(٢٩) نفسه ، ص ٢٨ .

(٣٠) نفسه ، ص ٣٩ .

ويبدو أن بعض النسابين كانوا ينسبون آل رسول إلى الملوك اللخمين أو إلى التابعة الحميريين أو إلى سواهما ، ومن هنا كان المؤلف يحرص على تأكيد نسبة آل رسول إلى آل جفنة ويجعل نسبتهم إلى قبائل قحطان الأخرى من قبيل نسبة الرجل إلى أعمامه ، لأن جميع هذه القبائل تنتمي إلى سبأ الأكبر ، وهو يحيل في بيان نسب أسرته إلى شرح ابن الجون للخرطاشية . وقد تكرر كلام المؤلف بهذا الشأن أكثر من مرة في كتابه وكأنما كانت غاية المؤلف من تأليف مختصره هذا بيان نسب أسرته لما وقع لدى النسابين والشعراء من الغلط الكثير في نسبهم^(٣١) .

ولما فرغ المؤلف من نسب كهلان انتقل إلى حمير ففصل القول في نسبها ، فأورد أولاً أنساب التابعة وذكر طائفة من أخبارهم ، وهي أخبار غير جديرة بالثقة في جملتها ، وهو يحيل في سياقة نسبها أحياناً إلى كتاب « جواهر التيجان »^(٣٢) كما ينقل عن كتاب لنشوان الحميري لا يسميه^(٣٣) .

ثم أثبت المؤلف أنساب الأقيال ، والقبيل هو الذي يخلف الملك في مجلسه ، وأنساب الأذواء ، وهم ملوك اليمن الذين في صدور ألقابهم لفظ « ذو » ومنهم : ذو يزن ، وذو نواس ، وذو رعين ، الخ ... ثم يعود المؤلف مرة أخرى إلى تفصيل أنساب حمير . ويقف أخيراً عند أنساب قضاة ،

(٣١) الكتاب ، ص ٤٢ .

(٣٢) هذا الكتاب لم يصل إلينا ولعله اختصار لكتاب « التيجان في ملوك حمير » : لعبد الملك بن هشام (ت ٢١٣ هـ) ، وهو من تأليف نشوان الحميري كما يستدل من عبارة وردت في الكتاب ص ٤٨ .

(٣٣) نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣ هـ) ، قاض عالم باللغة والأدب والنحو والتاريخ معتزلي المذهب ، كان متعصباً للقحطانية ، له كتاب « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم في اللغة » : طبع قسم منه ، كما طبعت متخبات منه تتعلق بأخبار اليمن ، بعناية عظيم الدين أحمد ، لندن ١٩١٦ م . وله مؤلفات أخرى .

وهي عنده من جَمِير .

وبعد انقضاء الأنساب القحطانية يذكر أنساب العدنانية ، بادئاً بنسب مضر « لكون النبي محمد ﷺ منهم »^(٣٤) . فيسوق أولاً أنساب اليأس بن مضر ثم أنساب قيس عيلان بن مضر ، فأنساب ربيعة . وهنا نجد المؤلف يخالف جمهرة النسابين إذ يجعل ربيعة تنتمي إلى مضر . ويسوق نسبها على النحو الآتي : « هو ربيعة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان »^(٣٥) ، وهي عند جميع النسابين : « ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان » ، والمعروف أن نزاراً يتفرّع إلى قبيلتين كبيرتين هما : ربيعة ومضر ، فنسبة ربيعة إلى مضر خطأ فاحش وقع فيه المؤلف ، ولعله سهو منه لأنه سبق أن ذكر أن قبائل معد هي : مضر وربيع وأثمار وإياد^(٣٦) .

وبعد تعداد قبائل ربيعة أورد نسب أثمار ، وهو عنده أثمار بن نزار ، على أن في نسب أثمار خلافاً بين النسابين . ثم أورد نسب عك بن عدنان ، وفي نسبها أيضاً خلاف ، وجمهور النسابين على أنها قحطانية . وفي حين نجده يفصل القول في أنساب قحطان نراه شديد الإيجاز في ذكر الأنساب العدنانية . على أنه بعد هذا الإيجاز في الأنساب العدنانية يفصل القول في نسب الرسول عليه السلام وفي نسب الخلفاء الراشدين والصحابة المشهورين ، وكذلك في نسب خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس حتى سقوط بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦ هـ ، وهو يذكر سنة تولي كل منهم الخلافة وسنة وفاته .

وبعد فراغه من سياقة أنساب الخلفاء يعود مرة أخرى إلى أنساب أسرته

(٣٤) الكتاب ص ٥٧ .

(٣٥) الكتاب ، ص ٦٢ .

(٣٦) الكتاب ، ص ١٤ .

بني رسول ، فيفصل القول في كل من ملوكها ويذكر أولاده . على أن هذا القسم ليس من عمل المؤلف وإنما هو من عمل مؤلف آخر لم يذكر اسمه لأنه يذكر اسم الملك الأشرف وأسماء أولاده ثم يذكر من جاء بعده من ملوك آل رسول ، وآخرهم الملك الفائز والأمير شرف الدين محمد بن علي بن رسول ، وبعد ذلك نجد العبارة الآتية : « حاشية المصنف إلى هذا الذي ذكر فقط . ثم قام بعد ذلك ملوك مشهورون من ذريتهم »^(٣٧) ، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه آنفاً من أن الكتاب ليس كله من تأليف الملك الأشرف عمر بن يوسف ، وإنما جاء بعده من أضاف إليه ، ولهذا نقع في الكتاب على شيء من التكرار في ذكر أنساب القبائل وأنساب بني رسول .

ويلي ذلك سرد لأنساب الأشراف باليمن والحجاز بني حمزة وبني القاسم وأولادهم ، ثم نسب الأمراء من بني وهّاس ، وهم بطن من العلويين كانوا بالحجاز واليمن ، ويذكر المصنف من كان منهم في زمنه وهو محمد بن جعفر بن أبي هاشم^(٣٨) . وليس بين أيدينا ما يعيننا في تعيين زمن هذا الأمير .

ويلي ذلك نسب الأمراء من بني صفّي الدين ، فأنساب طائفة من الأئمة العلويين وأشراف اليمن ومنهم : العباسيون ، والقتادات ، وبنو سليمان ، والشهابيون ، والسبئيون وغيرهم .

وفي آخر الكتاب تعداد للقبائل المذحجية في عهد المصنف - الملك الأشرف أو سواه - مع بيان عدد أفراد كل قبيلة .

وقيمة الكتاب ليست في عرض الأنساب العدنانية والقحطانية ، ففي

(٣٧) الكتاب ص ٩٢ .

(٣٨) الكتاب ، ص ١٠٠ .

كتب الأنساب الأخرى من التفضيل ما لا نجده في هذا الكتاب ، وإنما قيمته في بيان أنساب ملوك اليمن المتأخرين والأشراف والأمراء العلويين في اليمن والحجاز .

مصادره : استمد المؤلف مادة كتابه من مصادر شتى ذكرها في كتابه ، ومن هذه المصادر كتاب « شمس العلوم » لنشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣ هـ) ، وتاريخ ابن واضح أحمد بن إسحاق اليعقوبي (المتوفى بعد سنة ٢٩٢ هـ) ، وكتاب « الإكليل » للحسن بن أحمد الهمداني المعروف بابن الحائك (ت ٣٣٤ هـ) ، وكتاب « الكامل في التاريخ » لعز الدين ابن الأثير علي بن محمد (ت سنة ٦٣٠ هـ) ، وكتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه (ت ٣٢٧ هـ) ، وكتاب « جواهر التيجان » لنشوان الحميري ، وشرح ابن الجون الأشعري (ت ٦٥٢ هـ) على المقصورة الخمرطاشية في تاريخ اليمن القديم ، وكتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، وكتاب « الباب » للأشعري^(٣٩) ، وكتاب

(٣٩) كذا ورد اسمه في « كشف الظنون » في أكثر من موضع ، ومن ذلك ما ورد في المجلد

الثاني ص ١٥٤٠ :

« الباب إلى معرفة الأنساب ، مختصر لأبي الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري ذكر فيه جملة مصنفات في هذا الفن ، ثم قال : « وقد استخرجت من هذه (أي المصنفات) كتاباً مختصراً سميته التعريف بالأنساب ، توسطت فيه بين الإكثار والإقلال ، ثم عملت « الباب » ... وقد ذكرت فيه أمهات القبائل ووطنها وجعلته مدخلاً إلى علم النسب . » وقد أثبت الأستاذ المنجد اسمه كما ورد في كشف الظنون وخطاً ما وجدته في المطبوعة (ص ٦٧) .

وهو عبارة : « قال الأشعري في كتابه المعروف بالباب » فأثبت في الحاشية عبارة : « كذا ، والصواب : الباب » ، اعتماداً على ما وجدته في كشف الظنون .

إلا أن الأستاذ المحقق حمد الجاسر خالف الأستاذ المنجد فيما ذهب إليه ورأى أن الصواب في اسم الكتاب هو « الباب » وأيد كلامه بما جاء في مقدمة كتاب الباب (مطبوع بمكة) وهو : « هذا مختصر في علم النسب وقبائل العرب جعلته ذريعة إلى الاختصار وسبباً في الاقتصار وسميته كتاب الباب إلى معرفة الأنساب ... » والصواب ما ذهب إليه الأستاذ الجاسر لأنه يوافق ما جاء =

« مقدمة الأنساب » للشریف الحسینی^(٤٠) ، وكتاب « خلاصة السير » لمحب الدين الطبري أحمد بن عبد الملك (ت ٦٩٤ هـ) وكتاب « بُلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء » .

طبع الكتاب في المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية الآن) بتحقيق المستشرق ستر ستين ، دمشق ١٩٤٩ م وقدم له الأستاذ صلاح الدين المنجد .

وقد استدرك الأستاذ الجاسر على المؤلف طائفة من الأخطاء سواء في ضبط أسماء القبائل أو في نسبة بعض الأشخاص ، (انظر مقالته في مجلة المجمع العلمي المجلد ٢٦ ص ٢٢٣) ومن ذلك أنه نسب أبا مسلم الخراساني إلى قبيلة خولان (ص ٥٧ من الكتاب) والصحيح أنه عجمي خراساني ، أما المنسوب إلى خولان فهو أبو مسلم الخولاني الفقيه الزاهد . وكذلك جعله ربيعة من أبناء مضر ، وقد أشرت إلى هذا الخطأ آنفاً ، ومنها أيضاً أنه نسب قس بن ساعدة إلى قبيلة أثمار (ص ٦٣ من الكتاب) والصحيح أنه من قبيلة إياد العدنانية ، إلى غير ذلك من الأخطاء .

= في الأصل وما جاء في مقدمة كتاب « الباب » نفسه ، ويؤيد هذا عنوان الكتاب « الباب إلى معرفة الأنساب » يريد أنه جعله مدخلاً إلى معرفة الأنساب ولو كان اسمه « اللباب » لكان عنوانه : اللباب في معرفة الأنساب . ولا يصح أن يدعى : اللباب إلى معرفة الأنساب ، وقد أخطأ صاحب كشف الظنون في تسميته باللباب . (انظر مقالة الأستاذ حمد الجاسر في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٢٦ ص ٢٢٣) .

ولم يذكر حاجي خليفة سنة وفاة الأشعري في هذا الموضع ، ولكنه حين تحدث عن كتابه الآخر وهو « التعريف بالأنساب » ذكر أن وفاته كانت في حدود سنة ٥٥٠ للهجرة .

(٤٠) لعلة الشریف أبو البركات الجَوَانِي الحسینی أسعد بن علي الذي استمد منه النويري في نهاية الأرب ، كما سيأتي ، ومقدمته تعرف بمقدمة الشریف الجَوَانِي وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية .

كتاب

نهاية الأرب في فنون الأدب

لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري^(١) ٦٨٢ - ٧٣٣ هـ

المؤلف

هو شهاب الدين ابو العباس أحمد بن عبد الوهاب ، تُرجع أسرته نسبها إلى أبي بكر الصديق ، ومن هنا قيل له البكري ، أما لقبه النويري الذي اشتهر به فهو نسبة إلى النورية ، وهي قرية مصرية تابعة لمديرية بني سُيوف بالصعيد ، وكانت أسرته تقيم بها ، ولكن مولده كان - فيما يذكر الأدفوي^(٢) - بمدينة قوص ، من مدن صعيد مصر ، وكان مولده سنة اثنتين وثمانين وستمئة للهجرة^(٣) ، وبها كانت نشأته . وليس لدينا الكثير حول نشأته وحياته في تلك المدينة ، وجُلّ ما عرفناه عنه أنه أخذ الحديث والفقه عن طائفة من الشيوخ منهم الشريف موسى الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب ، ويعقوب بن أحمد بن الصابوني ، وأحمد الحجار ، وزينب بنت يحيى ، وقاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جماعة .

اتصل النويري بالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٨٤ - ٧٤١ هـ) وأصبحت له حظوة عنده ، ويذكر الأدفوي أن الناصر وكله في بعض أموره وأنه تقلب في الخدم الديوانية وباشّر نظر الجيش بطرابلس وتولى نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية .

(١) من مصادر ترجمته : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد للأدفوي ؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢٩٩/٩ ؛ البداية والنهاية لابن كثير ١٦٤/١٤ ؛ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي ، الجزء الأول ؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر .

(٤١) الطالع السعيد ص ٩٦ .

(٤٢) هذا ما جاء في المنهل الصافي لابن تغري بردي ٣٦١/١ ، وفي الأعلام للزركلي أنه

ولد سنة ٦٧٧ هـ .

وكان إلى جانب عمله في الديوان يقوم بنسخ الكتب بخطه ثم يبيعها ،
ويذكرون أنه نسخ صحيح البخاري ثمانى مرات ، وكان يقابل كل نسخة
بالأصل ثم يجلدها ويبيع النسخة بألف درهم ، وكان له طاقة عجيبة على
النسخ والتأليف ، ذكروا أنه كان يكتب في اليوم ثلاث كراريس .

أثنى المؤرخون على علم النويري وذكروا أنه كانت له مشاركة في علوم
كثيرة ، وكان يجيد الخط ويكتب الخط المنسوب ، وله نظم يسير ، ونثر
حسن ، وكان إلى ذلك ظريفاً متودداً حسن المعاشرة ، ويصفه ابن كثير بأنه
« بالجملة كان نادراً في وقته » (٤٣) .

اشتهر النويري بكتابه « نهاية الأرب » على أن بعض المؤرخين ذكروا
أن له كتاباً آخر في التاريخ في ثلاثين مجلدة (٤٣) . وأرى أن الأمر اختلط
عليهم فكتابه في التاريخ هو كتاب « نهاية الأرب » عينه ، والقسم التاريخي
يحتل منه جانباً كبيراً ، ويؤيد ما ذهبت إليه ما ذكره ابن تغري بردي فهو
يقول : « وألف تاريخاً سماه نهاية الأرب في علم الأدب ، في ثلاثين
مجلداً (٤٤) » . وذكر نحو ذلك في كتابه النجوم الزاهرة (٤٥) ، فليس للنويري
كتاب مستقل في التاريخ ، وكان ينسخ كتابه هذا ويبيعه بألفي درهم .

يذكر معاصره الأدفي أن وفاته كانت بسبب وجع حصل له في
أطراف أصابع يديه ، ومات وله خمسون سنة أو تزيد قليلاً ، واختلف
المؤرخون في تعيين سنة وفاته بين سنتي ٧٣٢ هـ و ٧٣٣ هـ .

الكتاب

الكتاب موسوعة أدبية وعلمية وتاريخية ضخمة تجمع فنوناً شتى من
المعرفة ، وعنوان الكتاب المطبوع : « نهاية الأرب في فنون الأدب » ، وهو

(٤٣) البداية والنهاية ١٤/١٦٤ .

(٤٤) المنهل الصافي ١/٣٦١ .

(٤٥) النجوم الزاهرة ٩/٢٩٩ .

عند ابن تغري بردي في المنهل الصافي : « نهاية الأرب في علم الأدب »^(٤٦) ، ولكنه في كتابه الآخر النجوم الزاهرة يجعل اسمه : « منتهى الأرب في علم الأدب » ، كما يذكر أن كتابه هذا يعرف باسم « تاريخ النويري »^(٤٧) .

ولست هنا بصدد دراسة الكتاب وإنما يعني منه القسم الخاص بالأنساب ، وقد قسم النويري كتابه إلى فنون ، والفنون إلى أقسام ، والأقسام إلى أبواب ، وبحث النسب يشغل الباب الرابع من القسم الأول من الفن الثاني الذي تناول فيه الإنسان وما يتعلق به ، ويقع هذا الباب في الجزء الثاني من الكتاب ، وهو في ثلاث وثمانين صفحة .

بحث النويري في الأنساب موجز ليس فيه إضافة إلى ما في كتب الأنساب السابقة ، ولا يدلّ على تعمق في أنساب العرب ، وإنما أتى به هنا استيفاءً للمباحث المتصلة بالإنسان . ويبدو أن جُلّ اعتماده فيه كان على المقدمة التي وضعها الشريف أبو البركات الجوّاني ، يقول في مستهلّ حديثه عن الأنساب : « وقفت على المقدمة التي وضعها الشريف أبو البركات الجوّاني^(٤٨) ، فرفعت له علماً ، ونصبت له إلى المعالي سُلماً ، لأنه أتقن أصولها ، وحرّر فصولها ، وأورد فيه من الأنساب ما ينتفع به اللبيب ، ويستغني بوجوده الكاتب الأريب .. »^(٤٩) .

(٤٦) المنهل الصافي ٣٦١/١ .

(٤٧) النجوم الزاهرة ٢٩٩/٩ .

(٤٨) الشريف أبو البركات الجوّاني هو أسعد بن علي الحسيني الجوّاني نسبة إلى (الجوّانية) وهي من قرى المدينة المنورة ، وكان يقيم بمصر . وقد ترجم له القفطي في الإنباه (٢٣٠/١) وذكر أنه موصلّي الأصل ، ولم يعين سنة وفاته ولكنه ذكر أنه أدرك أيام الصالح بن رُزَيْك المتوفى سنة ٥٥٦ هـ . على أنه لم يكن معروفاً باشتغاله بالأنساب وإنما عرف بذلك ولده محمد بن أسعد بن علي الشريف الجوّاني وكنيته أبو علي ، وله كتاب في النسب اسمه « تاج الأنساب ومنهاج الصواب » . (انظر : الوافي في الوفيات ٢٠٢/٢ ولسان الميزان لابن حجر ٧٤/٥) .

(٤٩) نهاية الأرب ٢٦١/٢ .

ثم يقول بعد قليل : « وعلى الشريف العمدة فيما أوردته ، والعهدة فيما نقلته ، فمن تأليفه نقلت ، وعلى مقالته اعتمدت »^(٥٠) . على أن في الكتاب ذكرًا لعلماء آخرين في النسب ومنهم ابن الكلبي والوزير المغربي ، مؤلف كتاب الإيناس .

بدأ النويري حديثه عن أنساب العرب ببيان عناية العرب بأنسابها وافتخارها بمعرفتها . ثم قسّم العرب إلى عشر طبقات : الجذم ، فالجمهور ، فالشعب ، فالقبيلة ، فالعمارة ، فالبطن ، فالفخذ ، فالعشيرة ، فالفصيلة ، فالرھط ، وعرف كلاً منها . وهذا التقسيم ليس من ابتكار النويري فقد سبقه إليه علماء النسب قبله ، وإن كان بين علماء النسب خلاف في ترتيب الجماعات القبلية . والعرب عنده - وعند جمهور علماء النسب - يرجعون جميعاً إلى جذمي قحطان وعدنان . ولكن النويري لم يتحدث عن الأنساب القحطانية والعدنانية مباشرة وإنما بدأ بذكر الأنساب منذ زمن آدم ، وجعل آدم الجدّ الخمسين للرسول عليه السلام ، مع أنه ذكر قبل ذلك أنه « قطع الخوض فيما فوق قحطان ومعدّ وعدنان ، واقتصر على ذكر ما دونهما لاجتماعهم على صحته ، ومنه قول سيدنا رسول الله ﷺ لما انتسب إلى معدّ بن عدنان : « كذب النسّابون فيما فوق ذلك »^(٥١) ، فقد أباح النويري لنفسه هنا أن يتقصى أنساب العرب منذ عهد آدم ، وقد جعل عمود النسب المحمّدي من آدم في ابنه شيث وأمّه حواء^(٥٢) . ثم أخذ يسلسل أبناء آدم من شيث ويذكر العقب من كل منهم ، ويرد في سياقة هذه الأنساب ذكر ابن الكلبي وصاحب الشجرة^(٥٣) ، حتى يصل إلى سام بن نوح

(٥٠) الكتاب ٢/٢٦٢ .

(٥١) الكتاب ٢/٢٦٢ .

(٥٢) نفسه ٢/٢٧٠ .

(٥٣) لم يصرح النويري باسم مؤلف هذا الكتاب ولعله محمد بن رضوان المتوفى سنة ٦٥٧ هـ

فقد ذكر صاحب كشف الظنون (١٠٢٧/٢) أن له كتاباً اسمه « الشجرة في الأنساب » .

فيجعله الجدّ الأربعين للرسول عليه السلام ، وهو هنا يعتمد على روايات النّسّابين القدامى ، وأكثرها لا يصحّ .

وبعد أن فرغ من الأنساب القديمة انتقل إلى قحطان وعدنان ، وقسم العرب إلى أقسامها الثلاثة : عاربة ، ومتعرّبة ، ومستعرّبة . فالعاربة هي البائدة ، والمتعرّبة هم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة وسكنوا ديارهم ، والمستعرّبة هم بنو إسماعيل بن إبراهيم ، وهم العدنانية . وهذا التقسيم هو الذي جرى عليه جلّ النّسّابين .

ثم بدأ بذكر أنساب قحطان على وجه الاختصار ، ومعتمده على الشريف الجوّاني . وقف أولاً عند قبيلة حمير وما تفرّع عنها ، وهو ينقل عن الجوّاني ترجيحه انتساب حضرموت إلى حمير ، وهو قول شيوخه في النسب .

وهو يذهب مذهب بعض النّسّابين في جعل قبيلة صنهاجة البربرية من نسل الهيمع بن حمير ، كما يجعل قضاة من ولد مالك بن حمير ، خلافاً لمن جعلها معدّية عدنانية .

وحين فرغ من حمير انتقل إلى كهلان فعّدّد قبائلها وبطونها وأفخاذها المشهورة ، على وجه الإيجاز . وكان أحياناً يذكر أسماء بعض الرجال المعروفين في كل بطن ، ولكنه لا يفصّل القول في ذكر الأعلام ، على نقيض ما فعله ابن حزم .

وقد أنهى حديثه عن أنساب اليمن بقول الجوّاني : « وهذه النهاية في اختصار أنساب اليمن ، وقد احتوت على الغاية في حسن إيصال البطون وتبيينها في الترتيب^(٥٤) .

وبعد فراغه من أنساب قحطان انتقل إلى عمود النسب النبوي في

(٥٤) الكتاب ، ص ٣٠٣ .

عدنان بدءاً من فالغ بن عابر بن شالخ حتى وصل إلى إبراهيم الخليل ، وهو عنده الجدد الحادي والثلاثون للرسول عليه السلام ، فذكر عقبه وأبناءه حتى انتهى إلى إسماعيل ؛ وهو يقرر أن سياقة النسب بين آدم وإسماعيل ، على ما أورده ، صحيحة لا خلاف فيها بين النسابين ، وذلك نقلاً عن التوراة . والخلاف إنما وقع عندهم فيما بين إسماعيل وعدنان ، ويعلّل هذا الاختلاف بأُمّة العرب واعتمادهم في معرفة انسابهم على الحفظ والرواية الشفهية . ومن بين الروايات المتعددة يختار الجوّاني رواية كان يعتمد عليها شيخ الشرف محمد بن أبي جعفر الحسيني العبدلي النسابة ، وهي منسوبة إلى عبد الله بن عباس ، وهي - عنده - عمدة أكثر النسابين . وممن اختارها أبو بكر محمد بن عبده الفقعسي النسابة الطرسوسي ، وهو يوثق هذه الرواية على رغم ما أورده من حديث الرسول عليه السلام الآنف الذكر في تكذيب النسابين حين يعرضون لذكر أنساب من كانوا قبل عدنان .

وحين يصل إلى عدنان يذكر تفرّعها إلى مضر وربيعه وأثمار وإياد ، ثم يذكر قبائل كل منها وبطونها باختصار شديد ، وأثمار عنده التحقت بأنساب اليمن . وقد فصل بعض التفصيل في الأنساب المصرية بفرعها : خندف وقيس عيلان ، وحين وصل إلى قريش عدّد بطونها وأفخاذها حتى بلغ الرسول عليه السلام فذكر نسبه كاملاً حتى بلغ به آدم ، وبذلك ينتهي حديثه عن أنساب العرب .

طبع الكتاب بدار الكتب المصرية ، عام ١٩٢٣م وما بعدها ، وقد طبع منه حتى الآن ثمانية عشر جزءاً .

* * *

مصادر البحث :

- الأدفوي جعفر بن تغلب : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء

والرواة بأعلى الصعيد . تح . سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ .

- ابن بشكوال : الصلة . تح . عزة العطار ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي . الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٩ م ، القاهرة .
- حاجي خليفة مصطفى الجلبى بن عبد الله : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون طبعة بالأوفست عن طبعة استامبول ، إيران ١٣٨٦ هـ .
- ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . حيدر آباد ١٣٤٨ هـ .
- حمد الجاسر : مقالة حول كتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٢٦ ص ٢٢٣ نيسان ١٩٥١ م .
- الخزرجي ، علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية تح . محمد بن علي الأكوخ بيروت ١٩٨٣ .
- ابن خلكان : وفيات الأعيان . تح . إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٠ م .
- ابن رسول ، عمر بن يوسف : طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب . تح . سترستين . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٤٩ م .
- ابن سعيد الأندلسي : المغرب في حلى المغرب . تح . شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣ م .
- السيوطي جلال الدين : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . تح . محمد أبو الفضل إبراهيم جزءان القاهرة ١٩٦٤ م .

- ابن عبد البر : القصد والأثم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥٠ هـ ، ومعه كتاب الإنباه على قبائل الرواة .
- ابن عميرة الضبي ، أحمد بن يحيى : بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، طبعة مصورة عن طبعة مدريد سنة ١٨٨٤ م بعناية المستشرقين كوديرا ورييرا ، مكتبة المثنى ببغداد .
- ابن فرحون : الدياج المذهب في معرفة أعيان المذهب . القاهرة ١٩٥١ م .
- ابن كثير : البداية والنهاية . مطبعة السعادة ، القاهرة .
- نشوان بن سعيد الحميري : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . أشرف على طبعه القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي البجلي ، القاهرة وبيروت .
- التويري ، شهاب الدين : نهاية الأرب في فنون الأدب . طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٣ م ، وما بعدها .

ألوان من التصحيف والتحريف

في كتب التراث الأدبي المحققة

« محاولة لعرض آفات التصحيف والتحريف على أساس منهجي تطبيقي »

الدكتور صالح الأشر

تمهيد

كتب فلوير في أواخر أيام حياته إلى إحدى أديبات عصره يقول باعتزاز كبير : « إنما نحن ، أعني رجال الأدب ، نحن وحدنا الناس ، وبتعبير أوفى ، إنما نحن وحدنا تراث البشرية » وقد عبّر الأديب الفرنسي الشهير بهذا القول عن إيمانه بأن التراث الأدبي هو أهم جانب في التراث الإنساني كُله ، ولا نحسبه مبالغاً في ذلك ، فالتراث الأدبي في كل حضارة من الحضارات الإنسانية هو مقياس تقدّمها ورقبها ، والتراث الأدبي عند العرب دليل على رفعة الحضارة الإسلامية التي ساهموا في بنائها وازدهارها بأوفى نصيب ، ويطيب لبعض الدارسين لحضارة الإسلام من المستشرقين ، أن يحكموا بأن « المساهمة الوحيدة العظيمة التي ساهم بها العرب في الحضارة الإسلامية هي تراثهم الأدبي^(١) » وفي مثل هذا الحكم مبالغة لا تخلو من غرض يدعو إلى الغضب من نصيب العرب الكبير في بناء الجوانب الأخرى من حضارة الإسلام .

ومهما يكن فإن الأمم جميعاً تهتم بالحفاظ على تراثها الأدبي ، وتعمل على إحيائه ونشره ، فتسعى دور النشر لديها إلى تقديمه في طبعات أنيقة مُحَقَّقة ، ومُجلِّدات مُذهَّبة متسلسلة ، يحرص الناس على اقتنائها في دورهم ومكاتبهم ، وأمّتنا العربية منذ بداية عصر النهضة الحديثة بدأت تستيقظ بعد

(١) حضارة الإسلام : لغوستاف غرونيياوم : ص ٢٨٨ .

قرون من النوم والخمول والظلام ، وقد هالها أن تجد تراثها الأدبي العظيم لعبة في يد الفناء ، فراحت تعمل على إنقاذ ما يُمكن إنقاذه ، وإلى اليوم تُوالي لجان وهيئات علمية في الأقطار العربية إشرافها على عملية إحياء التراث الأدبي ونشره مُحققاً مُنقّحاً سليماً من العبث والتصحيف والتحريف والتشويه ، وهي تبذل غاية جهدها في ذلك ، غير أن العبء مرهق وثقيل ، ويتطلب أن تتضافر جهود الجماعة من العلماء المتمكنين على تحمله ، والجهود الفردية في حقل التحقيق والتنقيح تظل قاصرة ، وهذه الصفحات التي نعرض فيها ألواناً من التصحيف والتحريف ، نقع عليها في كتب التراث الأدبي المحققة التي غني بتنقيحها رجال فضلاء بذلوا غاية مجهودهم في عملهم ، ولم يكن همُّهم فيه أن يفوزوا بكسب مادي عاجل عن طريق استغلال التراث وتشويهه ، وقد سار أكثرهم في التحقيق على منهج علمي رصين .. هذه الصفحات تشهد بقصور الجهود الفردية وسهوها ، وتدعو أن تتآزر الجماعة من الأكفيا في عملية إحياء التراث لتخليصه من آفات التصحيف والتحريف ، وتقديمه إلى القراء في أصح صورة وأسلمها .

والفرق بين مُصطلحي التصحيف والتحريف دقيق حتى ليصعب أحياناً التمييز الواضح بين مدلوليهما : فكلا المصطلحين تغير وتبديل في ألفاظ « تشابه في صورة الخط ، فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف » كما يقول العسكري^(١) ، وللتفريق بين المصطلحين نقول :

١ - التصحيف ينشأ من رواية الخطأ عن قراءة الصحف باشتباه الحروف ، ففي الكتابة العربية عدد من الحروف لها رسم مشترك ، فإذا أخطأ القارئ بسبب تشابه الحروف في قراءة الكلمة في الصحف ، ولم يكن قد سمعها مشافهة من أفواه الشيوخ أو قراها عليهم سموا خطأ تصحيفاً . وقد بقي الناس في القرن الهجري الأول يكتبون بدون نقط

(١) التصحيف والتحريف للعسكري ١/١ .

ولا شكل ، فتشبه الحروف في الكلمة على القارئ فيصحفها ، وبعد استعمال التنقيط والإعجام لم يتوقف التصحيف أيضاً ، لأنهم « إذا أغفلوا الاستقصاء في تنقيط الكلمة وإعجامها وقع التصحيف »^(١) . وظل الجهلة من النساخ يعبثون فيما ينسخون ، ويكثرون من التصحيف فيما ينقلون ، حتى أصبحت مشكلة التصحيف كما قدّمنا من أثقل الأعباء التي تُرهق كاهل المحققين العاملين اليوم على إحياء تراثنا العظيم .

٢ — وأما التحريف فهو « تغيير اللفظ دون المعنى »^(٢) وبه يتم تحريف الكلم عن مواضعه وإفساد المراد منه ، ويزودنا العسكري^(٣) بشاهدٍ على التحريف : فقد أنشد أحدُهم الفرزدق قول ابن أحرر الباهلي^(٤) الذي يوصي فيه امرأته بألا تنكح من بعده رجلاً مطروقاً ضعيفاً مُسترخياً ، بطرقه كل أحد لضعفه :

فإِذَا زَالَ سَرْجٌ عَنْ مَعَدٍّ وَأُجْدِرَ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا
فَلَا تُضَلِّي بِمَطْرُوقٍ إِذَا مَا سَرَى بِالْقَوْمِ أَصْبَحَ مُسْتَكِينَا
فَلَفَّتَهُ الْفِرْزَدَقُ إِلَى خَطئه وَقَالَ لَهُ : « إِذَا كَانَ تَمَنِّي بِسَرَى بِالْقَوْمِ
(أَيِ يُسَيِّرُهُمْ لَيْلاً وَيَقُودُهُمْ) فَلَيْسَ بِمَطْرُوقٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ : إِذَا مَا سَرَى فِي
الْحَيِّ ! » وَمَرَادُ الشَّاعِرِ : « إِنْ هَلَكْتُ وَصَرْتُ إِلَى أَنْ تَتَزَوَّجَ غَيْرِي فَلَا
تَنكِحِي رَجُلًا ضَعِيفًا إِذَا مَا سَارَ لَيْلاً فِي الْحَيِّ أَصْبَحَ مُسْتَرَخِيًا ، وَيَقُولُ
الْعَسْكَرِيُّ : « وَهَذَا مِنَ التَّحْرِيفِ لَا مِنَ التَّصْحِيفِ » .

وقد شغلت قضية التصحيف والتحريف قديماً عدداً من الباحثين لخطورها وأهميتها ، فأفاضوا في بحث جوانبها اللغوية والفكرية والدينية

(١) التنبيه على حدوث التصحيف لحزمة الأصنفاني : ص ٢٨ .

(٢) التعريفات للجرجاني : ص ٥٥ .

(٣) التصحيف والتحريف للعسكري ٩٣/١ - ٩٤ .

(٤) شعر عمرو بن أحرر الباهلي : جمع وتحقيق حسين عطوان : ص ١٦١ .

والتاريخية ، وفيما وصل إلينا من أبحاثهم^(١) غناء لمن يريد الإحاطة بالقضية وأسباب حدوثها ، والإلمام بأخبار طائفة من العلماء والأدباء ، ممن لم يسلموا فيما يروون من التصحيف ، فتصدى لهم من يدلهم على أخطائهم ويدعوهم إلى تصويبها .

ولكننا نريد اليوم أن نعرض لأمثلة من التصحيف والتحريف سها محققو الكتب التراثية وطابعوها عن تصحيحها ، أو لم يتمكنوا من إصلاحها ، فسارت بين القراء بصورها المشوهة ، وأصبحت تنقل إليهم الوهم والخطأ ، إلى أن يقع عليها بعض النقاد من العلماء أو القراء الأكفيا القادرين على اكتشاف التصحيف والاهتداء إلى تصويبه ، فينشروا في الصحف والدوريات الأدبية ملاحظاتهم وتصويباتهم ، ليستعين بها المحققون الناشرون ، ويعملوا على تدارك ما سها عن تصحيحه في الطباعات الجديدة .

ولسنا بحاجة في تمهيدنا لتقديم تلك الأمثلة من ألوان التصحيف والتحريف إلى إيضاح غايتنا من وراء جمعها وتصنيفها ، ونحن نكُنُّ أعظم التقدير والاحترام لجهود أولئك العلماء الأفاضل الذين استعزنا الأمثلة من بعض الكتب التراثية التي حققوها ونقحوها ونشروها وكان لهم الفضل في إحيائها وانتشالها من يد الفناء والضياع ، وكل ما نرجوه أن تُسهم هذه الصفحات في خدمة التراث وتخليصه من آفات التصحيف والتحريف ، فالمهمة كبيرة وخطيرة ، والعبء ثقیل ينوء بالعصبة أولى القوة ، وما نُقدمه

(١) مثل كساب التصحيف والتحريف وما يقع فيه للحسن العسكري (٢٨٢هـ) وكتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحزمة الأصفهاني (٣٦٠هـ) وقد صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق ، وفي المزهري للسيوطي فصل وإف في (معرفة التصحيف والتحريف) : ٣٥٣/٢ - ٣٩٤ وفي الخصائص لابن جني (باب في مقطعات العلماء) : ٢٨٢/٣ - ٣٠٩ .

جهد متواضع يحاول أن يعرض قضية التصحيف في كتب التراث الأدبي المحققة عرضاً منهجياً تطبيقياً ، يعين على وعي المشكلة وإدراك أبعادها والاهتداء إلى سبيل الخلاص منها ، والله نسأل أن يسدّد خطانا ، ويجنبنا مواطن الزلل ، ولئن تمّ لنا بعض ما نرجو من وراء هذا الجهد القاصر كنّا سعداء به ومحظوظين ، والله من وراء القصد .

- ١ -

حكايتي مع التصحيف وتقصّي مواقعه في كتب التراث الأدبي حكاية طويلة تدفع بي إلى عرض جانب من تجربتي مع المخطوطات وصلتي القديمة بها وعملي المتواضع في ميدان التحقيق ونشر بعض كتب التراث التي لم تُطبع من قبل : فقد شُغفت منذ سن مبكرة ، وأنا بعد طالب في المرحلة الثانوية بحلب ، بارتداد مكتبة الأوقاف وغيرها فيها ، لمطالعة الكتب المخطوطة في خزائنها وازدادت صلتني بالمخطوطات مع تقدّم مراحل حياتي ودراساتي الجامعية والعلية ، فكنتُ أجدي أقضي الساعات الطويلة مع نفائس المخطوطات في المكتبة الظاهرية بدمشق ، أو المكتبة الوطنية بباريس ، أو مكتبة الاسكوريال بضاحية مدريد ، ثم أتاح لي عملي بعد ذلك في المغرب (١٩٦٤ - ١٩٧٧) أن أقضي أوقاتاً هائلة في مكتباته الغنية بروائع المخطوطات العربية ، وفي مكتبة جامعة القرويين بفاس خاصة ، وأفادتني خبرتي المتواضعة بالخط المغربي (من عملي في تحقيق كتاب إعتاب الكتاب لابن الأبار عن أصول خطية مغربية) فيسّرت لي الانتفاع ببعض تلك النفائس . أما خزائن المخطوطات في اسطنبول فكانت زيارتي لها خلال صيف ١٩٤٩ خاطفة^(١) ، ولم حاولت أن أعاود زيارتها بعد ذلك ، وأسأل

(١) ولكن الحظ أسعدني بقاء الأستاذ رشاد عبد المطلب فيها ، وكان يومذاك =

الله أن يُعين على تحقيق هذه الأمانة إذا كان في العمر متسع لذلك . وهكذا توثقت الصلة بيني وبين المخطوطات ، ويُخَيَّل لي أنني كنت أحسُّ بأنفاس من كتبوها وأنا أقلب أوراقها ، وكنتُ أجدني أضطرم ألماً وحرناً عندما أشهد بعض الأوراق في المخطوطة ، وقد فَتَّهَا الزمن ، فعبثت الرطوبة بأطرافها ، ومزَّق التآكل جوانب منها ، أو تسَلَّلت الأَرْضَةُ إلى جوانب أخرى فخلَّفت فيها أنفاقاً من الثقوب والحروق ، أو عندما تنفرط الأوراق المخطوطة ويتخلخل ترتيبها ، فيختل نسقها ويضيع تسلسلها ، بسقوط بعض الأوراق أو انخرامها أو انتقالها إلى غير مواضعها ، فإذا كانت الأوراق الساقطة من أول المخطوطة ضاع اسمها واسم مؤلفها بضياعها ، وإذا كانت من آخر المخطوطة ضاع معها اسم الناسخ وتاريخ نسخها .. إلى آخر تلك الآفات التي تفتك بالمخطوطات عبر العصور ، ولكنَّ هذه الآفات كلّها لا تكاد تعدل الآفة الكبرى حين يكون ناسخ المخطوطة على حظ من الجهل والغفلة ، فيصحَّف ويُحرَّف ما ينقل ، وحين تنفرد مخطوطته في البقاء وتغدو النسخة اليتيمة الوحيدة التي تُعتمد اليوم لاستخلاص طبعة محققة عنها ، فهانئنا يعاني المحقق ألواناً من المشقة لتقويم ما في الأصل الفريد من تحريف وتصحيف ، وغلطٍ وسقط ، وكان الجاحظ يشكو من مشقة إصلاح التصحيف في كلمة مشهورة يقول فيها : « وَلَرُبُّمَا أَرَادَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ أَنْ يُصْلِحَ تَصْحِيفاً أَوْ كَلِمَةً سَاقِطَةً ، فَيَكُونُ إِنْشَاءُ عَشْرِ وَرَقَاتٍ مِنْ حُرِّ اللَّفْظِ وَشَرِيفِ الْمَعَانِي أَيْسَرَ عَلَيْهِ مِنْ إِيْتَامِ ذَلِكَ النِّقْصِ ، حَتَّى يَرُدَّهُ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ اتِّصَالِ الْكَلَامِ »^(١) فإذا كان الجاحظ نفسه يشكو من صعوبة تصويب التصحيف فكيف يكون حال غيره اليوم من العاملين في ميدان التحقيق إذا

= يُصَوِّرُ النِّفَائِسَ الْمَخْطُوطَةَ لِحِسَابِ الْجَامِعَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَنَشَأَتْ صِدَاقَةٌ بَيْنَنَا أَتَاحَتْ لِي الْإِسْتِفَادَةُ مِنْ خَبْرَتِهِ الْغَنِيَّةِ بِالْمَخْطُوطَاتِ إِلَى آخِرِ عَمْرِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَثَابَهُ ، وَجَزَاهُ عَنِّي لَوْفَى الْجَزَاءِ .

(١) الحيوان (هارون) ٧٩/١ .

وقفوا حائرين أمام النصوص التراثية في نسخة خطية وحيدة ولم تسعفهم المظان والمصادر الأخرى في تصويب ما فيها من تصحيف وتحريف وتشويه ، وقد بلوث بنفسي شيئاً من ذلك في عملي لتحقيق ديوان خالد بن يزيد الكاتب عن النسخة اليتيمة الفريدة المحفوظة في الظاهرية ، وقد تمكنت من إصلاح عدد كبير من أخطاء الناسخ وعجزت عن إصلاح عدد منها على رغم ما بذلت من جهد وما أنفقت من وقت ، ولا أزال أطمع بالاهتداء إلى تصحيح ما لم يصحح من عويص التصحيف والتحريف ، بالصبر والأناة ، والبحث في المصادر والمراجع والمظان ، قبل أن أعزم على دفع عملي في تحقيق هذا الديوان إلى الطبع^(١) . ولا بد من الاعتراف بأني أحسُّ بمتعة لا حدَّ لها عندما تُطالعني النصوص المخطوطة القديمة بكلمات مُصحَّفة ، فأهتدي حيناً إلى إصلاحها ، أو أقف حيناً حائراً أمامها ، أقلبُ النظر في شتى الاحتمالات الممكنة ، فإذا عجزتُ لم أياس ، وعمدتُ إلى نقل النص المصحَّف نقلاً تصويرياً ، لأتابع النظر إليه والتفكير فيه أياماً ، قبل أن يحالفني التوفيق في الاهتداء إلى إصلاحه حيناً ، أو أن أقرَّ بالعجز عن تصويبه أحياناً ، وألتمس العون عليه من الآخرين ، فمن أثق بفضلهم وتمكَّنهم ، وحسن اطلاعهم ووفرة نصيبهم من الرواية والدراية ، ليَجربوا حظهم ، فإن لم أجِدْ عندهم ما أرجو ذكرْتُ أن أحداً من المحققين العاملين اليوم على إحياء كتب التراث العربية - وفيهم عدد من العلماء العرب الفحول الذين تفوّقوا في ميدان التحقيق - لا يسلم من القصور والعجز عن تقويم بعض الأخطاء وإصلاح بعض التصحيف العويص والتحريف والتشويه ، وأدركتُ صعوبة المهمة التي كان الجاحظ يشكو منها

(١) كانت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق أعلنت عن الديوان وعملي في تحقيقه وجعلته في جملة « الكتب التي ستقدم إلى المجمع لنشرها » منذ عام ١٩٧٤ (المجلة : ٤٩ العدد الأول ص ٢٢٤ كانون الثاني ١٩٧٤) .

في عصره ، يوم كان التصحيف آفة عامة لا يسلم منها الأجلاء من شيوخ اللغة وأئمة الحديث ، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل : « ومن يغري من الخطأ والتصحيف ! »^(١) فإذا لم يكن باستطاعة أحد أن ينجو من الخطأ والتصحيف - مهما يكن حظه من الرواية والدراية والفطنة والذكاء وموالاته الاطلاع والبحث كبيراً - لأنه بشر ، والعصمة لله وحده ، لم نر في قصوره ذاك منقصة من أفضاله ومزاياه : ويوم كان الدكتور طه حسين يجهل وجود كتاب للميرد اسمه (الفاضل) صدر قبل أشهر عن دار الكتب المصرية بتحقيق العلامة الميمني الراجكوتي ، وقرئ عليه إعلان في الصحف القاهرية عنه ، غم عليه أمره ، وذهب به الظن إلى أنه كتاب (الكامل) المشهور للميرد ، وحكم بوقوع التصحيف ، وقال في محاضرة له في مؤتمر المجامع العلمية العربية بدمشق عام ١٩٥٦ بأسلوبه الساخر آخذاً على الصحف جهلها وتصحيفها : « والكتاب - في الصحف - لا يُسمى الكامل بل يُسمى الفاضل ! وقد يكون للميرد كتاب اسمه الفاضل ، ولكني أعترف أنني لم أقرأه ولم أسمع به قبل اليوم ! »^(٢) وعندما قيل للدكتور طه حسين بعد المحاضرة إن كتاب الفاضل للميرد وصلت منه نسخ إلى دمشق اعترف ثانية أنه لا يعرف شيئاً عنه^(٣) ! .

وكان القدماء يرددون القول « لا أعلم نصف العلم » والمحققون العاملون اليوم على إحياء كتب التراث ونشرها يُصوّبون ما يستطيعون تصويبه من الأخطاء وعويص التصحيف ، ويدعون ما لم يقدرُوا على إصلاحه ، بعد معاناة المشقة وبذل أقصى الجهد ، لعل في القراء والنقاد بعد

(١) للزهر : ٣٥٣/٢ .

(٢) مجلة الآداب (البيروتية) : العدد الحادي عشر لعام ١٩٥٦ / ت ٢٠ ص ٧٣ .

(٣) هذا الاعتراف بحمد ذاته فضيلة ، وسأشير إلى موقف العلماء المصحفين من

التبیه على تصحيفهم فيما بعد : (الفصل : ١٢) .

صدور الطباعات الأولى ، من يكون أقدرَ على الاهتداء إلى الصواب فيها ، ليمَّ استدراك ما يرون استدراكه في الطباعات التالية ، حتى يتمكن الكتاب التراثي العربي من التخلص من تلك الآفات التي أصابته بأيدي الناسخين الماسخين قديماً ، والطابعين الجاهلين حديثاً ؛ والعمل في إحياء التراث جهدٌ دائم ومستمر ، ولن يحقق ما يُرجى منه إذا لم يتَّصف العاملون فيه بالسماحة والتواضع ، ولم يُرحبوا بما يُقدِّمه النقد إليهم من توجيه وتقويم .

— ٢ —

والحقُّ أن بين القُرَّاء - على اختلاف مستوياتهم الثقافية والفكرية - من يهتدون إلى أوجه الصواب في كثير من أخطاء التصحيف والتحريف التي يسهو المحققون البارعون عنها أحياناً ، أو يعجزون عن إصلاحها ، ذلك أن ذهن المحقق يتجه حيناً في قراءة الكلمة المصحَّفة وجهة واحدة ضيقة لا يكاد يتجاوزها إلى غيرها ، فتظلُّ الصورة الصحيحة بعيدةً عن دائرة رؤيته ومجال تفكيره ، فإذا عُرضت الكلمة على قارئ خالي الذهن اهتدى يُسر إلى وجه الصواب فيها ، من غير إعمال فكره فيها ، وتلك ظاهرة عرفتُها وأفدْتُ منها في قراءة النصوص المخطوطة ، وقد لَفَّتني إليها ما كنت أراه من عَرَض الأساتذة المستشرقين على طلبتهم لصور صفحات من المخطوطات التي كانوا يعملون في تحقيقها وإعدادها للنشر ، وقد اتَّفَق لي في أول درس حضرته في الدراسات العليا على المستشرق الكبير الأستاذ بلاشير في السربون ، أني دخلت القاعة فوجدت الأستاذ يتصدَّر المجلس وحوله الطلبة الذين يعملون تحت إشرافه ، من العرب والمستعربين ، فجلست حيث انتهى بي المجلس ، وكان الأستاذ يدفع إلى الطلبة أوراقاً مصورة ليقرؤوا ما يُريده من سطورها ، وقرأ غير واحد منهم هذه العبارة : « وكان يهوى جارية لمعين » وشرح بعضهم ما قرأ بقوله : « لرجل مُعَيَّن » وقرأت أنا

بتوفيق من الله - لسابق صليتي بالمخطوطات والتصحيف فيها - « لِمُقَيِّنٍ »
وقلت : هو بائع القيان والجواري ، فتهلل وجه الأستاذ لقراءتي ، واستدناني
منه ليسألني عن اسمي وبلدي والجامعة التي أوفدتني ، وكان تصويبي للكلمة
المصحفة فاتحة خير لكل ما لقيت من عنايته وعونه لي من بعد ، مما سأظل
أذكره دائماً بالتقدير والشكر والعرفان .

ولا أحسبني بحاجة إلى تقديم الشواهد الكثيرة على صحة الظاهرة
التي ذكرتها ، وأكتفي بمثال واحد نفع عليه في (نظرات الأخ الصديق
الدكتور شاكر الفحام في ديوان بشار) الذي شرحه وحققه الأستاذ محمد
الطاهر ابن عاشور^(١) ، وفي تلك النظرات ما شئت من جهد كبير وعلم
غزير ، ومقدرة على معرفة المصحف والاهتداء إلى تصويبه ، وقد بذل فيها
صاحبها وسعه واستفرغ مجهوده ، كما يقول بحق في مقدمته لتلك
النظرات^(٢) ، ونقف عند النظرة (١٥٩) لنقرأ بعض ما جاء فيها :

« قال بشار في هجاء بني زيد : (الديوان : ٨٧/٣)

إذا الليل غطاهم غَدُوا تحت ظله وأثوابهم مسحورة لفساد
كتب « غدوا » بالغين المعجمة ، و « مسحورة » بالسين المهملة
والحاء : ولعل صواب الأولى : « عَدُوا » بالعين المهملة ، والمعنى : جروا
وسعوا في الفساد ، مُتَسَرِّين بظلمة الليل . ولم أهتم إلى وجه الصواب في
الثانية « مسحورة »^(٣) .

لقد أدرك الدكتور الفحام بثاقب نظره وذوقه اللغوي والأدبي أن في
البيت تصحيفاً في كلمتي (عَدُوا) و (مسحورة) واهتدى إلى إصلاح
التصحيف في الأولى ، ولم يهتد إلى إصلاحه في الثانية ، مع أن وجه

(١) ديوان بشار بن برد (ط القاهرة ١٩٥٧) .

(٢) نظرات في ديوان بشار (ط : ٢ دمشق ١٩٨٣) ص ٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٤٩ - ١٥٠ .

الصواب في الثانية أقرب وأظهر ، لو لم يكن الذهن غافلاً عن ملاحظته ، وهو (محسورة) ، تقول : حَسَرَ الثوبَ وحَسَرَ عنه إذا كشفه ، وهنا يزداد معنى البيت اتضاحاً ، وتتألق صنعة بشار في الطباق بين الليل وقد ستر بني زيد وغطاهم ، وثيابهم التي كشفوها وحسروها عنهم ، وهم ماضون في الرّية ومنهمكون في الفساد ! وليس في (مسحورة) غير تقديم السين على الحاء ، وهو تحريف مألوف يكثر النساخ من الوقوع فيه ، وفي نظرات الدكتور شاكر الفحام في ديوان بشار أكثر من مثال على تصويب هذا اللون من التحريف في كلمات الديوان ، ففي النظرة (٣٥) ينقل بيت بشار : (الديوان : ١/ ١٨٠) :

تَكَلَّفُ إرشادي وقد شابَ مفرقي وحمِّلني أهلي فليس أريبُ
الذي يتحدث فيه عن ناصحة له تريد له أن يرعوي عن جهل الصبا ، ويقول : « والصحيح أن كلمة (حمِّلني) محرّفة صوابها (حلّمني) بتقديم اللام على الميم ، من الحلم ، وهو تعبير شائع في كلام العرب وأشعار السابقين المتقدمين ، قال في اللسان : حلّمه تحليماً : جعله حليماً إلخ ... »^(١) وفي النظرة (١٨٥) ينقل قول بشار في رثاء صديقين له : (الديوان : ٣/ ١٥٥) :

قد كنتُ أرجو مع الرّاجي إياّيهما حتى أقاما على رَغمي بمخلُود
ويقول : « كتب (بمخلود) : بالحاء المعجمة تليها اللام ، والصواب : (بملحود) باللام تليها الحاء المهملة ، ... وقال في الأساس : « وقبروه في لحدٍ وملحود »^(٢) وفي هذا المثال يلتقي التحريف والتصحيف في الكلمة ، وتزداد مهمة المحقق في الاهتداء إلى وجه الصواب فيها صعوبة وعُسراً ، ليبين فضلُه وإحسانه .

(١) المصدر السابق : ٦٨ .

(٢) المصدر السابق : ١٦٣ - ١٦٤ .

- ٣ -

غير أن الحكم بوقوع التصحيف في النص وتحديد موضعه فيه أمرٌ ليس باليسير الهين دائماً ، فهو يتطلب حيناً قدراً من البصيرة النافذة والدراية الواسعة والذائقة اللغوية والأدبية ، كيلا يخطئ المحقق فيصحف غير المصحف ، وقد ألفنا من كثير من العاملين في ميدان التحقيق أن يغفلوا أو يتغافلوا عن ملاحظة التصحيف أو التحريف في بعض ما ينشرون ، وبعضهم من ذوي الكفاية والتجربة الكبيرة في تحقيق المخطوطات ونشر كتب التراث ، وليس لهم من عذر في غير العجلة ، ولولاها لكان في وسعهم أن يُنبِّهوا إلى ما غفلوا أو تغافلوا عن ملاحظته ، ولبذلوا ما يستطيعون من جهد في إصلاحه ، فإن عجزوا اكتفوا بالتنبيه على الخطأ ، وتركوا للنقاد والقراء أن يشاركوا في محاولة تصحيحه ؛ وفيما يلي أمثلة على هذا اللون من التصحيف والتحريف أهمل المحققون التنبيه عليه فيما نشره من كتب التراث الأدبي ، وكلهم من العلماء المتمكنين الأفاضل المعروفين بإخلاصهم في خدمة التراث والعمل الجاد على إحيائه ونشره :

١ - في (وفيات الأعيان) لابن خلكان (٤٢٠/١) بتحقيق الدكتور إحسان عباس نقراً : « بشار بن بُرد وهو من الشعراء مُخضرمي الدولتين العباسية والأموية ، وقد شَرَّفهما ومدح وهجا وأخذ الجوائز السنية مع الشعراء » ويُعلّق الناقد الدكتور علي جواد الطاهر على النص (ملاحظات على وفيات الأعيان : ٢٨) بقوله : « إن كلمة شَرَّفهما غير واضحة ، وفي غير مكانها ، فما ورد يوماً أن شاعراً شَرَّف دولة ، فلا بُدَّ - إذاً - من وقوع تحريف في الكلمة يحسن التنبيه عليه ، إن استحال تحديده وتصحيحه » ولكن المحقق لم يتنبه إليه ولم يُنبِّه عليه ، وتصحيح التحريف لم يكن مستحيلاً ، ففي رجوعنا إلى ترجمة بشار في كتاب الأغاني (دار : ١٣٥/٣) نفع يُسر على الأصل الذي نقل ابن خلكان عنه

وفيه التصحيح « وقد شهرَ فيهما » والأغاني من أهمّ مصادر ابن خلكان في وفياته !

٢ - وفي كتاب (أبو العتاهية : أشعاره وأخباره) ص ٤٢٣ بتحقيق الدكتور شكري فيصل نقرأ هذا البيت للشاعر في الحكم :
يُكْرَمُ المَرْءُ وَإِنْ أَمَّ ——— لَقَى أَقْصَاهُ بُشُوهُ
وفيه تصحيف لم ينتبه المحقق إليه ولم يُنبّه عليه وتصويبه : يُكْرَمُ المَثْرَى ... كما في (شرح المقامات للشريشي : ٦٦/١) وبهذا التصويب يبرز المعنى ويتألق الطباق بين الثراء والإملاق ، ولا حجة بورود البيت مُصَحَّفاً أيضاً في الطبعة المحققة من كتاب (المزهر) : ١٥٧/١ برواية ابن دريد ، فقد رجعنا إلى مخطوطة (تعليق من أمالي ابن دريد) المكتوبة في دمشق عام ٦٤١ هـ والمحفوطة في الخزانة العامة بالرباط : ص ٨٦ فوجدنا بيت أبي العتاهية فيها سليماً من التصحيف ! .

٣ - وفي (ديوان الخالدين) ص ١٤٥ - ١٤٦ الذي جمعه وحقّقه الدكتور سامي الدهان نجد هذه الأبيات لأبي عثمان الخالدي منقولة عن (يتيمة الدهر للشعالبي) و (معجم البلدان لياقوت) :

قمرٌ بديرِ المَوْصِلِ الأعلى أنا عبْدُهُ وهَوَاهُ لِي مَوْلى
لَتَمَّ الصليبُ فقلتُ من حَسَدٍ قُبُلُ الحبِيبِ فَمَي بها أَولى
جُد لي بإحداهنَّ كي يحيا بها قلبي فَحَبَّسُهُ عَلَى المَقْلِ

وصدر البيت الثالث مكسور ، ولم يفتن المحقق إلى كسره ، واكتفى بالإشارة إلى أن رواية ياقوت للبيت :

جُد لي بإحداهنَّ تحويها قلبي

ولم ينتبه إلى التصحيف في كلمة (تحويها) وصوابه (تُحَوِّبُهَا) والفعل مجزومٌ بجواب الطلب ، والمعنى : تمتلكُ بها قلبي ، ورواية ياقوت

تشير إلى زيادة (كي) في رواية اليتيمة ، وبإسقاطها يترن الصدر أيضاً ويعتدل بوقوع الجزم على الفعل :

جُـد لي بإحداهنَّ يَحْيَ بها قلبي

وقد سها محققو اليتيمة عن تصحيح وزنه^(١) ، كما سها عنه ناقد الديوان الأستاذ محمد عبد الغني حسن في مقالته القيمة التي صحح فيها عدداً من أخطاء التصحيف والتحريف فيه^(٢) .

٤ - وفي (ديوان ديك الجن الحمصي) ص ١٠٧ الذي جمعه وشرحه الأستاذان عبد المعين الملوحي ومحيي الدين درويش نجد هذين البيتين في وصف نُحول جسم العاشق ، منقولين عن (ديوان المعاني) و (محاضرات الأدباء) :

أُنْحَلَ الوجدُ جسمهُ والحنينُ وبَرَاهُ الهوى فما يَسْتَبِينُ
لم يعيشَ أَنَّهُ جليدٌ ولكن دقَّ جداً فما تراهُ العُيونُ

ولم ينتبه جامعا الديوان إلى التصحيف في كلمة (العيون) وصوابه (المنون) كما نفع عليه في نهاية الأرب (٢/٢٦٠) وهذا الكتاب من مصادرها في جمع شعر ديك الجن ، فقد نقلنا عنه ثماني مرات^(٣) ، وقائهما العثورُ على البيتين فيه ، وجاء في شرحهما لهما : « لقد أنحل الحبُّ والشوقُ جسم هذا العاشق وبراه (وبرياه ؟) وإذا كان ما يزال يعيش فما ذلك لأنه قوي قادرٌ على الحياة ، ولكن لأنه يختفي عن عيون الموت ، فلا تراه من نُحوله ! » وتصحيح التصحيف يبرز الطباق بين الحياة والموت (العيش والمنون) ويستغني الشرح عن التأويل واستعارة العيون للموت .

(١) انظر طبعة الصاوي (مصر : ١٩٣٤) : ١٨٦/٢ ، وطبعة الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر : ١٩٤٧) : ٢٠٦/٢ .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : ٦٩٠/٤٥ - ٦٩٦ .

(٣) انظر ديوان ديك الجن : ٢٩ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،

٦ - وفي (كتاب الصناعتين) لأبي هلال العسكري (ص ٣٧٤) بتحقيق الأستاذين علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم نقع على مثالين للتحريف لم ينتبه المحققان الفاضلان إلى وقوعه فيهما ، وأولهما في قول بعض المحدثين في وصف القِصَر :

- 19 -

الأول : فالموصوف فيهما قصيرٌ مفرط في قصره ، لا تكاد الشمس ترسم لقامته ظلاً ، والناس في الطريق لا يرونه من قرط قصره وضالة جزمه فيعثرون به ! أما (الدمامة) فهي قاصرة عن تفسير أسباب تعثر الناس به في الطريق ، إلا بتأويل بعيد !

والتحريف الثاني في قول آخر في الإفراط في صفة عظم الأنف :
لقد مرَّ عبد الله في السوقِ راكباً له حاجةٌ من أنفه ومُطَرِّقُ
فاقدِرُ به أنفاً واقْدِرُ برَبِّه على وجهه منه كيف مُعَلِّقُ
ففي (حاجة) في عجز البيت الأول تحريفٌ ، وتصويبه
(حاجبٌ) وبه يتضح معنى البيت : فعندما يجتاز عبد الله بأنفه الكبير ،
الأسواق المزدهمة بالناس ، وهو راكبٌ على دابته ، لا يكون بحاجة إلى
حاجب له من حاشيته ، يسير أمامه ، وينبئه الناس ليفسحوا المجال لمروره ،
فأنفه العظيم ينتصبُ أمامه ، حاجباً ومُطَرِّقاً ، والمُطَرِّق هو الذي يمشي
أمامه ليوسِّع له الطريق ويدفع عنه المارة والزحام !

٧ - وفي (البصائر والذخائر) للتوحيد (القسم الثاني من المجلد
الثالث : ٦٣٣) بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني نقراً قول أحدهم للحسن
البصري : « إنك تريد الحج ، وأنا أريدُ ، أفأصحبك ؟ فقال الحسن : دعنا
نتعاش بعيش الله ، إني أكره أن نصطحب فيرى بعضنا من بعضٍ
ما نتأق عليه ! » وفي قوله تصحيفٌ صوابه (بستر الله) ، وقد أورد
الثعالبي في (ثمار القلوب) : ص ٣٢ في كلامه على (ستر الله) جواب
الحسن البصري سليماً من التصحيف .

٨ - وفي (ثمار القلوب) هذا (ص : ٢٢٥) بتحقيق الأستاذ
محمد أبي الفضل إبراهيم يقول الثعالبي في كلامه على (طبع البحري) :
« وممن ضربَ المثل بطبعه السَّلامي ، حيث قال :
وأعطيتُ طبعَ البحريِّ وشعره فمن لي بمالِ البحريِّ وغَميره »

وأورد المحقق (غَمْرُهُ) بالغين المعجمة المفتوحة فدلّل بذلك على أنه لم يفتن إلى التصحيف في الكلمة ، وتصويبه (وُعْمِرُهُ) بالعين المهملة المضمومة ، والبيت سليم من التصحيف في (يتيمة الدهر) للشعالبي (٤٢٩/٢) مؤلف (ثمار القلوب) نفسه ، ففي البيت يتمنى السّلامي أن يُرزق غنى البحري وطول عُمره ، بعد أن وهب طبع البحري في شعره ، وكان البحري يتكسّب بشعره ، حتى أصبح من كبار الأثرياء في عصره^(١) ، وامتدّ عُمره حتى ناهز الثمانين^(٢) ، ولم يمّت حتى ماتت نعمة الترف في عينيه !

٩ - وفي (رسوم دار الخلافة) لـ هلال الصابئ : ص ٦٤ بتحقيق الأستاذ ميخائيل عواد ، نجد بيتاً من قصيدة للصاحب إسماعيل بن عبّاد ، يمدح بها عضد الدولة البويهي ويذكر فيها هزيمة أبي تغلب الحمداني^(٣) أمير الموصل وديار ربيعة ، وهو :

ضَمَمْتُ عَلَى أَبْنَاءِ تَغْلِبَ ثَأْيَهَا فَتَغْلِبُ مَاكِرُ الْجَدِيدَانِ تُغْلِبُ
واكتفى المحقق بالتعليق على كلمة (ضَمَمْتُ) بقوله : « لعلّها هجمت » فدلّل بذلك على سهوه عن التصحيف الواقع في كلمة (ثَأْيَهَا) وتصويبه (تَأْيَهَا) والمعنى : بانتصارك يا عضد الدولة على بني تغلب

(١) فاض كسب البحري من شعره حتى أصبح يملك الضياع الكثيرة (أخبار البحري : ١١٩ - الخبر : ٦٦) ويركب عند مسيره في موكب من عبيده (العمدة : ١٧٧/٢) .

(٢) من عام (٢٠٦ إلى ٢٨٤هـ) : أخبار البحري : ١٩١ ، ووفيات الأعيان : ٨١/٥ .

(٣) هو فضل الله بن ناصر الدولة المقتول عام ٣٦٩ وتفصيل مصرعه في هذا العام . في (الكامل) لابن الأثير .

الحمدانيين ضمنت حرف التاء في (تَغْلِب) فصارت (تُغْلِبُ) دائماً ،
والبيت شاهدٌ على ولع الصاحب بالصنعة ، وقد سُهر بذلك .
وفي هذه الأمثلة التي قدّمناها في الفقرات التسع السابقة لونٌ من
التصحيف والتحريف يَغفل المحققون عن ملاحظته والتنبيه عليه ، أو
يتغافلون عن ذلك عندما تحول العجلة دون الاهتمام إلى وجه الصواب فيه ،
والخطر الكبير هنا في تعميم الخطأ ونشره وسيروته عند الكثرة الكاثرة من
القُرّاء ، وهم يحسبونه سليماً فلا يحتاطون في قبوله ، ولو أنهم وجدوا تنبيهاً
عليه من المحقق لاحتاطوا ، وشارك بعضهم في بذل الجهد لتصحيحه
وإصلاحه .

٤

إن تنبيه المحققين على وقوع التصحيف أو التحريف في النصوص
التي ينشرونها ، عندما تعجز جهودهم عن الاهتمام إلى الصواب ، من أهم
الواجبات في أصول التحقيق على أسس علمية منهجية ، ويكون التنبيه
بطريقة ما : كإفراد تعليق له في الحاشية ، أو الاكتفاء بكتابة كلمة
(كذا) أو بوضع علامة التعجب (!) إلى جانب المُصحَّف أو
المحرَّف ، وبهذا التنبيه يعلن المحقق قصوره ، بعد بذل قصارى جهده ،
وقد أدّى الأمانة على قدر طاقته ، وترك للقراء أن يشاركوا في البحث
ويحتاطوا من قبول الخطأ وسيروته بينهم ، وفيما يلي أمثلة على هذا اللون
من التصحيف والتحريف ، نختارها من كتب تراثية محققة بإشراف
المجمع بدمشق ، وصدرت في جملة مطبوعاته :

١ - في (كتاب أخلاق الوزيرين) للتوحيدي (ص : ٢٩٢)
بتحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، يتحدث عن القضاة بقوله :

« ألا تراهم كيف يُوسعون أكمّامهم ، ويُعرضون جيوبهم .. ألا ترى إلى دُنْيَاتِهِمْ وقَرَامِعَتِهِمْ وقلانسهم وعمائمهم » ويكتفي المحقق بالتعليق على كلمة (قرامعتهم) بقوله في الحاشية : « كذا الأصل » لئنبه قارئه إلى التصحيف فيها وقصوره عن تصويبه !

والحق أن كتاب (رسوم دار الخلافة) للصائب يُقدّم التصويب ففيه وصفٌ للدُنْيَاتِ والقَرَامِيعَاتِ التي يلبسها القضاة في العهد العباسي « وقد تُركت في زماننا ، وعُدِلَ إلى العمائم السود المصقولة » كما يقول الصائب في كتابه (ص : ٩١) فالتصحيف تصويبه (وقَرَامِعَتِهِمْ) ، والكلمة جمع الجمع لقرقة الآرامية ، وهي قلنسوة ضخمة من ملبوس الفقهاء والقضاة في عهد العباسيين^(١) ، ويبدو أنها لم تكن مقصورة عليهم ، فقد شوهد الشاعر البحتري عندما جاء لزيارة صديقه المبرد ، « على رأسه قرقة » ، وعلى كتفه طيلسان أخضر^(٢) ، كما ينقل ذلك الزبيدي في طبقاته (ص : ١١٤) بتحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم ، وجاءت الكلمة عنده مصحفة إلى (فرافقة) وعلّق المحقق عليها في الحاشية : « كذا في الأصل » ولم أتبين وجه الصواب فيها ! ، وعندما نقلنا خبر الزبيدي في حواشي كتاب (أخبار البحتري) اعترضنا التصحيف في الطبعة الأولى الصادرة عن المجمع عام ١٩٥٨ فاجتهدنا في تصحيحه ، ولم نُصب ، ثم صوّبناه في الطبعتين التاليتين للأخبار^(٣) ، بعد الاطلاع على (رسوم دار الخلافة) الصادر في بغداد عام ١٩٦٤ ، كما

(١) رسوم دار الخلافة : ص ٩١ الحاشية : ٣ ، ويُحيلنا المحقق على (دليل الراغبين في لغة الآراميين : ص ٧٠٩) .

(٢) أخبار البحتري للصولي : الخبر الأول وحواشينا عليه .

(٣) طبعة ثانية في دار الفكر بدمشق (١٩٦٤) وطبعة ثالثة في دار الأوزاعي ببيروت

. (١٩٨٧)

أخطأ وجه الصواب الدكتور عزة حسن في اجتهاده لإصلاح هذا التصحيف في تحقيقه لكتاب (التلخيص) لأبي هلال العسكري إذ جاء فيه : « والعرافقة ، وهي التي يلبسها الخطباء والقضاة مُعَرَّبَةٌ » . (٢٠٥/١) فصوبها المحقق : « والقراطف » وعلق على الكلمة بقوله في الحاشية : « في الأصل المخطوط : العرافقة ، ولم أجدها في كتب اللغة ، ونراها تصحيفاً للقراطف جمع قرطف ، وهي القطيفة المخملية ! » وهكذا يشارك عدد من المحققين في محاولة الاهتداء إلى تصويب تصحيف ما ، ولولا تضافر جهودهم لما أصابوا وجهها الصواب فيه .

٢ - وفي (كتاب الاختيارين) للأخفش الأصغر : (ص : ٣٠٦) بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة نقراً للنظار الفقهسي^(١) من قصيدة يصف فيها فرسه :

له شَطَطٌ لا عَيْبَ فيه مِنْ شَطَطِي هُمِّي لِلْجَرِي وَمَثْنٌ رِيَانٌ
إِلَى عُجَايَاتٍ لَهُ مَلَكُوكَةٌ فِي دَخَسٍ دُزْمِ الْكُعُوبِ اِتَانٌ
ويعلق المحقق على الكلمة الأخيرة بقوله في الحاشية : (كذا « اتان » في ع و ل - يعني مخطوطتي صنعاء ولندن - ومثله في اللسان (لكك) . م : « أفنان » - يعني ما نُشِرَ في الهند بعنوان : « نُخْبَةٌ مِنْ كِتَابِ الْاِخْتِيَارَيْنِ » ولعل الصواب : « إبان » وهو جمع بَن : الطرق من الشحم ، ويُكنى به عن القوة ؛ وربما كانت « أبيان » جمع بَيْن ، وهو الواضح ، أو « إثنان » أي بعضها يُشبه بعضاً في مرأى العين .)

وفي هذا التعليق المطوّل الدليل على أن المحقق بذل غاية جهده في اجتهاده للكشف عن الكلمة الغامضة ، بأحرفها التي فقدت نُقطها في الأصلين المخطوطين ، وترك للنقاد والقراء أن يشاركوا في محاولة الاهتداء

(١) شاعر إسلامي من بني فقعس ، من أسد : الأعلام : ٢٦٠/٨ .

إلى وجه الصواب فيها ، وهو (أثنان) جمع تَن : وهو المثلُ والشَّيْبُ ، وقصيدة النظَّار الفَقْعسي - أو القسم الأكبر منها - نجدُها مع شرح مفرداتها ومعانيها في (كتاب الفصوص) لصاعد البغدادي ، وقد وصل إلينا منه نسختان خطيتان^(١) ، وفيهما شرح صاعد للبيتين ، ويصف الشاعر في ثانيهما عجائبات فرسه أي قوائمه فيقول إنها قوية وصلبة (ملكوكة) ومتشابهة (أثنان) بلحمها المَبَكتر (الدخيس) والكعوب المغطاة باللحم (وهي الدُّرْم) وبوقوعنا على البيت وشرحه في كتاب الفصوص تم لنا إيضاح الكلمة الغامضة وتصويب التصحيف فيها .

٣ - وفي (ديوان ابن أبي حصينة) : ٣٠٣/١ بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس نجد هذا البيت :

أَيُّهَا الْقَلْبُ لَمْ يَدْعُ لَكَ فِي وَصْدٍ لِّلْ عَذَارَى نِصْفِ الْهَيْدَةِ عُدْرًا (!)

وعلاوة التعجب في آخر البيت وضعها الحق واكتفى بها عن إعلان حيرته أمام غموض معناه وتحديد موضع الغموض فيه ، وترك للنقاد والقراء أن يحاولوا بدورهم كشف غموضه .. وكذلك حار ناقد الديوان (الأستاذ رشدي الحكيم) في مقالة له في مجلة المجمع (٤٨١/٣٣) في تصحيح البيت وفهم معناه وعلّق عليه بقوله : « لعلّه النّصف بفتح النون من تنصّف الشَّيْبُ إذا كان والسواد نصفين ، والهيْدَة حبُّ الحنظل كناية عن الشَّيْب » وعلّقت لجنة المجلة عليه : « لم نجد هذه الكناية في كتاب ، ويظلُّ المعنى غامضاً ! » وقد ظل المعنى غامضاً حتى أتيح لنا قلدٍ آخر وهو العالم المغربي الجليل الأستاذ عبد الله كنون أن يوضّحه بحكمه بوقوع التصحيف في كلمة (الْهَيْدَة) وتصويبه (الْهَيْدَة) ، وهي اسمٌ للمائة

(١) نسخة القرويين والنسخة الكتانية ، والثانية في جزأين كتبت عام ١٢٥٨ هـ .

من الإبل وغيرها ، وقوله « نصفُ الهنيْدَة في بيت ابن أبي حصينة معناه خمسون سنة ، وهي التي لم تدع له عذراً في وصل العذارى » (مجلة المجمع : ٦٩٦/٣٣) وقد أصاب الأستاذ كنون في تصويبه ، وفي الأغاني (دار : ١٩٣/١٤ - ١٩٤) خبرٌ عن أحمد بن المكي قال : « غنيتُ المتوكل صوتاً ... فأمر لي بعشرين ألف درهم ، فقلتُ : يا سيدي أسألُ الله أن يُلْعَكَ الهنيْدَة ، فسأل عنها الفتح [بن خاقان] فقال : يعني مائة سنة ، فأمر لي بعشرة آلاف أخرى » .

٤ - وفي القسم المطبوع من كتاب (قطب السرور) لابن الرقيق القيرواني : (ص ٤١٣) بتحقيق الأستاذ أحمد الجندي نقراً : « وقال الصنوبري :

شَرَبْنَا فِي بَغَادِينَ عَلَى تِلْكَ الْمِيَادِينَ
عَلَى ضَحْكِ الْهَزَارَاتِ عَلَى نَوْحِ الشَّنَانِينَ »

ونجد المحقق وقد تطفّن إلى وقوع التصحيف في كلمتي (بغادين) و (الشنانين) فأفرد لهما حاشيتين ، فقال في الأولى : « لم نعر على كلمة بغادين ، وقد يكون الشاعر قصد بغداد » وقال في الثانية : « كذا في الأصل » ولم نعر على أصل هذه الكلمة ، وقد تكون السّعانيين (بالسين والشين) وهو عيد عند النصاري قبل الفصح بأسبوع ، ولم يُصب المحقق توفيقاً في اجتهاده لتصحيح الكلمتين الْمُصَحَّفَتَيْنِ ، وتصويهما (بَعَاذِينَ) و (الشَّفَانِينَ) : فأما (بَعَاذِينَ) فهي قرية من قرى حلب ، كما يذكر ياقوت في (معجم البلدان : ٤٥٢/١) وينقل لنا بيت الصنوبري سليماً من التصحيف ؛ وأما (الشفانين) فهي جمع للشّفين ، وهو ضربٌ من الحمام ، وفي (الديارات) للشابشتي (ص ١٤٣) بيت للصنوبري في وصف دير زكي :

صَاحَ فِيهِ الْهَزَارُ نَاحَ بِهِ الْقُمْدُ سِرِّي غَنَى فِي جَوْهِ الشُّفَيْنِ

وقصيده في (بعاذين) كانت من مشهور شعره في حياته ، وذكروا أن المتنبي لقيه ذات يوم فسأله : « أنت صاحبُ بعاذين ؟ » (العمدة : ٨٣ - ٨٤) والقصيدة كلها كما تقول مجلة المجمع (١١/٣٣) في (جمهرة الإسلام) للشيزري .

٥ - وفي (كتاب العرب أو الرد على الشعوبية) لابن قتيبة الذي نشره الشيخ جمال الدين القاسمي ، وضّمه الأستاذ محمد كرد علي إلى غيره من (رسائل البلغاء) من اختياره وتصنيفه ، يقول ابن قتيبة (ص : ٣٧٠) في الرد على الشعوبية :

« وأما أكلهم باليارحين والسكّين فمفسدٌ للطعام ، ناقصٌ لذّته ، والناس يعلمون ... أن أطيبَ المأكول ما باشرته كفُّ آكله ... الخ » ويعلّق ناشر الكتاب أو جامع الرسائل على كلمة (اليارحين) بقوله في الحاشية : (كذا) وقد ظلت الكلمة المصحّفة غامضة عندي حتى عثرت على تصويها في (كتاب البخلاء) للجاحظ بتحقيق الدكتور طه الحاجري (ص : ٥٩) وهو (البارجين) وقد جاء على لسان الحارثي : « والله إني لأفضل الدهاقين حين عابوا الحَسُو ... وحين أكلوا بالبارجين ، وقطعوا بالسكّين » ويقول محقق الكتاب : « يظهر أن هذه الكلمة مأخوذة من المصدر الفارسي « برچیدن » ومعناه الالتقاط ، ويُلاحظ أن مادة الفعل « برچين » ويُؤخذ من سياق ذكرها أنها أداة من أدوات الأكل ، ولعلّها كانت شيئاً قريباً من الشوكة المستعملة الآن » (البخلاء : ٣٠٨) .

في هذه الأمثلة التي قدّمناها في الفقرات الخمس السابقة لوّن من التصحيف لم يسه المحققون عن ملاحظته ولم يُغفلوا التنبيه عليه ، بل وقفوا عنده واجتهدوا في صبر وأناة أحياناً ليصلوا إلى وجه الصواب فيه ، فلما أعياهم الأمر بسطوا رأيهم وتركوا لغيرهم من النقاد والقراء أن يشاركوا

في خدمة التراث وتصحيحه ، فالمهمة جليلة والعبء ثَقِيل ، فإذا تضافرت الجهود الجماعية وتآزرت أفاد التراث منها أطيب الفوائد .

— ٥ —

غير أنَّ بعض المحققين لا يكفيهم أن يسطروا رأيهم حتى يفرضوه ، ونجدهم يعمدون إلى طرح ما يحكمون بوقوع التصحيف أو التحريف فيه من المتون ، ويستبدلون به ما يرونه صواباً ، ويعلقون في الحواشي على ما فعلوا ، وهم لا يدرون أنهم قد أخطؤوا الحكم وصحّفوا وحرّفوا ما لا تصحيف فيه ولا تحريف من النصوص السليمة الصحيحة ، وأنهم أذاعوا الخطأ وحجبوا الصواب ، وصحّح فيهم القول المأثور : « جُنَّائِهَا أَسَاطِئُهَا » ..

ومهما يكن من أمر فليس من الإنصاف أن نقسو على من اجتهد فأخطأ ، وحسب أولئك المحققين أنهم أعملوا فكرهم واستفرغوا مجهودهم وأخلصوا في عملهم ، وأشاروا في الحواشي إلى ما فعلوا بأمانة تامة ، وفيما يلي أمثلة على هذا اللون من التصحيف والتحريف ، وسنحاول من خلالها أن نتبين أسباب توهم الإشكال في غير المُشْكَل ، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير !

١ - في (طبقات الشعراء) لابن المعتز : (ص : ٤٥) بتحقيق الأستاذ عبد المتبار أحمد فراج نجد هذا الحكم على شعر مروان بن أبي حفصة : « ومروان من المجيدين المُحْكَمِينَ للشعر » ويقول المحقق في الحاشية تعليقا على كلمة (المُحْكَمِينَ) : « وفي الأصل المُحَكِّكِينَ ، وهو تحريف ! » فهو إذاً يحكم بوجود التحريف في الكلمة ، وقد أشكل عليه أمرها ، فعمد إلى تصحيحها ، والكلمة في الأصل سليمة لا تحريف فيها ولا تصحيف ، ومصادر النقد العربي القديمة حين تتحدث عن التثقيب

والتنقيح في الشعر تجيء بـ (التحكيك) مرادفاً للكلمتين ؛ فابن قتيبة يقول في مقدمته لكتاب (الشعر والشعراء : ٢٣/١) : « وكان الخطيئة يقول : خير الشعر الحَوَلِيُّ الْمُتَقَحُّ الْمُحَكَّكُ » وابن رشيق في (العمدة : ١١٢/١) يتحدث عن عيب الشعر فيذكر زهيراً والنابعة وعكوفهما على تنقيح شعرهما ، ويقول : « ومن أصحابهما في التنقيح وفي الثقيف والتحكيك طَفِيلُ الْغَنَوِيِّ » ، فالكلمة سليمة ولا إشكال فيها ، وهي من مُصْطَلَحِ النقد القديم المألوف ، ولكن المحقق لم يألُفها فأشككت عليه ، وعدّها محرّفة واجتهد في تصويبها ، وعندما مرّت الكلمة مُصحّفةً في موضع آخر من الكتاب (ص ١٩٥) لم يلاحظ التصحيف فيها ، وقد جاء فيه : « كان أبو نواس آدب الناس ، وأعرفهم بكلّ شعر ، وكان مطبوعاً ، لا يستقصي ولا يُحلّل شعره ، ولا يقوم عليه ، ويقول على السكر كثيراً ، ففي كلمة (يُحلّل) تصحيف تصويبه (يُحكك) إذ لا معنى لقوله (يُحلّل شعره) ، وبإصلاح التصحيف يستقيم المعنى : فأبو نواس من الشعراء المطبوعين الذين لا ينقحون شعرهم ولا يُحكّكونه ، ولا يقومون على تثقيفه ومراجعته !

٢ - وفي (طبقات الشعراء) أيضاً (ص ٤١٣) نجد هذا البيت للأخطل الأهوازي يصف فيه محبوبه بالترف وعناية حواضنه به ، ومسح جسمه بالطيب والعطور في كل يوم :

تَعَاوَرَةُ الْحَوَاضِنُ كُلُّ يَوْمٍ بِمَسْحِ الْعَارِضِينَ إِلَى التَّرَاقِي
وَيُعَلِّقُ الْمُحَقِّقُ الْأَسْنَادُ فَرَاغَ عَلَى الْكَلِمَةِ الْأُولَى فِي الْبَيْتِ بِحَاشِيَةٍ
يقول فيها : « في الأصل : (تُعَاوَدُهُ) وفي المختصر (تُعَوِّدُهُ) وتعاوَرَ الشيءَ تعاطاه وتداوله » ويستدرك في آخر مقدمته للكتاب (ص : ١٦) : « تعاوَرُهُ لعلّها محرّفة أيضاً عن (تُعَوِّدُهُ) » وفي تعليق المحقق واستداركه دليل على إخلاص المحقق في بذل أقصى وسعه لتقديم النص التراثي للقارئ

في أسلم صورة يراها ، غير أن النص هنا ليس بحاجة إلى هذا الجهد كله ، فالكلمة كما جاءت في الأصل المخطوطة (تُعاوِذهُ) سليمة لا تصحيف ولا تحريف فيها ، وفي صحيح اللغة (عاوده يُعاوِذهُ بالمسألة إذا سأله مرة بعد أخرى) والشاعر يقول في صفة محبوبه : إِنَّ حَوَاضَتَهُ يُعاوِذُهُ كُلُّ يَوْمٍ بِمَنْعِ جَسَمِهِ ، مِنْ عَارِضِيهِ إِلَى التَّرَاقِي بِالطَّيِّبِ ، لَأَنَّهُ مُتَرَفٌّ وَمُنْعَمٌ ؛ ورواية (المختصر) (تُعوِذهُ) على أنها خطأ تُثبت صحة (تُعاوده) ، أما الاستدراك فليس فيه طائل ، لأن التعويد (تُعوِذهُ) لا يكون بالتطيب ، ورواية الأصل مع صحتها وسلامتها فيها يُسرّ وطبع يسيل عنوبة ، وتصويبها بكلمة (تُعاوِذهُ) وأصلها (تُتعاوِذهُ) فيها عُسرٌ وتكُلُفٌ ، وفي تصوير المحبوب بشيء تتداوله الحواضن وإحدة بعد أخرى استهانة واستخفاف بشخصيته ، والشاعر الأخبطل مشهودٌ له بالطبع والإحسان وعدم التكُلُف ، وهو كما يقول ابن المعتز عنه (ص : ٤١٢) : « من المجيدين المحسنين » ويروي خبراً عن لقائه بأبي تمام الذي قال له بعد أن أنشده شيئاً من شعره : « اذهب إذا شئت فليس للناس بعدي غيرك ! » فأبو تمام ، أمير شعراء عصره ، يرشح الأخبطل لإمارة الشعراء من بعده ، وتلك شهادة من ناقد عظيم تؤيد كل ما قدمناه .

٣ - وفي (كتاب الأغاني) للأصفهاني (دار : ٢٣/١٤) بتحقيق الأستاذ أحمد زكي صفوت بيتان من قصيدة طويلة لمحمد بن يسير الرياشي يصف فيهما شاة منيع ، جاره البقال ، وكانت اقتحمت عليه حديقة داره وأكلت نباتها وبقلها :

تُرْمِجُ الطَّرْقَ عَلَى مُجْتَازِهَا يَسْدِي فِي الْمَشْرِ وَالْخَطِيرِ الْقَطِيفُ
فِي يَدَيْهَا طَرَقٌ ، مَشِيَّتُهَا حَلَقَةُ الْقَوْسِ فِي الرَّجْلِ حَنْفٌ

وفي عجز البيت الأول تصحيف تصويبه في (الوافي بالوفيات للصفاي : ٢٥٢/٢) : (بِتَدَانِي) وبه يتضح المعنى : فشاة منيع كانت

تثير الغبار في الطرقات بوجه المارة ، بتداني مشيها وتقارب خطوها ، ولكن المحقق لم ينتبه إلى ما في البيت الأول من تصحيف وغموض ، وأطال الوقوف عند البيت الثاني ليعلق عليه بحاشية فيها : « في الأصول : في يدها طَرَف من مشيتها خَلْقَةُ القوس ، وهو تحريف وخطأ ، وقد صححته كما ترى ، والطَّرَق : ضعف في رُكْبتي البعير ويده ، أو اعوجاج في ساقه ، يُقال : بعيرٌ أطرق ، وناقَةٌ طَرَقَاءُ : أي في يديها لينٌ واسترخاءٌ وتكسُّرٌ وضعفٌ ، مشيتها خَلْقَةُ القوس : أي مشيتها معوجة كخَلْقَةِ القوس غير مستقيمة ، والخَنْفُ : الاعوجاج في الرجل إلى داخل » .

من هذا التعليق المطول يظهر الجهد الكبير الذي بذله المحقق لتصحيح ما حكم بوقوع التحريف والخطأ فيه ، غير أن بعض جهده انتهى به إلى تحريف غير المحرف وتصحيفه : فخلقة القوس في الأصول صحيحة ، ورواية البيت في (الوافي بالوفيات : ٢/٢٥٣) :

في يديها طَرَف من مشيها خَلْقَةُ القوس وفي الرجل خَنْفٌ
تؤيد ذلك ، ويستقيم معنى البيت بعد تصويب التصحيف في
(طَرَف) بـ (طَرَق) : فالشاة الموصوفة في يديها تقوسٌ ، وقد خلقتا على صورة القوس ، وفي رجلها اعوجاجٌ أيضاً ، وأثر ذلك بادٍ في مشيتها المتعرجة وسيرها المتلوي وغير المستقيم ضعفاً واسترخاءً ، وكان المثل يضرب بشاة منيع هذه في ضعفها وهزلها ، كما يقول الثعالبي (ثمار القلوب : ٣٧٥) .

٤ - وفي الجزء الرابع عشر من (كتاب الأغاني) أيضاً يعمد المحقق إلى تصحيح كلمة يعدّها محرّفة في موضعين من الكتاب : ففي الصفحة (١٣١) نقرأ : « وكان طَبًا مليح النواذر ، مزّاحاً خبيث الهجاء » وفي الصفحة (١٩٣) نقرأ أيضاً : « وكان طَبًا نادراً كثير الغزل ماجناً » وعلق المحقق في الصفحتين بحاشية واحدة مكررة : « الطبُّ الحاذق الماهر ، وفي

الأصول طَيِّباً ، وهو تحريف ا . . . والحق أن الكلمة في الأصول جميعها صحيحة وسليمة ، لا تحريف ولا تصحيف فيها : ومعناها هنا الظريف المزاح المعروف بخفة روحه ولطف دعابته وكثرة فكاهاته ونوادره المثيرة للضحك ، وكان الجاحظ يصف بها من يستظرفهم ، فيقول : (الحيوان : ٣٢٥/٣) : « كان المكِّي طَيِّباً ، طَيَّبَ الحُجَّج ، ظريفَ الحَيْلِ » ، ويصف أمرين يستظرفهما بقوله : (الحيوان : ٦/٣) : « إنهما يُثيران من غريب الطَّيِّب ما يُضحك كُلُّ ثَكْلانٍ » والجاحظ نفسه يُفسر المراد من الكلمة بأنهم : « إذا قالوا : فلان طَيَّبَ الخُلُقَ ، فإنما يريدون الظرف والمُلح - أي الملاحه » (الحيوان : ٥٨/٤) وفي (كتاب الورقة : ٣٨) نجد وصفاً لواحدٍ من أولئك الظُرفاء المضحكين : « وكان أبو الحارث جُمَيْرٌ مُضحكاً طَيِّباً » ؛ ووصف الثعالبي (اليتيمة : ٣٧٧/٢) أبا الورد بقوله : « بلغني أنه كان من عجائب الدنيا في المطاينة والمحاكاة ... ويُضحك الثكْلان ! » وفي (اللسان) : « طاييه : مازحه » ، وفي (زهر الآداب : ٢١٤/١) : « وأهل المدينة أكثر الناس ظرفاً وأكثرهم طيباً وأحلامهم مُزاحاً » .

٥ - وفي (قطب السرور) المتقدم ذكره (ص ٢٩٦) نقراً : « وقال إبراهيم بن المدبر لمحمد بن يزيد المبرّد : أحب أن تنظر لي جليساً يجمع مع إيناسي ومنادمتي ، فناديتُ ولدي فبعث إليه علي بن سليمان النحوي^(١) » ويُعلق المحقق الأستاذ أحمد الجندي على كلمة (فناديتُ) بقوله في الحاشية : « أضفتُ الفاء إلى (ناديتُ) لاقتضاء سياق العبارة ذلك ! » ولم يكن الأصلُ الصحيح بحاجة إلى تلك الإضافة التي تمعن في تصحيف غير المصحّف ، وفيه : (يجمع مع إيناسي ومُنادمتي تأديب ولدي) فابن المدبر يطلب من المبرّد أن يختار له جليساً نديماً عالماً يُنادمه ويؤانسه ويتولّى تأديبَ

(١) هو الأخفش الصغير (- ٣١٥ هـ) وانظر (إنباء الرواة) : ٢٧٦/٢ -

ولده وتعلّمه ، فأرسل إليه واحداً من خيار طلبته ومُريديه ، وهو الأخفش ... والخبر مشهور ونقع عليه في أخبار الأخفش في (طبقات النحويين واللفويين : ١٢٦) للزبيدي ، وفي ترجمته في (إنباه الرواة : ٢٧٧/٢) للقفطي ، ولو أن المحقق رجع إليهما في تحقيق النص لتيسّرت مهمته ، ولم يُخطئه التوفيق .

في هذه الفقرات الخمس السابقة لوّن جديد من التصحيح والتحريف : يُضيفه المحققون بأيديهم إلى النصوص التي يتولّون تصحيحها وتنقيحها ، فإذا أشكل عليهم فهم ما يقرؤون توقّموا الخطأ فيه ، واندفعوا في اجتهادهم لتصحيحه ، في غير أناة ولا رويّة ، فصحّحوا بذلك غير المصحّح ، وحرّفوا غير المحرّف ، وشوّهوا الأصول الصحيحة السليمة ، ولو أنهم لم يتعجلوا واستوفوا مراجعة المصادر والمظان ، واستعانوا بآراء غيرهم من المحقّقين المتمكّنين المعروفين بكفائتهم وقدرتهم ، لتمكّنوا من تذليل أكثر ما صعب عليهم وأشكل ، وقد قدّمنا أن العمل في خدمة التراث ينبغي أن يكون جماعياً ، تتضافر الجهود وتتآزر فيه ، ولن غلّ تكرار القول بذلك ، غيرّة على التراث وتصحيحه وإحيائه .

— ٦ —

ويعمد بعض المحقّقين أحياناً ، عندما تعدّد أمامهم الروايات للكلمة الواحدة في النص ، إلى اختيار الرواية المصحّفة أو المحرّفة ، المرجوحة ، وإثباتها في المتن ، ووضع الرواية السليمة والراجحة في الحاشية ، وهم يصدرون إمّا عن خطأ في توقّم السلامة فيما يختارون ، أو عن حُجة بالتزام رواية النسخة الخطية التي اتخذوا منها المخطوطة الأم في عملهم ، والحق أن المنهج السليم في قواعد تحقيق النصوص يقتضي أن تثبت في المتن أصح الروايات التي نجدّها في النسخ الخطية للكلمة ، ونشير في الحاشية إلى

الروايات الأخرى المرجوحة ، أو التي لا تخلو من الخطأ ، فواجبنا أن ننشر النص في أصح صورة لقراءاته التي روي بها أو كُتب في النسخ المختلفة ، « ولا يختلف اثنان في أن رائدنا من النشر أو التحقيق أن ننشر الكتاب في الصورة التي أخرجها المؤلف بقدر المستطاع^(١) » وفيما يلي أمثلة على إثار الرواية المرجوحة وإثباتها في المتن ، ونبد الرواية الراجحة والصحيحة وطرحها في الحاشية :

١ - في (رسالة الصداقة والصديق) للتوحيدي (ص ١٣٩) بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني ، معتمداً فيها على مخطوطة مكتبة أسعد أفندي في استانبول ، نقرأ هذا البيت للفضل بن العباس :

لقد عجبْتُ وما بالذَّهر من عجبٍ يدُ تُشعُّ وأخرى منك تأسوني
وقد وضع المحقق في هامشه عنواناً يلخص فكرته : (بين الشَّعِّ والمواساة) وعلّق في الحاشية بقوله : « هذا البيت منسوب في (حماسة البحري) إلى صالح بن عبد القدوس من أبيات يقول فيها :

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أدري من تلوُّنه أناصحُ أم على غشٍّ يُداجيني
إنِّي لأكثرُ مما سُمّني عجباً يدُ تُشعُّ وأخرى منك تأسوني
إلخ ... » وهكذا نجد المحقق يحتفظ برواية الأصل المخطوط (تشعُّ) في المتن ، ويُشير في الحاشية إلى الرواية الأخرى (تشعُّ) التي وردت في (حماسة البحري) ، وكذلك فعل ثانية عندما كرّر التوحيدي الاستشهاد بالبيت في موضع آخر من رسالته (ص : ٣١٩) ورواية الحماسة هي الصحيحة ، ويتطلبها الطباق بين كلمتي (تشعُّ وتأسو) أي تبحر وتداوي ، وبه يتألق المعنى المراد ، ولو أراد الشاعر العَجَب من التلوّن بين (الشَّعِّ والمواساة) لقال : (يدُ تُشعُّ وأخرى منك تُغيني !) .

(١) البحث الأدبي للدكتور شوقي ضيف : ١٧٨ وانظر بالفرنسية كتاب (قواعد لتحقيق النصوص العربية وترجمتها) للمستشرقين الأستاذين بلاشير وسوافجيه : ٢٠ (القاعدة : ٨٠) .

٢ - وفي (الهفوات النادرة) لغرس النعمة الصابئ (ص : ١١٤) بتحقيقنا نقرأ : « الحمد لله الذي قتل أبرويز على يدك ... فإنه كان يأخذ الأجنّة ويقتل بالظنّ ، ويُخيف البريء ، ويعمل بالهوى » وقلنا في التعليق على كلمة (الأجنّة) في الحاشية : « (ب) : بالإحنة ، و (التاج) بالحبة » ويعني ذلك أننا آثرنا رواية النسخة الخطية (الأم) التي جعلناها أساساً للمطبوعة وهي نسخة (أ) التي نقلنا عنها متن الكتاب ، وهي رواية النسخة الأخرى (ع) أيضاً ، وأشرنا في الحاشية إلى الروايات الأخرى المرجوحة : (رواية النسخة الخطية الثالثة (ب) ورواية كتاب التاج) ثم تبين لنا بأخرة أننا أخطأنا في ترجيح المرجوح ونبد الراجح الصحيح عندما قرأنا مقالة صديقنا وزميلنا القديم الدكتور إبراهيم السامرائي ، وعنوانها (جولة في الهفوات النادرة) في كتابه (مع المصادر في اللغة والأدب : ٢٦٧/٣) قال فيها : « لا معنى لقوله : يأخذ بالأجنّة والصواب : يأخذ بالإحنة ، أي الحقد ، ويدل على هذا قوله : ويقتل بالظن » وهذا التصويب يلفتنا إلى الخطأ في نبذ الرواية الراجحة للنسخة الخطية (ب) ويدفعنا إلى تصحيحه في طبعة ثالثة قادمة ، فقد صدرت الطبعة الثانية قبل اطلاعنا على مقالة الصديق الناقد الفاضل ، واستفدنا فيها من نقد الناقلين ، وقلنا في مقدّمتها : « هذه هي الطبعة الثانية المصححة من كتاب (الهفوات) تنتظر أن تحظى بالمزيد من التصويرات ليُتاح لها أن تتلافها في طبعة قادمة ، والعمل في خدمة التراث جهد دائمٌ مستمر ... الخ^(١) » .

٣ - وفي كتاب (العثمانية) للجاحظ (ص : ٣) بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، يقول الجاحظ : « وليس بين الأشعار وبين الأخبار فرقٌ إذا امتنع في مجيئها وأصل مخرجها التباعد والاتفاق والتواطؤ » ، ويُعلّق المحقق على كلمة (التباعد) بقوله في الحاشية : « في الأصل

(١) الهفوات النادرة (طبعة دار الأوزاعي) المقدمة : (ص ٥٤ - ٥٥) .

و (ب) التشاعر ، وصوابه من (ح) ، ويعني بذلك أن رواية الأصل المخطوط في مكتبة كوبرلي بتركيا ، ورواية المقتطفات التي اختارها عبيد الله بن حسان من (العثمانية) هي : (التشاعر) ، وقد نبذها المحقق واختار رواية ابن أبي الحديد في منقولاته عن العثمانية في شرحه لنهج البلاغة ، وهي (التباعد) فأثبتها في المتن ، ويؤكد الناقد الدكتور ناصر الدين الأسد في نقده لكتاب العثمانية^(١) أن الرواية المنبذة (التشاعر) هي الصواب ، وهي بمعنى التعارف والتعامل والتواطؤ ، ويؤيد رأيه بقول الجاحظ في الكتاب نفسه (ص : ٢٦٣) : « وليس يُتَّفَعُ باتِّفاق أهوائهم ما لم يتشاعروا .. » .

٤ - وفي كتاب (العثمانية) أيضاً (ص : ١٠) يقول الجاحظ : « ولو لم تعرف الروافض .. باطل هذه الدعوى .. إلا بترك علي ذكر ذلك لنفسه ، والاحتجاج به على خصمه وأهل دهره ، منذ نازع الرجال ، وخاصم الأكفاء ... الخ » ويُعلّق المحقق على قول الجاحظ : (وخاصم) في الحاشية : « هذا ما في (ب) وفي الأصل : (وخاير) » وهو بذلك يُفَضِّل رواية المقتطفات على رواية الأصل المخطوط للعثمانية (وخاير) التي نبذها ، ويؤكد الناقد الدكتور الأسد أنها هي الرواية الصحيحة^(٢) ، ومعنى (خايره) : فاضله بالخير وكأثره ، وقد تخلّى المحقق عنها وآثر الرواية المرجوحة عليها .

فهذه أمثال أربعة لهذا اللون من ترجيح المحققين للروايات الخاطئة ، المصحفة أو المحرّفة ، على الروايات الصحيحة والسليمة ، التي نجدتها منبذة في الحواشي ، وخطر هذا اللون يظهر أثره المُدمّر في تشويه التراث عندما يعتمد بعض الناشرين المستغلّين إلى طبع متون النصوص وحدها ، دون التعليقات في الحواشي عليها ، وكثيراً ما يفعلون ذلك ، فلا يجد القراء

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية : المجلد : ٢ ، الجزء الأول : ٢١٢ - ٢١٥ .

(٢) انظر المصدر السابق .

أمامهم في تلك المتون غير الروايات الخاطئة والمرجوحة ، وقد غابت عن أعينهم الروايات السليمة والراجحة ، بحذف الحواشي وتعليقاتها ، وأتى لأولئك الجشعين من الناشرين أن يدركوا أنهم لم يقتصروا بذلك على طمس معالم سرقته لجهود المحققين وحقوقهم ، بل هم قد جنوا على التراث وشاركوا في تشويهه وإفساده !

— ٧ —

وما أكثر ما نفع في كتب التراث الأدبي المحققة بغير قليل من الجهد والتدقيق على تصحيح أو تحريف لم يثر لدى المحققين ارتياباً في صحته ، فقبلوه يسر ورضى ، وراحوا يعلقون عليه بحواشٍ تُفسره ، وكأنهم يؤكدون بذلك صوابه ، وخطر هذا اللون من التصحيح والتحريف كبير لأنه يُذيع الخطأ ويُوهم القراء بصوابه ، فلا يرتاب في صحته إلا القارئ البصير ، وأين هو ، إلى أن يتصدى للغلط ناقد متمكن ، فيكشف زيفه ويُعين على تصويبه ، وفيما يلي أمثلة على هذا اللون السائر من التصحيح والتحريف :

١ - في (الديارات) للشابشتي : (ص ٥٦ - ٥٧) نقرأ هذين

البيتين لأبي العيناء في علي بن الجهم :

أراد علي أن يقول قصيدة بِمَدْحِ أمير المؤمنين فأدنا
فقلتُ له : لا تُعْجَلَنَّ بإقامة فليستُ على طهر فقال : ولا أنا

وقبل محقق الكتاب الأستاذ كوركيس عواد التصحيح في كلمة (فأدنا) وعلق عليها بحاشية تشرح معنى الفعل فيها فقال : « أدّه الأمر : أثقله وعظم عليه ! » ؛ والصواب (فأدنا) بالذال المعجمة ، وبه يتم ربط البيت الثاني بالأول : فلما أذن علي بن الجهم قال له أبو العيناء : لا تُعجل بإقامة الصلاة ، فليستُ على طهر .. الخ .. والبيتان في (طبقات الشعراء) لابن المعتز : (ص ٤١٦) من غير تصحيح ، ولا يتطلب تصويب مثله

مراجعة المصادر والمطازن لسهولة ووضوح المراد وارتباط البيت الثاني بالأول .
 ٢ - وفي الجزء الرابع عشر من (كتاب الأغاني) بتحقيق الأستاذ
 أحمد زكي صفوت نفع على أمثلة كثيرة لهذا اللون من التصحيف ،
 ونكتفي باثنين منها :

ففي (الصفحة : ١٩) نقرأ بيتاً لمحمد بن يسير الرياشي ، ينقد فيه
 نفسه نقداً ذاتياً ، لما أظهر من تعالٍ وتكبرٍ على أصحابه :
 أيا عجباً من ذا التَّسْرِي فإنه له نخوة من نفسه وتكابرُ
 ولم يرتب المحقق في التصحيف الواقع في كلمة (التَّسْرِي) فأسهب
 في شرح معناها معلقاً في الحاشية : « السرو : المروءة في شرف ، سرو
 ككرم ودعا ورضي فهو سري ، وتسرى تسرياً : تكلف السرو » وتصويهاً
 (اليسيري) نسبة إلى (يسير) أبي الشاعر ، والشاعر يعجب من نفسه :
 أيا عجباً من ذا اليسيري فإنه ... الخ . وفي (التاج - مادة يسر) أورد
 الزبيدي بيتين للشاعر لقب نفسه فيهما باليسيري . (عن الأعلام :
 ١٦/٨) .

وفي (الصفحة : ٤١) يروي صاحب الأغاني خبراً عن ... علي بن
 القاسم فيقول : « كنتُ مع المعتصم لما غزا الروم ، فجاء بعضُ سراياه بِخَبَرٍ
 عَمِّهِ ، فركب من فورهِ ، وسار أجداً سير .. الخ .. » ونقرأ تعليق المحقق
 على كلمة (عَمِّهِ) في الحاشية : « هو إبراهيم بن المهدي ، وخبره هو
 خروجه على المأمون فندرك أنه لم يشك في التصحيف الواقع في كلمة
 (عَمِّهِ) فراح يُعرِّف بعَمِّ المعتصم إبراهيم بن المهدي ، ويُفسِّر (خبره) بما
 كان من خروجه على المأمون ! وتصويبُ التصحيف : (بخبرِ عَمِّهِ) أي
 أحزنهُ وأقلقهُ ، وليس فيه غيرُ استبدال الغين المعجمة بالعين المهملة ،
 والخبر الذي يرويه الراوي يتصل بالمعتصم في أثناء خلافته (٢١٨ -
 ٢٢٧ هـ) في إحدى غزواته للروم ، أما خروج عَمِّهِ إبراهيم بن المهدي على

المأمون فهو بين عامي (٢٠١ - ٢٠٣ هـ) ولم يكن للمعتصم في هذه المدة شأن في الحرب ولا في الخلافة ، وقد بويغ بها بعد وفاة أخيه المأمون عام ٢١٨ هـ وكان الرشيد أخرجه من الخلافة وولى الأمين والمأمون والمؤتمن ، إلى أن جعله المأمون ولياً لعهد . (الأعلام : ٣٥١/٧) .

٣ - وفي القسم المطبوع من (قطب السرور) بتحقيق الأستاذ أحمد الجندي نقع أيضاً على أمثلة كثيرة لهذا اللون من التصحيف ، ونكتفي باثنين منها :

ففي (الصفحة : ٣٠٥) نقرأ ما نصّه : « وقد رأينا جماعة من جِلَّةِ الرؤساء يتبدَّلون أتباعهم ، ويمتهنونهم من الخدمة فيما يرفعون عن مثله بعض ممالكهم » وقد علّق المحقق على كلمة (يتبدَّلون) بشرحها في الحاشية : « تبدَّلْ به ، واستبدلْه وبه : أخذه مكانه ، مثل بدَّلْه » وبهذا الشرح أكد المحقق غفلته عن التصحيف الواقع فيها ، وتصويبه (يتبدَّلون) أتباعهم ويمتهنونهم ، والابتدال والامتهان بمعنى .

وفي (الصفحة : ٣١٦) نقرأ ما يلي : « وكان ابن جوار كاتب العباس بن أحمد بن طولون ، يُنادم أبا حفص .. الخ .. » وقد علّق المحقق على (ابن جوار) بقوله في الحاشية : « ويُروى ابن جرار ، أو ابن حدار - بالحاء المهملة - واسمه جعفر الكاتب الشاعر من بطانة العباس بن أحمد بن طولون » ، ومثل هذا التعليق يجعل القارئ يطمئن إلى صحة الاسم فلا يرتاب في وقوع فيه من تصحيف صوابه (ابن جدار) وهو جعفر بن جدار الشاعر المصري الكاتب العالم ، صاحب القصيدة الميمية الرقيقة التي يوردها صاحب (العقد الفريد : ٣٤٨/٥) بتامها ، ويُشيد بديع الصنعة ولطف التشبيه فيها ، وصاحب الكتاب « المعروف بطبقات الشعراء » الذي نجد إشارةً إليه في (كتاب الذخائر والتحف : ص ١٠٥)

للقاضي الرشيد بن الزبير^(١) ، وقد نُشر (العقد) عام ١٩٤٦ ،
و (الذخائر) عام ١٩٥٩ ، قبل عشر سنوات من صدور القسم المطبوع
من (قطب السرور) ولم يُنح للمحقق الإفادة منهما في تصحيح اسم
الشاعر ؛ وفي عام ١٩٧٣ نشرت مجلة المجمع بدمشق (٦٨٨/٤٨ -
٦٩٩) مقالتي لكل من الأستاذ عبد الله كنون والأستاذ الدكتور أمجد
الطرابلسي شاركتا في تصحيح اسم الشاعر والتعريف به والإشادة بفضله
بعد قرون من الإهمال والنكران .

٤ - وفي (معجم الأدباء) لياقوت ، طبعة دار المأمون ، بإشراف
عدد من الأساتذة المحققين في قسم التصحيح بالدار ، نفع على أخطاء
كثيرة من التصحيف في الكلمات والتحريف فيها ، وقد تتبّع بعضها العلامة
الأستاذ الميمني الراجكوتي بالتصحيح والتقويم في سلسلة من المقالات في
مجلة المجمع بدمشق بعنوان (طُرّر على معجم الأدباء : المجلّدات : ٤٠
و ٤١ و ٤٢) ولكننا نكتفي بإيراد مثالين على هذا اللون من التصحيف
الذي نعرضه هنا ، وهما مما أهمل الأستاذ الميمني تصويبه :

ففي الجزء الأول من (معجم الأدباء) : ص : ٣٧ ينقل الناشرون
ترجمة لياقوت عن (وفيات الأعيان) وصف فيها ما عاناه في حياته بعد
وصوله إلى الموصل ، من خوارزم ، طريد التتر عام ٦١٧ هـ : « والمملوك
الآن بالموصل مُقيم ، يُعالَجُ لما خَرَّ به من هذا الأمر المُقعد المُقيم » وفي
الحاشية شرح لقوله (خَرَّ به) : « خَرَّ به : نزل به » مما يؤكد أن المحققين
لم ينتبهوا إلى التصحيف ولم يرتابوا فيه ، وتصويبه (خَزَبَه) أي أصابه ، ولو
رجعنا إلى (الوفيات : ١٨٧/٥) لوجدنا الرواية الصحيحة أيضاً !

وفي الجزء السادس من (المعجم) ص : ١٧٥ ينقل لياقوت عن

(١) أو المنسوب إليه : انظر تعليق الدكتور مصطفى جواد في حاشية من كتاب

(نساء الخلفاء) لابن الساعي : ١٣٤ .

كتاب (الإمتاع والمؤانسة) للتوحيدي وصفه للوزير صاحب بن عباد : « وهو حَسَنُ القيام بالعروض والقوافي ، ويقول الشعر ، وليس بِزَالٌ » ولم يرتب أحد من المصححين في دار المأمون في التصحيح الواقع في كلمة (بِزَالٌ) وراحوا يفسرونها في الحاشية بقولهم : « أي ليس مُنحرفاً عن الصواب » وكأنهم يؤكدون للقارئ صحتها ، وقد شوّهوا بذلك مُراد التوحيدي الذي كان يُعدُّ مثالب الوزير ، فكيف يشهد له بعدم الانحراف عن الصواب ! وتصويب التصحيح : « ويقول الشعر وليس بِذاك ! » فهو يصف الوزير بأنه نظامٌ يحسن العروض والقوافي وليس بالشاعر ! ولو عدنا إلى مراجعة (الامتاع والمؤانسة : ٥٥/١) لوجدنا الكلمة سليمة لا إشكال فيها .

ففي هذه الفقرات الأربع المقدمة من الأمثلة على هذا اللون من التصحيح كفاية ، وقد أشرنا إلى خطره في نشر الخطأ وإذاعته في القراء دون عائق ، لا طمئنان كثرتهم إلى تعليقات المحققين عليه وشرحهم له وقبولهم إياه ، دون أن يساورهم شك أو ارتياب فيه .

— ٨ —

وكثرة التصحيح والتحريف في أشعار الدواوين القديمة ظاهرة لا يمكن تجاهلها ، على رغم العناية التي بُذلت في تحقيقها أحياناً ، والإفادة من تعدد نسخ الأصول في تصحيحها ، وتلك آفة يعاني طلبة الدراسات الأدبية العليا مشقة كبيرة للتغلب عليها ، ولن أنسى أنا ما عانيت في دراستي للبحري قبل أربعين سنة^(١) ، ولم يكن لديوانه حينذاك غير طبعات ثلاث سقيمة ، أهمها طبعة الجوائب لعام ١٣٠١ هـ / ١٨٨٢ م ، وهي من تصحيح

(١) شاعر عربي من القرن الهجري الثالث : البحري (رسالة بالفرنسية) باريس :

الشيخ رسول النجاري ، أحد المساعدين للعلامة أحمد فارس الشدياق في تنقيح المطبوعات الصادرة عن مطبعته بالقسطنطينية ، وهو القائل في تقرير تصحيحه للديوان^(١) :

ولقد بذلتُ الجهدَ في تصحيحه لِعَمُوضِهِ بِتَفْكِيرٍ وَتَدَبُّرٍ
لِلَّهِ دُرُّ الْبَحْرِ إِذْ اِزْدَرَتْ حُسْنِي مَعَانِيهِ بِدُرِّ الْأَبْحَرِ
ولكن طبعة الجوائب ظلت مع ذلك تغصُّ بالمصحِّفِ والمُحرِّفِ
والغامض ، وحكَمَ العلامةُ الميمني عليها بأنها « رديئةٌ لم تُنقَّحْ ، ولم تُعارضْ
بالأصول على يدَي خبيرٍ بصير ، وابتُلِيتْ بدعوى فارغة ... الخ .. »^(٢)
ولهذا كان عليَّ أن أعود إلى الأصول الخطيَّة للديوان - وهي كثيرة ، وإلى
المصادر الأخرى ، لتصحيح أخطاء التصحيف والتحريف في طبعة
الجوائب للديوان ، وما أكثرها ، مثل هذا التحريف في كلمة (قُطِبها) في
البيت^(٣) :

قَدْ رَحَلْنَا عَنِ الْعَرَا قِي وَعَنْ قُطِبِهَا النَّكِدُ
وتصويبه (قِيظها) عن مخطوطة باريس للديوان ؛ ومثل هذا
التصحيف في كلمة (دَعَا) في البيت^(٤) :

أَبْدَى التَّوَضُّعَ لَمَّا نَالَهَا دَعَا عَنْهَا وَنَالَتْهُ فَاخْتَالَتْ بِهَيْبَتِهَا
وتصويبه (رَعَا) أي وَرَعَا ، عن الموازنة للآمدي ؛ كل ذلك قبل

(١) انظر مقالة لعلی حیدر النجاری ابن الشیخ رسول فی مجلة الجمع بدمشق :

. ٤٦٥/٥٧ - ٤٧١ .

(٢) الطرائف الأدبية (مقدمة للمختار من دواوين المتنبي والبحري وأبي تمام)

للجرجاني : ١٩٩ .

(٣) ديوان البحري (ط : الجوائب) : ٩/١ ، (ط : الصيرفي : ٧٠٧/٢) .

(٤) المصدر السابق : (ط : الجوائب) : ١٨/١ ، (ط : الصيرفي :

. ٢٤١٤/٤) .

أن أتمياً لدراسة الشاعر على أساس منهجي قويم ؛ غير أن معاناتي في تصحيح الكثير من أخطاء ديوان البحري يومذاك لا تُقاس بما عاناه الأخ الصديق الدكتور شاكر الفحام في تصحيح كثير من أخطاء ديوان بشار قبل أن ينصرف إلى دراسة شعره وكتابة رسالته عنه ، عام ١٩٥٩ ، لأن ما عُثر عليه من ديوان بشار في تونس صدر بمصر في ثلاثة أجزاء ، بتحقيق شيخ جامع الزيتونة الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور ، بين عامي (١٩٥٠ - ١٩٥٧) عن نسخة خطية فريدة « تمور بالتصحيح والتحريف »^(١) لضعف ناسخها الذي « عبث أيما عبث بالديوان وأفسده وأحاله حتى كاد يصير غلطاً صِرْفاً »^(٢) وتصويب مثل هذا الغلط في النسخة الخطية اليتيمة الوحيدة يتطلب جهوداً مُضنية وبحثاً دائماً عن المصادر والمطابن ، وتجربة طويلة وبصيرة في ميدان التحقيق ، وسنفرّد لهذا اللون من التصحيح والتحريف فصلاً خاصاً يُبرز مدى المشقة والمعاناة في الاهتداء إلى تصويبه ، ويُنصف جهود المحققين في تصحيحه .

والحق أن تصويب أخطاء التصحيح والتحريف في الشعر يمكن أن يكون أحياناً أسهل وأيسر منه في النثر ، لما في الوزن والقافية من مُرشِد ومُعِين على ذلك ، وعندما يشعر المحقق باضطراب الوزن أو القافية في البيت يبحث عن الخطأ فيه ويعمل على إصلاحه وتلافيه ، في حدود السلامة في الوزن والقافية ، بأيسر السبل وأقصرها ، وفيما يلي أمثلة على ذلك :

١ - في (ديوان الخالدين) : ٥٧ من جمع الدكتور سامي الدهان وتحقيقه ، وقد تقدّم ذكره ، نقرأ هذين البيتين :

رُبَّ ليلٍ فضحّته بضياء الرّاح حتى تركّسه كالنّهار

(١) نظرات في ديوان بشار : ١٩٥ .

(٢) مجلة الجمع بدمشق : المجلد ٦٠/٦٠٠ .

ذي سماءٍ كَخَزَامٍ ونُجُومٍ مُشْرِقاتٍ كَنَزَجِسٍ وبَهَارٍ
 فيستوقفنا صدر البيت الثاني لاختلاف وزنه ، فالبيتان من
 الخفيف ، والصدر من الرمل ، لوقوع التصحيف في كلمة (كَخَزَامٍ)
 وتصويبه (كَخُرْمٍ) وبه يستقيم الوزن ، والخُرْمُ نبات مثل القرنفل^(١) ،
 والمحقق ينقل البيت عن (اليتيمة) للثعالبي ، وهو سليم من التصحيف في
 طبعة محمد محي الدين عبد الحميد (١٩٤/٢) ، كما يشير إلى رواية
 (كَخُرْمٍ) في (مسالك الأبصار) في الحاشية دون أن ينتبه إلى صحتها
 وحاجة الوزن المضطرب إليها .

٢ - وفي كتاب (التحف والهدايا) للخالدين : (ص ٢٤١)
 بتحقيق الدكتور سامي الدهان أيضاً ، نقرأ هذا البيت :
 شَبَّهْتُهَا قَدْ أُلْحَتْ فِضَاضَةٌ وَنَحَافَةٌ وَلَطَافَةٌ وَسَقَامَا
 فيستوقفنا اختلال الوزن في صدره ، ويلفِتُنَا إلى التصحيف الواقع
 فيه ، ويُرشدنا الوزن السليم إلى التصويب الملائم له ولرسم الكلمات فيه ،
 وهو :

شَبَّهْتُهَا قَدْ الْمُحِبِّ بَضَاضَةٌ وَنَحَافَةٌ.....
 وهو الصواب الذي اهتدى إليه الدكتور إبراهيم السامرائي قبلنا^(٢)
 وبه يزول التصحيف ، ويتزّن البيت ، ويتألّق معناه وتُسقّ الصفات التي
 يُشَبَّه بها الشاعرُ قَدْ مُحِبُّهُ دلالة وإيقاعاً .

٣ - وفي (ديوان ابن أبي حصينة) : (٢٧٠/١) وقد تقدّم ذكره ،
 نقرأ هذا البيت :

(١) انظر نقد الأستاذ محمد عبد الغني حسن للديوان : مجلة المجمع بدمشق : المجلد

٦٩٠/٤٥ - ٦٩٦ .

(٢) مع المصادر في اللغة والأدب : ٨٠/١ .

أَمَامُ بَعِيشِكَ هَلْ ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ وَهَلْ أَرَقَّتْ أَرْقِي
 ويستوقفنا في عجزه قوله (أَرَقَّتْ) وكان عليه أن يقول : (وهل
 أَرَقَّتَا) بضمير المثني ، فالعينان ، وقد تقدّمتا الفعل هما المؤرقتان ، ولكن
 الوزن لا يُعين على ذلك ، ويتّزن الشطر بإسقاط (هل) وتشديد عين
 الفعل (أَرَق) ومعناه : أَسْهَرَ ، فنقول : (عيناك وأرقتا أَرَقِي ؟) وبذلك
 يزول التحريف ويستقيم عجز البيت لغةً ودلالةً أيضاً .

٤ - وفي كتاب (الورقة) لابن الجراح (ص : ٧٣) بتحقيق
 الدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ عبد الستار أحمد فراج نقرأ هذه
 الأبيات للرّياحي يقولها في واحدٍ من أحفاد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن
 عفان بمدحه :

أَيَّابَنَ الَّذِي حَنُّ الْحَصَى فِي يَمِينِهِ وَأَكْرَمَ مِنْ وَافِي مِئْنَى وَالْمُحْصَبِ
 وَخَيْرَ إِمَامٍ كَانَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ مَضَوَا مَسْلَفاً أُرْوَاهُمْ لَمْ تُشْعَبِ
 هُوَ الثَّالِثُ الْهَادِي بِهِذِي مُحَمَّدٍ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ السَّاحِطِ الْمُتَعَبِ
 فيستوقفنا عجز البيت الأول بتخطيه قواعد اللغة ، ولولا ذاك لقال :
 (وافي مئى والمُحْصَبَا) وَلَخَرَجَ بذلك على حركة الروي للأبيات (الباء
 المكسورة) ! وننظر في تعليق المحققين على كلمة (مِئْنَى) في الحاشية
 بقولهما : « في الأصل : (جما) ! والمعروف أن (مِئْنَى) هو الذي يُذكر مع
 المُحْصَب . قال عمر بن أبي ربيعة :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحْصَبِ مِنْ مِئْنَى وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمُ
 أَمَّا (جما) التي وردت في الأصل ، فليس لها ذكرٌ في معجم
 البلدان ! « ومن هذا التعليق يتبين وهمُّ المحققين ، فقد ظنّا (جما) اسماً
 لموضع ، وحكما بأنه مُحَرَّفٌ عندما لم يجداه في معجم البلدان ذكراً ،
 ولم ينتبها إلى أن حركة الروي في القافية لا تؤيد ظنهما وحكمهما ، ولو

أنهما أمعنا الفكر في رواية الأصل : (جما والمُحَصَّب) وامتحننا الأوجه الممكنة لتصويبها ، في حدود قواعد اللغة والوزن الشعري وحركة الروي في القافية ، لوجدنا (جِمَارَ المُحَصَّب) وجهاً للصواب يُلبّي كل ذلك ، مع مُراعاة الرسم في رواية الأصل أيضاً ، و (الجِمَارُ) اسم موضع بمنى ، و (المُحَصَّب) هو موضع رمي الجمار فيه ، ولكل من الموضعين ذكرٌ في (معجم البلدان) (١٥٩/٢ و ٦٢/٥) ، مما يُؤكّد أن تصويب التصحيف في (جما والمُحَصَّب) لا يتطلّب غير استبدال الراء بالواو ، ليستقيم البيت معنى ومبنى ، وتبرز الصلة بين (الحصى) في صدر البيت ، و (حصى الجمار) ومواضع رمي الحجاج لها في منى والمُحَصَّب ، واشتقاق اسم المُحَصَّب من رمي الحصباء ، والحَصْبُ هو الرمي بالحصى ، والمُحَصَّب هو اسم المفعول منه ، وجميع هذه الشروح تقع عليها في (معجم البلدان) .

٥ - وفي (رسالة الصداقة والصديق) : (ص : ٢٨٣)

للتوحيد ، وقد تقدّم ذكرها نقراً هذين البيتين :

يا ذا الذي أَلَفَ القطيعةَ دهره إن القطيعةَ موضعُ الرّيبِ
إن كان ودُّكَ كامناً في نيّة فاطلُبْ صديقاً عالماً بالغيبِ

فيستوقفنا اختلاف الوزن في ضربيّ البيتين : فهو في الأول أحدُ مُضمر (رَيْبٍ = فعلن) وفي الثاني مقطوع مُضمر (بالغيب = فعلاتن) وبذلك يكون البيت الأول من ثالث الكامل ، والثاني من ثاني الكامل ، وينبغي توحيد الضريين لتقويم الاختلال بتصويب التحريف الطارئ على أحدهما ، فإذا كان البيتان من ثاني الكامل قلنا :

إن القطيعةَ موضعُ للرّيبِ
فاطلُبْ صديقاً عالماً بالغيبِ

وإذا كانا من ثالث الكامل قلنا :

إن القطيعة موضع الرّيب
فاطلب صديقاً عالم الغيب
والذوق الشعري قد يُرجح التصويب الأول ويتبناه .

٦ - وفي (ديوان خالد الكاتب) : (ص : ٤٠٢) بتحقيق الدكتور يونس أحمد السامرائي هذه المقطوعة الرباعية :

يا عالم الحُسن الذي أصبحت فيه علماً
لا أشتكي الشُّقْم وإن كسوت جسمي سقماً
أكنم حُبـيك فياً بي الدمع أن يتكثماً
لم تـرث عيناك لِمَن بكتك عيناه دماً

واختلال الوزن في عجز البيت الثالث واضح ، وفي الحاشية تعليق على كلمة (يتكثماً) فيه : « الأصل : (يكتما) ولا يستقيم الوزن » ولكن تصحيح المحقق للتصحيف في الأصل يخرج بعجز البيت عن بحر المقطوعة (مجزوء الرجز) إلى بحر آخر (مجزوء الكامل) والتصويب الصحيح الذي يلتزم ببحر المقطوعة واتساق قوافيها ولا يبعد عن رسم الكلمة المصحفة هو (يَنكُتِما) مطاوع (كنم) تقول : كنمه فانكنم ، وهذه الصيغة مألوفة في ديوان الشاعر كقوله : (ص ٤١٦) : (أو ذلة المشتاق تئنكم) وقوله : (ص ٤١٧) : (لم تدعه العين أن ينكتما) .

في هذه الفقرات الست التي قدّمناها كفاية لتمثيل هذا اللون من التصحيف والتحريف في الشعر ، وبيان السهولة في الاهتداء إلى أوجه الصواب ، من أقرب السبل وأيسرها ، بإرشاد من الوزن والقافية فيه إذا لم يضلّ المحقق بسهوه الطريق ! .

- ٩ -

أما الصعوبة والمشقة والمعاناة فهي في تحقيق النصوص التراثية عن

نسخة يتيمة وحيدة بخط ناسخ ماسخ ، شأن بعض الدواوين الشعرية القديمة التي لم يُعثر إلا على نسخة خطية واحدة فريدة ، كديوان بشار الذي أشرنا إلى كثرة التصحيف والتحريف في طبعته المحققة التي تولّى الأخ الصديق الدكتور شاكر الفحام تصحيح عدد كبير من عويص أخطائها ، وبذل جهداً صابراً موقفاً في تصويبها ، ولكنه يُقرّ مع ذلك بأنّ الديوان « ما زال يفتقر إلى تضافر العلماء ليضطلعوا بتصحيحه ، فيقوموا عوجه ، ويمسحوا الهنات عن وجهه » . (نظرات في ديوان بشار : ١٦) وكديوان خالد الكاتب الذي نُشر في بغداد عام ١٩٨١ بتحقيق الدكتور يونس أحمد السامرائي ، وسنستعير من طبعته هذه للديوان ما تقدمه من أمثلة على هذا اللون من التحريف والتصحيف في كتب التراث المحققة والمنشورة عن أصول يتيمة وحيدة ، لنقدّر جهد المحقق وعذابه فيها .

والحق أن لديوان خالد الكاتب نسخة خطية أخرى ، غير تلك المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق ، والمكتوبة في عام ١١١٠ هـ ، وهي نسخة حديثة منقولة عنها في عام ١٣٢٧ هـ ومحفوظة في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية ، ولم يكن ناسخها ليفضل الناسخ الأول في غفلته وجهله ، ولا تقع فيها على ما يُفيد في تصحيح أخطاء الأولى ، ولهذا « فالنسخة الظاهرية - كما يقول الدكتور السامرائي - تُعد الوحيدة أو الفريدة لهذا الديوان » (ديوان خالد الكاتب : ٦٤) .

وليس من نافلة القول أن نشير إلى أن تحقيق النصوص التراثية عن أصول وحيدة يتطلب ثقافة واسعة وتجربة غنية سابقة ، وخبرة كبيرة بالخطوط وخطوطها ورموزها ، وسعياً صابراً دائماً وراء المصادر والمراجع والمظان للعثور على ما يمكن أن تُعارض به تلك النصوص ، لإصلاح السقط والتصحيف والتحريف ، وإنارة الغموض وإزالة الإشكال ، لتقديم النصوص المحققة إلى الطبع في أسلم صورة وأقربها إلى صورتها الأصلية ، قبل تشويه

الناسخين لها ومسسخهم لملاحمها . فهل تحقق شيء من ذلك كله لديوان
خالد الكاتب في طبعته البغدادية الأولى ؟

ولعل من الإنصاف أن نُقرّ قبل تقديم الأمثلة من الديوان المطبوع
بأن النسخة الأصلية (الظاهرية) تغصّ بفيض من التصحيف العويص
والتحريف المشوّه والكلمات المسوخة ، وتزداد مهمة المحقق لتصويب تلك
الأخطاء في جانب كبير من شعر الديوان صعوبة ، وهو القسم الذي تنفرد
النسخة المخطوطة به ، فلا نعثر عليه في غيرها من المصادر الأخرى ، وفيما
يلي أمثلة على كل ذلك :

١ - في (ديوان خالد الكاتب) : (ص : ١٨٣) نقرأ المقطوعة

الرباعية التالية :

كُلُّ مَنْ مُلِّكَ عَـبـدا	أَظْهَرَ النِّـيَّةَ قَضـدا
مَا لِمَنْ حُظُّ بِوَجْهِ	حَسَنَ أَنْ يَتَعَمَّـدَ
زَاهِدٌ فِي وَقْدِ نَقْـ	ضُـشْهِ وَدَا وَوَجـدا
إِنَّمَا تَفْعَلُ مَا تَقـ	عَمَلُ بِي مِنْ ذَاكَ عَمـدا

ويُعلّق المحقق في الحاشية على كلمة (حُظُّ) في صدر البيت الثاني
بقوله : « (حُظُّ) كذا ، ولعلّها (حُصُّ) ، فهل أراد بـ (حُظُّ) أنه ذو
حُظٍّ ونصيب ؟ » .

ويُعلّق أيضاً على كلمتي (وَقْدِ نَقْضُهُ) في البيت الثالث بقوله :
« (وَقْدِ نَقْضُهُ) كذا في الأصل ، ولعلّها (وما نَقْضُهُ) ليستقيم المعنى » .

هذه المقطوعة ينفرد بها الديوان فلا نعثر عليها أو على بيتٍ منها في
مصدر آخر من كتب التراث الأدبي ، وقد وقع فيها من التصحيف ما أفسد
بعض معانيها ، وإن لم يتبّه المحقق إليه : ففي عجز البيت الأول تصحيف
ماسخ لمعناه ، وتصويبه (أَظْهَرَ النِّيَّةَ قَضَدًا) وبه يبرز المعنى المراد ؛ أما

الفعل (حُظُّ) في صدر البيت الثاني فاللغويون مختلفون فيه ، وفي اللسان : « قال الجوهري : لم أسمع لمحظوظ بفعل ، يعني أنهم لم يقولوا : (حُظُّ) ، وقال الأزهري : لِلْحُظِّ فعلٌ عن العرب وإن لم يعرفه الليث ولم يسمعه ! » ولعل قافية البيت (يتعدى) مصحفة وتصويبها (يتحدى) ؛ والبيت الثالث لا يستقيم معناه ، وما يقترحه المحقق في تعليقه (وما نُقِصَتْهُ) مقبول ، وأولى منه في رأينا (وقد أُمَحِّضَتْهُ) وفي اللسان عن الجوهري : « مَحَضَّتْهُ الْوُدُّ وَأُمَحِّضَتْهُ » أي أخلصته وصدقته !

٢ - وفي (ديوان خالد الكاتب) : (ص ٣٨٩) نقرأ مقطوعة رباعية أخرى مطلعها :

عذابي بِعَذْبِ الذِّكْرِ عَذْبِ الْمُقْبَلِ وَمَنْ سَهْمُهُ الرِّيَّانُ مِنْ دَمٍ مَقْتَلِي
والبيت الأخير فيها :

وغالبني من دَمْعٍ عَيْنِي وَاكْفَ جَرَى مِنْهُ مَجْرَى عِبْرَةِ الْمُتَحَلِّ
ويُعلّقُ المحقق على كلمة (الْمُتَحَلِّ) بقوله : « (الْمُتَحَلِّ) كذا فهل أصلها (الْمُتَنَحَّلُ) ؟ الْمُتَحَلِّ : المُدَّعِي ، الْمُتَنَحَّلُ : الشَّيْءُ الْمُتَخَيَّرُ » ومن هذا التعليق ندرك أن المحقق اهتدى بإرشاد من الوزن والقافية إلى الصيغة الْمُصَحَّفَةُ ، وهي (الْمُتَفَعَّلُ) وكان على ثقافته الأدبية أن يوصله إلى (الْمُتَنَحَّلُ) الشاعر الهذلي الجاهلي المشهور بِمِراثِهِ لابنه المقتول أثيلة ، وبدموعه الغزيرة التي سكبها حزناً عليه ، كقوله : (ما بال عينك تبكي دمعها خَضِيلٌ) وقوله :

(فانهلّ بالدمع شؤوني كأنَّ نَ الدمع يستبدرُ من مُنْخَلٍ)
إلخ ..^(١) وخالد الكاتب يضرب المثل بعبرة الْمُتَنَحَّلِ الهذلي لذلك ، ولكن

(١) انظر أشعار الْمُتَنَحَّلِ الهذلي في (ديوان الهذليين) القسم الثاني ، وانظر (الأغاني) : ١٠٣/٢٤ (ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

المحقق قفز إلى (الْمُتَنَحِّل) والشيء المتخير ، فضل الطريق !

٣ - وفي (ديوان خالد الكاتب) : (٣٣٦ - ٣٣٧) نفع على المقطوعة الرشيقة التالية :

يا عينُ كم أدعو عَليَّ لك ولا يُريحُ اللهُ مِنْكَ
ما كان أفقرني إلى قلبي وأغنى القلبَ عَنْكَ
كم خُتِنِي وَخَذَلْتِ قَلْدُ بَأْ لم يُخْنِكْ ولم أُخْنِكْ
يا لَيْلَةً بل لَيْلِي لم أأْمَنِكَ وما أتا مِنْكَ

ومن تعليقات المحقق على الآيات نعلم أن البيت الأول وحده في (الأغاني : ٢٣ / ٢٠٩) وأن الديوان ينفرد برواية الآيات الباقية ، ويقول المحقق في التعليق على البيت الرابع :

« (وما أتا منك) كذا » فندرك أن التصحيف الشامل في صدر البيت لم يستوقفه بغموضه وفساد معناه ، فلم يُشر إلى ذلك في الحاشية ، واكتفى بالإشارة إلى القافية وحيرته في الاهتداء إلى وجه الصواب فيها ، وتصحيح البيت كله :

يا لَيْتَهُ بل لَيْتَنِي لم أأْمَنِكَ وَيَأْمَنُكَ
وبه يزول الغموض ، ويتضح المراد ، ويتصل معنى البيت الأخير بمعاني الآيات في المقطوعة ، ويُلَخَّص فكرتها العامة .

٤ - وفي (ديوان خالد الكاتب) : (ص : ٣٣٨) نجد المقطوعة التالية :

سألِمَ الجسمَ لا عَدِمْتَ رُقَادَكَ وَتَمَكَّنْتَ ما حَيْثَ رُقَادَكَ
ارْحَمِ الْمُبْتَلَى الكَيْبَ الذي يَشُدُّ كَسُو إلى اللهِ وَجَدَهُ وَبِعَادَكَ
كن رؤوفاً بهِ وأنعمْ عليهِ وَخَفِ اللهَ واذْكُرَنَّ مَعَادَكَ
ثُمَّ عُدَّهُ ولو يَكُونُ - ولا كُنْ - سَ - سَقِيّاً ، كان يَكُونُ بَعَادَكَ

وهي مما يتفرد الديوان بروايته ، ونجد المحقق يكتفي بنقل ما في الأصل المخطوط بأمانة ، مع التعليق على البيت الأول بهذه الحاشية : « (رُقَادُكَ) » كذا في العروض والضرب ، وعلى البيت الرابع بحاشية ثانية : « كذا العجز » ، ومن هاتين الحاشيتين ندرك أن المحقق يُعلن حيرته وقصوره عن تصويب التصحيف الماسخ للمعنى في البيتين ، ويُنبّه قارئه إليه ؛ فإذا أعلّمنا الفكر وراعينا رسم الحروف وظلال المعاني التي نلمحها من وراء الكلمات المسوخة في البيتين صححناها كما يلي :

سالم الجسم لا عدمت رَشَادُكَ وتَمَلَّيْتُ ما حَيْثُ رُقَادُكَ

.....

.....

ثُمَّ عُدُّهُ وَلَوْ تَكُونُ - وَلَا كُنْ - تَ - مَقِيماً كَمَا يَكُونُ لَعَادُكَ

وبهذا التصحيح يبرز المعنى المراد في البيتين ويزول غموضه .

٥ - وفي (ديوان خالد الكاتب) : (ص ٣٤٢ - ٣٤٥) تُطالِعُنَا واحدةً من قصائد المديح القليلة في شعره^(١) ، لنقف عند الأبيات السبعة الأولى منها ، وكلُّها في النسيب :

عَيْنٌ بِهَا مِنْ دَمْعِهَا كُحْلٌ	يكفحها عن نومها شُفْلٌ
أَنِسْتُ مَسَاقِيهَا بِعَبْرَتِهَا	فَكَأَنَّ عَبْرَتَهَا لَهَا شَكْلٌ
تَبْكِي عَلَى قَلْبٍ أَضْرُ بِهِ	طَوْلُ الْهَوَى ، وَيَبَانُهُ الْوَضْلُ
مُسْتَشْمِرٍ حُرْقاً مَخِيْمَةً	بَيْنَ الضُّلُوعِ كَأَنَّهَا النَّبْلُ
خَيْرَانَ مِنْ شَوْقٍ إِلَى رَشَاءٍ	يَحْظِي بِهِ الْإِخْلَافُ وَالْمَطْلُ
مَلَكَ الْقُلُوبَ بِطَرْفٍ سَاجِرَةٍ	حَوْرَاءَ صَنْعَةٍ لَحْظِهَا الْخَبْلُ
يَرْتَوِي بِهَا قَمَرٌ تَضُمُّنُهُ	غُصْنٌ يَنْوُو بِقَعْدِهِ الْقَتْلُ

(١) انظر مقالتنا (شاعر عباسي ذاتي : خالد بن يزيد الكاتب) في مجلة (المعرفة)

الدمشقية : العدد : ٣٦ (شباط ١٩٦٥) ص : ١٢٠ - ١٢٧ .

ونقرأ تعليقات المحقق على الأبيات بأرقامها في الحواشي :

- ١ - (يكفحها) في الأصل : (يكفخها) .
- ٢ - (شكل) : شبه ومثل ومناسب .
- ٣ - (وبيأته الوصل) كذا .
- ٤ - (حرقاً) في الأصل (خرقاً) تصحيف ، و (النبل) في الأصل : (التبل) .
- ٥ - (الإخلاف) في الأصل : (الأخلاق) تحريف .
- ٧ - (يبعده القتل) كذا .

ومن هذه التعليقات يتبين لنا أن جهد المحقق اقتصر على تصويب التصحيف في البيتين الرابع والخامس ، واجتهد دون جدوى في تصحيح التحريف في البيت الأول فجاء بكلمة (يكفحها) التي لا يقبلها الوزن ولا المعنى ، واكتفى بإعلان حيرته بوضع كلمة (كذا) في التعليق على الأخطاء الأخرى ، وترك للنقاد والقراء أن يحاولوا الاهتداء إلى أوجه الصواب فيها ، وفيما يلي ثمرة محاولتنا المتواضعة ، ورجاؤنا أن يحالفنا التوفيق فيها :

- | | |
|-----------------------------|-------------------------------------|
| ١ - عينٌ بها من دمعها كُحلٌ | وَبَجَفْنِهَا عَنْ نَوْمِهَا شُغْلٌ |
| ٣ - تبكي على قلبٍ أضُرَّ به | طُولُ الهوى وَتَبَا بِهِ الوصلُ |
| ٧ - يرزوها قمرٌ نُضْمَنُهُ | غُصْنٌ يَنْوِي بِعَدِهِ الْقَبْلُ |

والتصحيف في عجز البيت الأخير من أعوص التصحيف في الديوان ، والشاعر يكني بالبعد والقبل عن الردف والخصر ، وهو يكرر هذه الكناية في موضع آخر من الديوان (ص : ٣٦٨) فيقول في وصف المحبوب :

مثالٌ نُورٍ يمشي به غُصْنٌ يعجزُ عن حَمْلِ بَعْدِهِ الْقَبْلُ

ولم يفتن المحقق إلى الكناية فيه لأنه نقل بأمانة تامة رواية الأصل المصحفة : (بعده الفيل) وعلق عليها في الحاشية : « كذا ! » ، مُعلناً قصوره أيضاً عن الاهتداء إلى التصويب ! وكذلك يُصبح التعليق بـ (كذا) وسيلة سهلة وسريعة لتخطي مواطن المشكلات في ديوان خالد - وما أكثرها - ويفقد التحقيق جانباً كبيراً من قيمته ، ويحكم على الديوان بالحاجة إلى تحقيق جاد من جديد !

٦ - وللتدليل على صحة هذا الحكم على الديوان المطبوع نُقدم بإيجاز كبير أمثلة أخرى للتصحيف والتحريف فيه ، مما لم يهتد المحقق إلى تصويب الأخطاء فيها ، واكتفى حيناً بالتعليق بـ (كذا) في الحاشية ، واجتهد حيناً في البحث عن تصحيح مقبول فلم يُسعه التوفيق في اجتهاده ، وتغافل أحياناً عن التنبيه على كثير من الأخطاء فلم يقف عندها ولم يعلق عليها في الحواشي :

أ - في الصفحة : (١٥٥) من الديوان هذا البيت :

يا قَرَبَهُ حَلَفَ الذَّنوبُ وتناقصت فيه القلوبُ
وعلق عليه في الحاشية : « (حَلَفَ) كذا ، فهل أصلها
(خَفَ) ؟ وتصويبه :

يا مَنْ بِهِ حَلَّتِ الذَّنوبُ

ب - وفي الصفحة (١٦١) من الديوان هذا البيت أيضاً :

يا مُقْلَةً سوف أبكيها ويا كبدًا بها أنيط الهوى والشوق فاحترقت
وعلق عليه : « الأصل (لعاط) تحريف ، ولعل الصواب ما أثبتناه ،
ولكن التصويب الذي يُقربنا من رسم الكلمة هو : (بها أحاط الهوى
والشوق فاحترقت !) .

ج - وفي الصفحة (١٧٧) هذا البيت :

كيف لي أن أراك قبل مماتي منك يا من أجبه ما أريد
ولم يعلق عليه بشيء ، وكأنه غافل عن التحريف في صدره ، وقد
أفسد معنى البيت كله ، وتصويبه :

كيف لي أن أنال قبل مماتي

د - وفي الصفحة (١٨١) هذا البيت :

بواته كيف الوصا لُ فقال لي : هل من مزيد
وعلق عليه « (بواته) كذا .. ولعلها بدأته ... » والتصويب الذي
غُم عليه أمره واضح وقريب :

بَوَاتُهُ كَنَفَ الوصا ل

هـ - وفي الصفحة (٢٠٥) هذا البيت :

ينام من لا سهرت عينه فَبَدَّهَا يخشى يكن راقدا
وعلق عليه : « (يكن) كذا ، ولا وجه لجزمه ! » فدلل المحقق على غفلته
عن التحريف في عجز البيت ، وهو من عويص أخطاء الديوان الماسخة
لمعانيه ، وتصويبه : (فحيثما يُنسى يكن راقدا) .

و - وفي الصفحة (٢٦٣) هذا البيت :

يا ليلة الوصل إني شاكرٌ أبداً فبالزيارة يُجزى كلُّ من شكرا
ولم يعلق على البيت بشيء ، ولم يستوقفه التصحيف في كلمة
(فبالزيارة) الذي أفسد معناه ، وقطع الصلة بين صدره وعجزه ؛ وتصويبه
(فبالزيارة) يُجزى الشاكرون ، وفيه تضمينٌ لمعنى الآية الكريمة : ﴿ لئن
شكرتُم لأزيدنَّكم ﴾ (سورة إبراهيم : ٧) وهذا التصويب يتألق معنى
البيت ويُشرق بيانه ، وتبرز الصلة بين شطريه .

ز - وفي الصفحة (٣٠٦) هذا البيت ، مع سابقه لصلته بمعناه :

يا مَنْ وَفَى قَلْبِي لَهُ وَتَضَمَّنْتُ نَفْسِي لَهُ مِقَّةَ الْحَبِيبِ وَمَا وَفَى
 مَا كَانَ صَبْرُكَ حِينَ أَسْمَعَكَ الْهُوَى شَكْوَى الْمُحِبِّ اللَّيْلَ أَنْ تَتَعَطَّفَا
 وَلَمْ يُعَلِّقْ عَلَى الْبَيْتِ الثَّانِي بِكَلِمَةٍ ، وَغَفَلَ عَنْ مِلَاحِظَةِ التَّصْحِيفِ
 فِي صَدْرِهِ (صَبْرُكَ) وَمِلَاحِظَةِ التَّحْرِيفِ فِي عَجْزِهِ (اللَّيْلَ) وَلَمْ يَنْتَبِهْ إِلَى
 اضْطِرَابِ الْمَعْنَى وَغَمُوضِهِ فِيهِمَا ، وَالتَّصْوِيبُ :
 مَا كَانَ ضَرْكَ شَكْوَى الْمُحِبِّ إِلَيْكَ
 وَفِي الصَّفْحَةِ (٣٩٢) يَقُولُ خَالِدُ الْكَاتِبِ فِي مَدْحِ الْحَسَنِ بْنِ
 وَهَبِ الْكَاتِبِ :

مُذْهَبٌ فِي لُبَابِ الْمُلْكِ أُسْرَتْهُ أَهْلُ الْكِتَابَةِ وَالْأَلْبَابِ وَالْحُلُمِ
 وَيَكْتَفِي الْمُحَقِّقُ بِشَرْحِ كَلِمَةِ (مُذْهَبٌ) فِي التَّعْلِيقِ فَيَقُولُ :
 « مُذْهَبٌ : مَطْلُ بِالذَّهَبِ » ! وَمِثْلُ هَذَا الشَّرْحِ الَّذِي لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ
 وَلَا فَائِدَةَ مِنْهُ لِلْكَلِمَةِ الْمُحَرَّفَةِ يَخْدَعُ الْقَارِئَ وَيَصْرِفُهُ عَنِ الشَّكِّ فِي تَحْرِيفِهَا ،
 وَيَدُلُّ عَلَى الْقُصُورِ وَالْعَجَلَةِ وَالِاسْتِخْفَافِ بِمُهْمَةِ التَّحْقِيقِ وَوَعْيِ الْقُرَّاءِ فِي
 أَنْ مَعَاً ، وَتَصْوِيبِ الْكَلِمَةِ (مُهْذَبٌ) وَهَذَا اللَّوْنُ مِنَ التَّحْرِيفِ بِتَقْدِيمِ
 حَرْفٍ عَلَى آخِرِ مَأْلُوفٍ مِنَ النَّسَاجِ ، وَتَصْحِيحِهِ سَهْلٌ وَيَسِيرٌ !.

ط - وَفِي الصَّفْحَةِ (٤١٠) هَذَا الْبَيْتُ مِنْ مَقْطُوعَةٍ رُبَاعِيَّةٍ :
 وَالَّذِي أَهْوَى يَمِينِي وَكَفِّي بِالَّذِي أَهْوَاهُ عِنْدِي سَقْمَا
 وَتَعْلِيقُ الْمُحَقِّقِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : « (السَّقْمَا) الْوَارِدَةُ فِي بَيْتٍ آخَرَ مِنْ
 هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ : إِيْطَاءُ ! » يُوَكِّدُ سَهْوَهُ عَنْ مِلَاحِظَةِ التَّحْرِيفِ فِي الْكَلِمَةِ ،
 وَهُوَ مِنَ اللَّوْنِ الْمَأْلُوفِ كَمَا قُلْنَا فِي الْمَثَلِ السَّابِقِ ، وَتَصْوِيبِهِ : (قَسْمَا) وَكَلِمَةُ
 (يَمِينِي) فِي صَدْرِ الْبَيْتِ تَقْتَضِي هَذِهِ الْقَافِيَةَ لَهُ ، وَأَصْحَابُ الْبَدِيعِ
 يَتَحَدَّثُونَ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْقَافِيَةِ فِي بَابِ (الْإِرْصَادِ أَوْ التَّسْهِيمِ أَوْ التَّرْشِيعِ
 إلخ ..) (الْعَمْدَةُ : ٣٠/٢ - ٣٣) وَبِزَوَالِ التَّحْرِيفِ اسْتَقَامَ مَعْنَى الْبَيْتِ :

فخالد يُقسم بمن يهوى وكفى به قسماً .

ي - وفي الصفحة (٤١٢) هذان البيتان من مقطوعة رباعية :

حَلٌّ من القلبِ في الصميم محلٌّ مُستَوِطٍ مُقيم
من حَلٍّ حُسناً بدون حتى دقُّ عن الحسن والنسيم

وعلق المحقق على البيت الثاني بقوله : « (حلٌّ) كذا ، ولعلها (جلٌّ) . (بدون حتى) : كذا ، ولكن هذه المقطوعة لم ينفرد بها الديوان ، وهي في (طبقات الشعراء) لابن المعتز (ص : ٤٠٥) ولم يعثر المحقق عليها ، ولو فعل لأفاد منها في تصويب البيت :

من جَلٍّ حُسناً ودقُّ حتى دقُّ عن الحسِّ والنسيم

ورواية الطبقات (عن اللحظ والنسيم) ولعل تصويبنا لرواية الديوان هنا أولى ، والمقطوعة يعزوها ابن المعتز إلى محمد بن القاسم الدمشقي ، وجاءت أخبار خالد بن يزيد الكاتب بعدها مباشرة عنده ، مما يدعو إلى الشك في صحة نسبتها إلى الدمشقي ، واحتمال انتقالها إلى أخباره ، من أخبار خالد التي تلوها في الصفحة المشار إليها من (طبقات الشعراء) .

هذه الوفرة من أمثلة التصحيف والتحريف في أشعار ديوان مطبوع عن نسخة فريدة تُظهرنا على الصعوبة البالغة في تحقيق نصوصها ، فإذا لم يكن المحقق مؤهلاً تأهيلاً كاملاً لتذليل العقبات والتغلب عليها بالأناة والصبر والتبصر وسعة الاطلاع والخبرة غدت عملية التحقيق على يديه شيئاً عقيماً لا فائدة منه ، ولا بُدُّ للغيرين على التراث من التصدي لعمله والكشف عن مساوئه وعيوبه ، والدعوة إلى إعادة التحقيق للكتاب من جديد لتخليصه من التشويه ، وتقويم أخطائه ، وتقديمه إلى القراء ، بعد بذل أقصى الجهود الجادة ، في أصح صورة له ممكنة وأسلمها .

- ١٠ -

ومهما يكن فإن الجهود الجادة في التحقيق تعجز أحياناً عن تصويب العويص من التصحيف وتصحيح الغريب من التحريف ، في النصوص التراثية التي لم يصل إلينا منها غير نسخة وحيدة عبث بها الناسخ الماسخ وأفسدها ، فهذا لون من التصحيف والتحريف يتطلب تضافر العلماء المتمكنين المؤهلين ليضطلعوا بتصحيحه ويشاركوا في تحمّل ذلك العبء الثقيل على كاهل الأفراد من المحققين ، ويدّ الله مع الجماعة ، وفيما يلي أمثلة على ذلك :

١ - في (ديوان بشار بن برد) : ٣٣٥/٢ الذي حقّقه وشرحه الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور ، شيخ جامع الزيتونة بتونس ، والذي راجعه عالمان من مصر وعلّقا عليه ووفقا على طبعه ، هذان البيتان من قصيدة طويلة يمدح بها بشار سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي ، ويتحدث عن معارك أبيه قتيبة الفاتح العظيم وغزوه بفرسانه أطراف الصين :

قَادَ الْجُنُودَ مِنَ الْبُصَيْرَةِ لِلْعِدَا حَتَّى وَقَعَ بِصَيْنٍ ثَغْرَ قُودَا
خَيْلاً مُخَفَّفَةً وَخَيْلاً حُسْرًا لَا يَغْتَلِجْنَ مَعَ الشُّكَايِمِ عُودَا

وشرح المحقق في تعليقه على البيت الأول كلمة (البصيرة) : تصغير البصرة و(صين ثغر) : موضع لم ايرد ذكره في ياقوت ولا في كتب التاريخ ، والظاهر أنه من ثغور الصين ، وهي فرغانة التي فتحها قتيبة أو كاشغر .. والأظهر أن يكون مركباً مزجياً ، فتكون نون (صين) مفتوحة وتنوين (ثغر) للضرورة ! كما شرح المحقق كلمة (قودا) : جمع أقود وهو الفرس المنقاد المذلل وأضاف المعلقان المصريان أن نون (صين) مكسورة في المخطوطة وفي نسخة الشارح بالفتح ، واكتفيا بذلك .

وقرأ الناقد الدكتور شاكر الفحام البيت فاستوقفه التحريف في

صدره وعجزه ، وبذل جهداً حميداً في الوصول إلى وجه الصواب في كليهما ، فقال في (نظراته في الديوان : ص ١٢٣) : « كلمة (الجنود) في صدر البيت مُحَرَّفة عن (الخيول) يدل على ذلك قوله (وقعن ... قودا) في العجز ، فتون النسوة التي أسند إليها الفعل وقع ، لا تصح أن تكون ضمير الجنود ، والقود من صفات الخيل لا الجنود ، وبهذا التصحيح يستقيم مطلع البيت الثاني (خيلاً ... وخیلاً ...) لأنها بدلٌ من الخيول التي وردت في البيت الأول ، وكلمة (ثغر) في عجزه يُخَيَّلُ إلى أنها مُحَرَّفة عن كلمة (بغر) أو (بغير) « ويقول الناقد في موضع آخر من (نظراته في الديوان : ص ١١٨) : « وكلمة (بغير) أو (بغير) كانت تعني الأرض المترامية الأطراف في المشرق ، فيما بعد وراء النهر ، حتى تبلغ تخوم الصين » .

أما البيت الثاني فقد جاء في شرح المحقق له : « (مُخَفَّفة) أي مجعول لها خفاف جمع خُف ، وهو جلد يُلَفُّ فيه حافر الفرس إذا خيف عليه التورم من كثرة المشي ... و (الحُسْر) : جمع حاسر ، وهو الذي سار حتى غَيِيَ ... وقابل المُخَفَّفة بالحُسْر لما يتضمَّنه معنى الحسر من الاحتياج إلى جعل الخفاف لها ؛ ويعتلجن : يعالجن ، يقول : إنهنَّ لإعيائهن لا يحتاج الراكب أن يضيق عليها الشكائم بأعوادٍ في الأفواه تزداد في اللجم للخيول الشديدة ! » ولم يجد المعلقان المصريان بعد هذا الشرح ما يقولان ... ولكن الناقد وجد ما يقوله ، وقد استوقفه التصحيح في كلمة (مخففة) وأعانه جهده الصابر وثقافته على الاهتداء إلى تصويبه ، فصحة الكلمة (مُجَفَّفة) ، ففي اللسان « فرسٌ مجفف ، عليه تجفاف ، وتجفيف الفرس : أن تُلبسه التجفاف الذي يوضع على الخيل من حديد أو غيره في الحرب » وفي أساس البلاغة : « جفف أهل الحرب : صنعوا التجافيف » وفي تاريخ الطبري : « وإنَّ معه لمجففة أمامه » وينتهي الناقد إلى القول :

« وبذلك يتألق معنى بشار الذي يصف به قوة القائد العظيم فاتح بلاد الترك ، وحسن تأهبه للقاء أعدائه ، وتمُّ له الصنعة الجميلة التي كان يُزَيِّن بها أشعاره » .

وهكذا نرى أن التحريف والتصحيف في بيتي بشار هذين احتاج تصحيحهما إلى تضافر جهود عدد من العلماء المتمكنين من الأقطار العربية (من تونس ومصر وسورية) ولولا ذاك لما أمكن تقويم أخطاء البيتين والاهتداء إلى حقيقة ما أراد الشاعر أن يقول فيهما .

٢ - ومثال ثانٍ على عويص التصحيف في ديوان بشار أيضاً :
(١٤٤/١) ومساهمة ناقد سوري آخر هو الدكتور محمد حموية في كشف غموضه ، بعد الجهد الذي بذله شارح الديوان ومحققه التونسي ، ومراجعة المعلقين المصريين الفاضلين للديوان وشرحه عند طبعه ، والحق أن (نظرات الدكتور الفحام في ديوان بشار) حرّكت الدارسين على موالاة العناية بديوان بشار لتخليصه من الآفات والأخطاء وألوان التصحيف والتحريف التي يغص بها ، لما قدمناه من الكلام على عبث الناسخ بالديوان حتى كاد يصير غلطاً صرفاً ، وكتب الدكتور حموية (ملاحظات على ديوان بشار) في مجلة المجمع بدمشق (المجلد : ٦٠ / الجزء الثالث والرابع لعام ١٩٨٥) وقد سار فيها على نهج أستاذه الدكتور الفحام في (نظراته) وفيما يلي إحدى ملاحظاته (ورقمها : ١٧ - مجلة المجمع : ٦٠ / ٥٩٠ - ٥٩١) على خاتمة أرجوزة لبشار بمدح بها عُقبة بن سلم وقد جاء فيها :

إني من الحبسِ على اكتسابِ
فاحسم تَبَيًّا أو تُبَيْلُ ما بي
ولا يَكُنْ حَظِّي انتظارَ البابِ

كما جاء في تعليق الشارح قوله : « (تَبَيًّا) : أصلها تَبَيًّا ، أي تَبَيَّن ، أو يقال : يَبَّأَكَ اللهُ ، أي قَرَّبَكَ إِلَيْهِ وأنعمك » ولم يجد المعلقان

المصريان ما يضيفان إلى شرح الشارح المحقق ، وقد استوقف التصحيف في قول بشار : (فاحسم تبيّا أو تُنيل ما بي) الناقد عنده وحكم بأن في هذا القول : « أعوص تصحيف وأغمضه في الديوان كله ، لأنه ليس في اللفظ ما يُرشد إلى معناه .. والصواب فيه : (فاحسم بتيّاً أو بتيّك ما بي) وتيّاً وتيّك : اسما إشارة ، ولا بد من شرح المعنى حتى يتّضح المراد ، وتلخيص المعنى المراد هنا أن بشاراً يستنجز عُقبة (الممدوح) وعداً بالعطاء ، ولكنه أطال حبسه (مُكثّه) على بابه دون انجاز ، فتضايق بشار من هذا المطل ، فطلب من ممدوحه أن يحسم الأمر إمّا بنعم وإمّا بلا ، ف (تيّاً وتيّك) اشارتان إلى (نعم ولا) ، وقد استعمل بشار هذا المعنى بهذين اللفظين في شعره فقال : (١١٩/٣) :

صِدْقُ الْبَخِيلِ يَسُرُّنِي	وَيَسُوءُنِي كَذِبُ الْجَوَادِ
إِنِّي لَأُنْجِزُ مَا وَعَدْتُ	ثُ عَلَى الطَّرِيفِ فِي الثَّلَادِ
وَإِذَا سُئِلْتُ أَتَيْتُهَا	ضَرَبَ الْأَمِيرُ طُلَا الْأَعَادِي
إِمَّا بَتِيّاً أَوْ بَتِيّاً	سُكَّ وَرَاحَةً تَرُكُ الْكَدَادِ

إلخ ... » وأشار الناقد إلى أن البحري أفرد لهذا المعنى باباً في حماسه (الباب الخامس والثمانون) وهو معنى مطروق ، فالممدوح مطالب بأن يحسم الأمر (إمّا بنعم وإمّا بلا) ولا يدع الشاعر ينتظر طويلاً على بابه ، يستنجزه وعده بالعطاء ، فترك الإلحاح راحة ، واليأس إحدى الراحةين كما يقولون .

٣ - وفي (نكت الهميان في نكت العُميان) للصفدي (ص ٢٩٢ - ٢٩٣) الذي حققه ووقف على طبعه الأستاذ أحمد زكي نقرأ خبراً عن الشاعر المصري الأعمى موفق الدين العيلاني (٥٤٤ - ٦٢٣ هـ) وهجاء ابن المنجم له ، فقد « كان موفق يقرأ في مسجد كهف الدين طُغان ، فكتب ابنُ المنجم إليه :

يا كهف دين الله يأوي له فتية كهف قط لم يكفروا
لا تظلم الاستبطل في كفهم فهو يسب الناس مستهتر
ولا تقل دعه يكن كلبهم فكلب أهل الكهف لا يعقر
فطرده طغان من المسجد .

نقرأ الخبر فيستوقفنا اختلال الوزن في صدر البيت الثاني ، ونعجب من سهو المحقق عنه وإغفال التعليق بحاشية عليه ، ففي هذا الشطر وحده أكثر من تصحيف وتحريف : وربما كان فيه أعوص تصحيف أو أغمض تحريف في الكتاب كله : فكلمة (الاستبطل) محرقة عن (الإسطيل) وهذه الكلمة في معاناة التصحيف والتحريف تاريخ طويل ، ومعناها (الأعمى) وقد ذكرها الجاحظ في (البخلاء : ٣٩ و ٤٥) وهو يُعدّد أصناف المكذّبين (الشحاذين) وتولّى بنفسه شرحها فقال : « الاسطيل : هو المتعمى : إن شاء أراك أنه مُنخسف العينين ، وإن شاء أراك أن بهما ماء ، وإن شاء أراك أنه لا يُصر »^(١) ، وذكرها الثعالبي في اليتيمة (٣٥٩/٣) في تفسيره لبيت من القصيدة الساسانية جاء فيه (سَطْل) فقال : « سَطْل : إذا تعامى وهو بصيرٌ ، يُقال للأعمى : الإسطيل » وفي بيت آخر من تلك القصيدة يقول : « (اليتيمة : ٣٦٦/٣)

ومنا كل إسطيل نقيّ الدهن والفكر
الأسطيل : الأعمى ، وجاء في (شفاء الغليل) للخفاجي : (ص ٦١) : « الاصطيل بلغة أهل الشام : الأعمى » وهو ينقل شرح الكلمة عن (نكت الهميان) : (ص ١٠٣) الذي صُحّفت فيه الكلمة فصارت (الاسطيل) في خبر مشهور عن المعري في بغداد ، حين قصد العالم النحويّ عليّ بن عيسى الرّبعي ليقراً عليه ، فلما أدخل عليه قال له : ليصعد

(١) وانظر أيضاً (المحاسن والمساوي) للبيهقي : ٥٨٣ (نقلاً عن الجاحظ) .

الاسطبل ! (والاسطبل في لغة أهل الشام الأعمى) فخرج المعري مُغضباً ولم يعد إليه ! وأصبحت كلمة (الاسطبل) أو (الاصطبل) من التصحيفات السائرة تقع عليها في كل كتاب ينقل حادثة المعري مع الرَّبَعِيِّ^(١) خلال العصور ، والعلماء الاجلاء الذين تولوا جمع تراجم أبي العلاء بإشراف الدكتور طه حسين في كتاب سَمُوهُ (تعريف القدماء بأبي العلاء) وقد صدر في عام ١٩٤٤ بمناسبة المهرجان الألفي لأبي العلاء ، لم ينتهوا إلى التصحيف في الكلمة فنقلوها مُصحَّفةً خمس مرات (ص : ١٦ ، ٧٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨٧ ، ٥١٦) إلى أن تمَّ تصحيحها في (المعجم الوسيط) فقيه :

« الاصطيل : الأعمى ، خاطب بها الشريف المرتضى أبا العلاء في بغداد » (باب الهمة من المعجم الوسيط : ١٩/١) وأشير فيه إلى أنها لفظ دخيل ، دخل العربية دون تغيير من اللفظ الأجنبي ؛ وعرض الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر لذلك في كتابه (أباطيل وأسمار)^(٢) ، غير أن الكلمة في بيت ابن المنجم ازدادت تحريفاً وتشويهاً ، فغدت (الاستبطل) وتهشم بها الوزن ، وتصحيحها يترن البيت ، ولكن المعنى يظل غامضاً (لا تظلم الاسطيل في كفهم) وكلمة (تظلم) قلقة وليست في موضعها ، فكيف يُطالب الشاعر بالعدل مع الأعمى وهو يهجوهُ ، ويُخيَّل لي أن في الكلمة تحريفاً ، وأن كلمة (كفهم) خطأ مطبعي صوابه (كهفهم) يُعين على تصحيح التحريف :

(١) انظر ترجمة المعري في (نزهة الألباء) لابن الأنباري ، و(الانصاف والتحري) لابن العديم ، و(معجم الأدباء) لياقوت و(نكت الهميان) و(الوافي بالوفيات) للصفدي ، وهي كلها في كتاب (تعريف القدماء بأبي العلاء) .

(٢) هذا إن لم تخني الذاكرة ، وقد بعد عهدي بالكتاب ، ولا أجده تحت يدي

لا تُنظَّم الاسطيلَ في كهفهم

وبهذا التصحيح يزول غموض البيت ويتَّسق معنى الأبيات الثلاثة :
فالشاعر يسأل أن يُطرد الشاعر الأعمى من مسجد كهف الدين طُغان ،
ويُحرَّض صاحب المسجد لكيلا يدعه يقرأ فيه مع الطلبة الآخرين ،
فهؤلاء الطلبة مثل فتية الكهف ، الذين آمنوا برَّبِّهم ولم يكفروا به أبداً ،
والأعمى ليس جديراً بالانضمام إليهم ، والانتظام في سلوكهم لأنه سبَّابٌ
للناس ، وهو ليس جديراً بأن يكون بمنزلة الكلب الذي رافق أهل
الكهف ، لأن كلَّهم ذاك كان وديعاً مُسالماً لا ينهش الناس ولا يجرحهم
ولا يؤذيهم ، وقد استمع طُغان إلى نصيحة الشاعر فطرد الأعمى من
مسجده !.

٤ - والأمثلة على هذا اللون من التصحيف العويص والتحريف
الغامض في كتب التراث الأدبي المحققة لا تنتهي ، فإذا اقتصرنا على تقديم
أمثلة أخرى من (ديوان بشار) و (نكت الهميان) أدركنا حاجة التراث
إلى تخليصه من تلك الآفات بجهد جماعي يُشارك فيه كل ذي قدرة وخبرة
من العاملين في ميدان التحقيق ، فهذا ديوان بشار بعد الجهود المضنية التي
بذلها الشيخ الجليل ابن عاشور وأعانه من أعانه على مراجعة التحقيق من
العلماء بمصر ، وبعد المساهمة الجادة لتصحيح الديوان المطبوع الذي يغصُّ
« بألوان من التصحيف والتحريف » (مجلة الجمع بدمشق : المجلد
٦٠ / ٦٠٠) من قبل عدد من العلماء الغيورين على التراث في سورية ،
« ما زال يفتقر إلى تضافر العلماء ليضطلعوا بتصحيحه » كما يقول بحق
الدكتور شاكر الفحام في نظراته (ص : ١٦) فالديوان ما زال بحاجة إلى
من يتصدى للكشف عن عويص تصحيفاته وتحريفاته الكثيرة ، من أمثال
قول بشار : (٥٨ / ٢)

حلفتُ بمن حجَّ المُلبُّون بيَّه وبالخيفِ والرَّامين للجمراتِ

لتقيلُ خَدَّيْهَا ومَصْرُ لِسَانِهَا أَلَدُّ مِنَ الْبَاكِينَ فِي عِرْفَاتِ
وكان ابن عاشور - رحمه الله - أشار إلى اختلال المعنى في البيتين
وغموضه في التعليق عليهما فقال : « ليس البكاءُ في عرفات من اللذات ! »
فهناك دون ريب تصحيف ماسخ للمعنى الذي أراده بشار ، ينتظر همة
النقاد والدارسين لتصويبه ؛ ومثل هذا المثال في ديوان بشار كثير !

٥ - ومن (نكت الهميان) : (ص ١٩٦) هذا المثال من قول ابن
حجاج في أنف الخليفة الطائع ، وكان كبير الأنف :
خليفة في وجهه رَوْشَنٌ خَرَبَشْتُهُ قَدْ ظَلَّلَ الْعُسْكَرَا
عهدي به يمشي على رِجْلِهِ وَأَنْفُهُ قَدْ صَعِدَ الْمُنْبِرَا
وانتبه المحقق الأستاذ أحمد زكي إلى التصحيف في كلمة
(خَرَبَشْتُهُ) واكتفى بالتنبيه عليه بهذا التعليق في الحاشية : (كذا في
الأصول) لكي يُجَرَّبَ غيرُه حظُّه في تصحيحه ، وقد ورد البيتان في :
(فوات الوفيات : ٦/٢) ولكن محققه الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد
لم ينتبه إلى التصحيف العويص ولم يُنبِّه عليه^(١) !

والحق أن التصدي لهذا اللون الصعب من التصحيف والتحريف
العويص والغامض يتطلب من القادرين عليه حظاً كبيراً من الكفاية
والدراية ، والفطنة والذكاء ، والتضحية والصبر ، والتضامن والتعاون ، لبلوغ
الغاية ، وقد قلنا - ونعاود القول - إن العمل الجاد في هذا الميدان عبء
ثقيل ينوء بالعصبة أولى القوة ، ولكن ما لا يُدرك كُله لا يُترك جُلُّه .

- ١١ -

ونصل الآن إلى لون آخر من التصحيف والتحريف : فهناك

(١) انظر نقد الأستاذ الدكتور مصطفى جواد لهذه الطبعة من (فوات الوفيات) في

مجلة المجمع بدمشق (المجلد : ٢٧٢/٤٣ - ٢٩٥) .

نصوص تراثية مشهورة يتناقلها الرواة جيلاً بعد جيل ، ولا يرون خطأ فيها ، ويحفظونها المتأدبون لأنها من ماثور ثرائنا الأدبي ، وننظر فنجد من يدّعي حدوث التصحيف أو التحريف فيها ، ويُقدّم التصويب الذي يرى فيه تصحيحاً للخطأ السائر المتداول .

ونورد فيما يلي ثلاثة أمثلة على ذلك ، من مشهور شعر بشار وأبي نواس والبحري :

١ - في (مختارات أحمد تيمور) : (ص : ٦٩) التي انتقاها من طرائف روائع الأدب العربي فائدة منقولة عن كتاب (تثفيف اللسان) للقاضي عمر بن مكي الصقلي النحوي :

« باب التصحيف : ... ومن ذلك قولُ بشار :

يا قومُ أذني لبعضِ الحيِّ عاشقةٌ والأذن تعشق مثل العين أحياناً
يقولون : (قبلَ العين) والروايةُ (مثل العين) ويدلُّ على ذلك الذي بعده :

قالوا: يَمَنُ لا ترى تهذي فقلتُ لهم الأذن كالعين تُوفي القلبَ ما كانا
فقلّوه : (الأذن كالعين) يشهد له (مثل) لأنَّ معنى الكاف ومعنى مثل واحد .

٢ - وفي كتاب (مع المصادر في اللغة والأدب) للدكتور إبراهيم السامرائي : (٢٧٩/٣ - ٢٨٠) نجد تعليقاً على بيت أبي نواس المشهور في مدح الأمين محمد بن هرون الرشيد :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بَنَّا بَلَقْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرُّجَالِ حَرَامٌ
جاء فيه : « أقول : هذه هي قراءة البيت .. في الديوان وسائر الكتب التي أثبتت القصيدة ، غير أن الدكتور مصطفى جواد قال : والصواب : (فظهورهنَّ على الرُّحال حرام) أي الرُّحال جمع رَحْل ، وليس

الرجال جمع رجل ، والمعنى : يجب أن تعرى المطي من الرجال ! «
 ٣ - وفي مقالة للدكتور محمد صبري في (مجلة قافلة الزيت المجلد :
 ١١ العدد الخامس : ص : ١١) عنوانها (منهاجي كمورخ في النظر إلى
 العمل الأدبي) يقول :

« بعض أبيات من أشهر قصائد البحري التي يتدارسها كبار الأدباء
 والنقاد منذ قرون تتضمن أخطاءً كبيرة لم يلتفت إليها أحد كقوله في وصف
 البركة :

تغني بساتينها القصى برؤيتها عن السحاب منحللاً عزَّالها
 (برؤيتها) هنا لا محل لها ، وصحَّحها (برئتها) : يريد أن ماء دجلة أو
 البركة - البحيرة - يُغني البساتين القصى في أرجاء البحيرة عن ماء
 السحاب . «

فهذه التصويبات لا يأخذ المحققون بها لأنها صادرة عن اجتهاد
 شخصي خاص في قراءة النصوص التراثية ، يخالف ما أجمع عليه
 المتقدمون من الرواة وأهل الأدب ونقاد الشعر ، وما حوته النسخ الخطية
 المختلفة من دواوين هؤلاء الشعراء ، وما نقلته عنها كتب التراث الأدبي عبر
 العصور إلى اليوم ، وستظل تلك الاجتهادات الشخصية الخاصة ممثلة
 لوجهة نظر أصحابها في قراءة تلك الأبيات وأمثالها .

- ١٢ -

وقبل أن نصل إلى خاتمة عرضنا لتلك الألوان من التصحيف
 والتحريف لا بُدَّ من التذكير بأننا اخترنا الأمثلة عليها من الكتب الأدبية
 التراثية التي تهاها في نشرها من التحقيق والتدقيق ما يجعل طبعتها علمية
 نقديه ، وقد نهض بتقيحها والإشراف على طبعتها علماء أجلاء عُرف
 أكثرهم بالكفاية والخبرة البصيرة الطويلة والإخلاص في خدمة التراث

وإحيائه ، وتم إصدارها بإشراف المؤسسات العلمية في أرجاء العالم العربي :
مثل دار الكتب المصرية ومجمع اللغة العربية بدمشق وجامعة دمشق وجامعة
بغداد وبعض دور النشر الجادة في مصر وسورية وغيرهما من الأقطار
العربية ، ولم نعد في اختيارنا إلى المطبوعات التجارية الرديئة التي تُفسد
التراث وتجنّي عليه جناية كبيرة ، وإنا لنأمل أن يعمّ الوعي عند القراء فينبذوا
تلك المطبوعات للحدّ من جشع ناشريها واستغلالهم وعيهم بالتراث
وتشويهم إياه !

وهل نحن بحاجة - بعدما قدمناه - إلى التصريح بأننا في هذه
الصفحات التي حاولنا فيها عرض آفات التصحيف والتحريف على أساس
منهجي تطبيقي لم نرد أن ننال من أحد أو أن نغمز من جانب أحد من
المحققين الأفاضل ، ونحن الذين عرفنا مبلغ التضحية التي يتطلبها العمل الجاد
في خدمة التراث وإحيائه ، فيما نشرنا من كتبه ، وما أعددناه للنشر ،
ونسأل الله أن يعصمنا من الغرور والعجب فلا ننكر على أحد من العاملين
في ميدان التحقيق سهو أو وهم ، وجلّ من لا يسهر ولا يتوهم ! وكيف
نفعل ونحن أولى بتقدير عظيم جهدهم ونبل مسعاهم وسمو مقاصدهم ،
وهم يذلون وسعهم ليستخلصوا نفائس تراثنا العظيم من يد الفناء ،
ويُرمّموا الجوانب المتداعية منها .

نقول هذا لأن كتب الأدب تروي لنا الأخبار عن تجهّم عدد من
كبار العلماء لمن يُنبّههم إلى تصحيف سهواً عن تصويبه ، وعن استئثارهم
من بعد لهم ، مثل ما يحكيه القاضي الأندلسي المنذر بن سعيد البلوطي عن
استئثار أبي جعفر ابن النحاس إياه بعد أن نبّهه إلى تصحيفه لقول المجنون
(بانت وبان قرينها) وكان يُمليه على طلبته (بانت وبات قرينها) فتجهّم
له ، ويقول المنذر : « وما زال يستقلني بعد ذلك » (معجم الأدباء :
٢٢٦/٤ - ٢٢٧) . كما تنقل لنا كتب الأدب أخباراً عن علماء آخرين

يرفضون بعناد قبول التصحيح لتصحيثهم ، ويُصرون على رواية المصحف ، وَيَلِجُونَ وَيَضْجُونَ ويرفعون أصواتهم استكباراً ، وكان ابن الأعرابي واحداً منهم ، وكان يحتج بأنه سمع تلك الرواية - المصحفة - من أكثر من ألف أعرابي ، حتى قال بعضهم : « ما رأيت من أهل العلم أحداً قط أشدَّ عصبيةً من ابن الأعرابي : كان يدع ما يعرف ويركب الخطأ ، ويُقيم في العصبية عليه ! »^(١) .

إلا أن كتب الأدب تروي لنا أيضاً أخباراً كثيرة أخرى عن علماء أجلة آخرين لم يتحرجوا عندما نُبِّهوا إلى تصحيثهم وعمدوا إلى تصحيحه ، ولم يستكبروا عن الاعتراف بخطئهم ، إذعاناً للحق والتزاماً بالصدق والأمانة ، كالذي حكوه عن ابن الأنباري ، وكان آيةً في الحفظ والإتقان ، عندما أُملي حديثاً فصّح في إسناده اسماً ، وكان الدارقطني يومذاك شاباً يحضر المجلس ، فاقرب من شيخه عند فراغه من إملائه ، وعرفه صواب القول في الاسم المصحّف وانصرف ، فلما كان المجلس التالي قال ابن الأنباري للمستملي : « عَرَفَ جماعة الحاضرين أننا صَحَّفنا الاسم الفلائي لما أَمَلينا حديث كذا في الجمعة الماضية ، ونُبِّهنا ذلك الشاب على الصواب ، وهو كذا ، وعَرَفَ ذلك الشاب أننا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال . » (معجم الأدباء : ٣٠٨/١٨ - ٣٠٩) .

إن أمثال ابن الأنباري في إذعانهم للحق وانصياعهم له وقبولهم إياه كثر في تاريخنا والحمد لله^(٢) وإن في سعة صدورهم وسماحة نفوسهم ما يُغري بمصارحتهم بكلمة الحق دونما تحرج أو ترددٍ لبند الخطأ وتعميم الصواب في النصوص التي يرونها ...

(١) (التصحيح والتحريف) للعسكري : ١٨٦/١ .

(٢) في كتاب (التنبيه على حدوث التصحيح) أمثلة كثيرة على ذلك : (انظر

الصفحات : ٦١ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٦ الخ ...) .

ونحن في عرضنا لتلك الألوان المتعدّدة من التصحيف والتحريف
وتقديمنا الأمثلة عليها من الكتب الأدبية التراثية المحققة ، نأمل أن نجد عند
مُحقّقيها الأفاضل تلك الروح السمحة الرضيّة التي واجه بها ابن الأنباري
تلميذه الدارقطني عندما نبّهه على خطئه ، وما الغاية التي نرجوها من كتابة
هذه الصفحات إلاّ المساهمة في تخليص التراث من آفاته ، وتعميم الخبرة
عليه عند العاملين على إحيائه ونشره ، لتضافر جهودهم في التغلب على
المشكلات والصعاب وتذليلها ، والله الموفق .

خاتمة

في ختام هذه الجولة النقدية الطويلة في المكتبة الأدبية ، وبعد مراجعتنا ذلك العدد الكبير من كتب التراث المحققة ، لكي نستعير منها الأمثلة على كل لون من ألوان التصحيف والتحريف التي رصدناها ، يحق لنا أن نتساءل : أليست هناك كتب أدبية تراثية مطبوعة ، تخلو - أو تكاد تخلو - من آفات التصحيف والتحريف ؟ والجواب : بلى ، وإنها لتعدُّ من النفائس ، وقد عُني بتحقيقها عددٌ من الشيوخ الكبار ، ممن كانوا يدركون حقَّ الإدراك قيمة التراث ، وتبعة العاملين على خدمته وإحيائه ونشره ، ويُقدِّرون تمام التقدير شرف المهمة وتُبلِّ الهدف في عملهم ، فبذلوا أسخى الجهود لتقديم نصوص التراث في أصح صورة وأقربها إلى الكمال ، ليُعلموا الأجيال من بعدهم كيف يُوالون المسيرة على نهجهم ، وقليلون هم اليوم القادرون على تحمُّل العبء كما تحمَّله أولئك المحققون الأوائل الأفاضل ، وما عاناه أولئك الرواد المخلصون من المشقات ، وسنظل نذكر بالإجلال والإكبار أولئك الأعلام : من أمثال العلامة الميمني الراجكوتي والشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ الرئيس محمد كرد علي والعلامة عبد الله كنون والدكتور مصطفى جواد والأساتذة الأجلاء الآخرين : مصطفى السقا وحمد الجاسر والعلامة محمود محمد شاكر وغيرهم وغيرهم ، ومنهم من توفاه الله إليه فندعو لأرواحهم الطاهرة بالرحمة وعظيم الأجر ، ومنهم من لا يزالون يُوالون العطاء السخي فندعو لهم بطول العمر والمزيد من التاج الوفير ، وإذا وقعنا في أعمال هؤلاء الأعلام على أخطاء قليلة أو تصحيف نادر نجده من قبيل التطبيعات وسهو المراجعين والطابعين ، وكان بوْدَي أن أقدم بعض الأمثلة على ذلك ، لولا أن الخاتمة لا تحتمل الإفاضة والتفصيل ، وحسبي هذا المثال أذكره في الحاشية^(١) ، وذكره يُغني عن غيره .

(١) في كتاب (تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب) للقوطي (الجزء =

ويزداد تقديرنا لأعمال جيل الرواد الأعلام هؤلاء عندما نُبصر الخلل والتهاون والاستخفاف في بعض أعمال من تلاهم من العاملين في ميدان التحقيق والنشر ، ويحزُّ في نفوسنا أن تتوالى الطباعات الجديدة من كتبهم دون مراجعة لها أو تنقيح لأخطائها أو إفادة من نقد النقاد لتصحيحها ، وقد كثرت المجالات التي تُعنى بالتراث ومخطوطاته ونقد ما يطبع محققاً منها ، في كثير من الأقطار العربية ، وأحرى بالعاملين اليوم في تحقيق التراث ونشره أن يستفيدوا من نقدها وتوجيهاتها ، وأن يُؤمنوا بأن العمل الجاد في ميدانهم لا يكفي بالجهود الفردية المتفرقة ، فالمهمة كبيرة ، والعبء - كما لا غلَّ أن نقول - ثَقِيل جداً ، فإذا تضافرت عليه جهود المحقق والناقد والقارئ الحصيف خفَّ ثقله وهان احتماله ، وأمكن التغلب على مشكلاته وصعابه ...

فلتكن هذه الصفحات حافزاً على تلاقي تلك الجهود وتآزرها وتضافرها ، لكي يتعاون الغيورون على التراث لتخليصه من تلك الآفات التي عرضناها ، المؤمنون بجِدوى التعاون بينهم لتصحيح أخطائه ، وتقديمه إلى القراء سليماً مُعافى قادراً على الحياة ، جديراً بالبقاء والخلود ، يُطاول عوادي الزمن ، ويتحدّى عوامل الفناء ، ويبقى ما بقيت أمتنا العربية المجيدة وحضارتها الإنسانية العظيمة .

= الرابع - القسم الثاني : ص ٧٢٤) بتحقيق الدكتور مصطفى جواد ، نقرأ هذا البيت ، وهو مطلع لأبيات :

أَيُّهَا الْعَاذِلُونَ لِي يَنْتَوُوا فَلَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينُ
والوزن (الخفيف) والتصريع في الشطرين والمعنى المراد : كل ذلك يُشير إلى الخطأ المطبعي في (يَنْتَوُوا) وتصحيحه (يَنْتَوُوا) أي فارقوني وابتعدوا عني ! وكان الدكتور مصطفى جواد من أفذاذ المحققين ، رحمه الله وأثابه .

الفهارس

- ١ - كتب التراث التي اختيرت منها الأمثلة على ألوان التصحيف والتحريف .
- ٢ - المصادر الأخرى والمراجع .
- ٣ - المجالات .
- ٤ - المحتوى .

١ - كتب التراث التي اختيرت منها الأمثلة على ألوان التصحيف والتحريف

- ١ - أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، بتحقيق الدكتور شكري فيصل
(مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥) .
- ٢ - أخبار البحري للصولي ، بتحقيق الدكتور صالح الأشر
(ط : ١ مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٨
ط : ٢ دار الفكر بدمشق ١٩٦٤
ط : ٣ دار الأوزاعي بيروت ١٩٨٧) .
- ٣ - أخلاق الوزيرين للتوحيدي ، بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي
(مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٥) .
- ٤ - الأغاني للأصفهاني (الجزء الرابع عشر) بتحقيق أحمد زكي
صفوت (ط : دار الكتب المصرية) .
- ٥ - البصائر والذخائر للتوحيدي ، بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني
(مكتبة أطلس بدمشق) .
- ٦ - التحف والهدايا للخالدين ، بتحقيق الدكتور سامي الدهان (دار
المعارف بمصر) .
- ٧ - التلخيص لأبي هلال العسكري ، بتحقيق الدكتور عزة حسن
(مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩) .
- ٨ - تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي ، بتحقيق

- الدكتور مصطفى جواد (مطبوعات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٣) .
- ٩ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (مصر ١٩٦٥) .
- ١٠ - الديارات للشابشتي ، بتحقيق كوركيس عواد (ط ١ مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥١) .
- ١١ - ديوان ابن أبي حصينة ، بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٦) .
- ١٢ - ديوان البحري :
- أ - مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس - القسم العربي رقم ٣٠٨٦ .
- ب - ط الجوائب بالآستانة ، بتصحيح الشيخ رسول النجاري ١٨٨٢ .
- ج - ط دار المعارف بمصر ، بتحقيق حسن كامل الصيرفي ١٩٦٣ - ١٩٦٤ .
- ١٣ - ديوان بشار بن برد ، بتحقيق محمد الطاهر ابن عاشور ومراجعة محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين (القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٥٧) .
- ١٤ - ديوان خالد الكاتب :
- أ - مخطوطة الظاهرية .
- ب - (ط بغداد ١٩٨١) بتحقيق الدكتور أحمد يونس السامرائي .
- ١٥ - ديوان الخالدين : جمع وتحقيق الدكتور سامي الدهان (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩) .

- ١٦ - ديوان ديك الجن الحمصي ، جمع وتحقيق عبد المعين الملوحي ومحيي الدين درويش (حمص ١٩٦٠) .
- ١٧ - رسائل الجاحظ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون (مكتبة الجاحظ : القاهرة ١٩٦٤) .
- ١٨ - رسالة الصداقة والصديق للتوحيدي ، بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني (دار الفكر بدمشق ١٩٦٤) .
- ١٩ - رسوم دار الخلافة لـهلال الصائبي ، بتحقيق ميخائيل عواد (بغداد ١٩٦٤) .
- ٢٠ - طبقات الشعراء لابن المعتز ، بتحقيق عبد الستار أحمد فراج (دار المعارف بمصر ١٩٥٦) .
- ٢١ - طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (ط: ١ مصر ١٩٥٤) .
- ٢٢ - العثمانية للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون (مكتبة الجاحظ : القاهرة ١٩٥٥) .
- ٢٣ - فوات الوفيات لابن شاکر ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (مصر ١٩٥١) .
- ٢٤ - قطب السرور في وصف الأنبذة والخمر لابن الرقيق القيرواني ، بتحقيق أحمد الجندي (مطبوعات المجمع بدمشق ١٩٦٩) .
- ٢٥ - كتاب الاختيارين للأخفش الأصغر ، بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة (مطبوعات المجمع بدمشق ١٩٧٤) .
- ٢٦ - كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، بتحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم (ط: ٢ مصر ١٩٧١) .
- ٢٧ - كتاب العرب أو الرد على الشعبية لابن قتيبة (في كتاب رسائل

- البلغاء لمحمد كرد علي : (ط: ٤ مصر ١٩٥٤) نشره الشيخ جمال الدين القاسمي ، ثم ضُم إلى (رسائل البلقاء) .
- ٢٨ - معجم الأدباء لياقوت الحموي (ط دار المأمون ١٩٣٦) .
- ٢٩ - نكت الهميان في نكت العميان للصفي ، بتحقيق أحمد زكي (مصر ١٩١١) .
- ٣٠ - الهفوات النادرة لغرس النعمة الصابي ، بتحقيق الدكتور صالح الأشر :
- أ - (ط: ١ مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٧)
- ب - (ط: ٢ دار الأوزاعي بيروت ١٩٨٧)
- ٣١ - الورقة لابن الجراح ، بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج (دار المعارف بمصر ١٩٥٣) .
- ٣٢ - وفيات الأعيان لابن خلكان ، بتحقيق الدكتور إحسان عباس (وملاحظات الدكتور علي جواد الطاهر عليه) بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧١ . وطبعة أخرى بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (مصر ١٩٤٨) .

٢ - المصادر الأخرى والمراجع

- ٣٣ - أباطيل وأسمار للأستاذ محمود محمد شاكر .
- ٣٤ - أساس البلاغة للزمخشري .
- ٣٥ - إعتاب الكتاب لابن الأبار ، بتحقيق الدكتور صالح الأشر :
- أ - (ط: ١ مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦١)
- ب - (ط: ٢ دار الأوزاعي بيروت ١٩٨٦) .

- ٣٦ - الأعلام للزركلي (ط: ٢ بمصر في عشرة أجزاء) .
- ٣٧ - الأغاني للأصفهاني (الأجزاء : ٣ و ٢٣ و ٢٤) ط دار الكتب المصرية والهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٣٨ - الامتاع والمؤانسة للتوحيدي ، بتصحيح أحمد أمين وأحمد الزين (القاهرة ١٩٣٩) .
- ٣٩ - إنباه الرواة للقفطي ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (دار الكتب المصرية : ١٩٥٠ - ١٩٥٥) .
- ٤٠ - الإنصاف والتحري لابن العديم (تعريف القدماء بأبي العلاء : ص ٤٨٣ - ٥٧٨) .
- ٤١ - البحث الأدبي لشوقي ضيف (دار المعارف بمصر ١٩٧٢) .
- ٤٢ - البخلاء للجاحظ . بتحقيق الدكتور طه الحاجري (دار الكاتب المصري : ١٩٤٨) .
- ٤٣ - التاج ، تاج العروس للزبيدي .
- ٤٤ - التعريفات للجرجاني ، بتحقيق غوستاف فلوغل (مكتبة لبنان : ١٩٦٩) .
- ٤٥ - تعريف القدماء بأبي العلاء (بإشراف الدكتور طه حسين وتحقيق مصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وعبد السلام محمد هارون وحامد عبد المجيد) صدر عام ١٩٤٤ عن دار الكتب (نسخة مصورة عنها - القاهرة ١٩٦٥) .
- ٤٦ - تعليق من أمالي ابن دريد (مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط - مخطوطات الأوقاف : ١٥٣) .
- ٤٧ - حضارة الإسلام : غوستاف غرونيباوم - ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (الألف كتاب : مصر ١٩٥٦) .

- ٤٨ - الحيوان للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون (مكتبة الجاحظ : مصر ١٣٥٧ - ١٣٦٤ هـ) .
- ٤٩ - حماسة البحرى = الحماسة للبحرئى ، بتحقيق كمال مصطفى (القاهرة ١٩٢٩) .
- ٥٠ - الخصائص لابن جنى ، بتحقيق محمد على النجار ، (دار الكتب المصرية : ١٩٥٢ - ١٩٥٦) .
- ٥١ - دليل الراغبين فى لغة الآراميين (رسوم دار الخلافة : ٩١) .
- ٥٢ - ديوان الهذليين - القسم الثانى (دار الكتب المصرية ١٩٤٨) .
- ٥٣ - الذخائر والتحف للقاضى الرشيد بن الزبير (أو المنسوب إليه) بتحقيق الدكتور محمد حميد الله (الكويت : ١٩٥٩) .
- ٥٤ - زهر الآداب للحصرى ، بعناية الدكتور زكى مبارك (مصر ١٩٢٩) .
- ٥٥ - شاعر عربى من القرن الهجرى الثالث : البحرى ، للدكتور صالح الأشر (رسالة بالفرنسية مطبوعة على الآلة الكاتبة : باريس ١٩٥٣) .
- ٥٦ - شرح المقامات الحريرية للشريشى (ط : ٢ بولاق : ١٣٠٠ هـ) .
- ٥٧ - شعر عمرو بن أحمـر الباهلى ، بتحقيق الدكتور حسين عطوان (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق : دون تاريخ) .
- ٥٨ - الشعر والشعراء لابن قتيبة ، بتحقيق أحمد محمد شاكر (القاهرة : ١٩٦٤ - ١٩٦٦) .
- ٥٩ - الطرائف الأدبية : بتحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى (القاهرة : ١٩٣٧) .
- ٦٠ - العقد الفريد لابن عبد ربه ، بتحقيق أمين والزين والأيسارى

- (مصر ١٩٤٠ - ١٩٤٩) .
- ٦١ - العمدة لابن رشيق ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
(القاهرة : ١٩٣٤) .
- ٦٢ - قواعد لتحقيق النصوص وترجمتها (بالفرنسية) لبلاشير وسفاجيه
(باريس ١٩٤٥) .
- ٦٣ - الفاضل للمبرد ، بتحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي (دار
الكتب المصرية : القاهرة : ١٩٥٦) .
- ٦٤ - الكامل لابن الأثير .
- ٦٥ - الكامل للمبرد .
- ٦٦ - كتاب التاج للجاحظ ، بتحقيق أحمد زكي باشا (ط : ١ القاهرة
١٩١٤) .
- ٦٧ - كتاب التصحيف والتحريف للحسن العسكري (مطبوعات
المجمع بدمشق : ١٩٨١) .
- ٦٨ - كتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني ، بتحقيق
الدكتور محمد أسعد طلس (مطبوعات المجمع بدمشق
١٩٦٨) .
- ٦٩ - كتاب الفصوص لصاعد البغداددي (مخطوطتان : نسخة القرويين
والنسخة الكتانية ، في المغرب) .
- ٧٠ - لسان العرب - اللسان - : لابن منظور .
- ٧١ - المحاسن والمساوي للبيهقي (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٠ .
- ٧٢ - مختارات أحمد تيمور (طرائف من روائع الأدب العربي) (لجنة
نشر مؤلفاته : ١٩٥٩) .

- ٧٣ - المختصر : مختصر طبقات الشعراء لابن المعتز : للمبارك بن أحمد (في آخر كتاب ابن المعتز) .
- ٧٤ - المزهري للسيوطي ، بتحقيق جاد المولى ورفيقه (ط : ١ القاهرة) .
- ٧٥ - مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (مخطوطة : ديوان الخالدين : ٥٧ ، ٢٥٠) .
- ٧٦ - معجم البلدان لياقوت الحموي (ط : دار صادر ودار بيروت) .
- ٧٧ - مع المصادر في اللغة والأدب : للدكتور إبراهيم السامرائي (دار الفكر : عمان ١٩٨٢) .
- ٧٨ - ملاحظات على ديوان بشار للدكتور محمد حموية (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : المجلد : ٦٠) .
- ٧٩ - ملاحظات على (وفيات الأعيان) للدكتور علي جواد الطاهر (ط : ١ بيروت ١٩٧٧) .
- ٨٠ - مناقب الترك للجاحظ (في رسائل الجاحظ : بتحقيق عبد السلام محمد هارون) القاهرة ١٩٦٤ .
- ٨١ - الموازنة للآمدي ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة : ١٩٤٤) .
- ٨٢ - نزهة الألبا لابن الأنباري (تعريف القدماء بأبي العلاء : ص ١٦ - ١٧) .
- ٨٣ - نساء الخلفاء لابن الساعي ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد (دار المعارف بمصر - دون تاريخ) .
- ٨٤ - نظرات في ديوان بشار بن برد : للدكتور شاكر الفحام (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ط : ٢ ١٩٨٣) .
- ٨٥ - نهاية الأرب للنويري (ط : دار الكتب المصرية ١٩٢٣) .

- ٨٦ - الوافي بالوفيات للصفدي ، (النشرات الإسلامية) الجزء الثاني - ١٩٧٤ .
- ٨٧ - اليتيمة - يتيمة الدهر للثعالبي :
(ط : الصاوي بمصر ١٩٣٤
وطبعة بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد : مصر ١٩٤٧) .

٣ - المجلات

- ٨٨ - مجلة الآداب البيروتية (العدد : ١١ - ت ٢ ١٩٥٦) .
- ٨٩ - مجلة قافلة الزيت (مقالة منهاجي كمؤرخ للدكتور محمد صبري) - (المجلد : ١١ العدد : ٥ لعام ١٩٦٣) .
- ٩٠ - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق
أ - المجلد : ٣٣ جمهرة الإسلام للشيزري
نقد رشدي الحكيم لديوان ابن أبي حصينة
تعليق عبد الله كنون على (الهنيدة) .
ب - المجلدات : ٤٠ و ٤١ و ٤٢ مقالة (طرر على معجم
الأدباء) لعبد العزيز الميمني .
ج - المجلد : ٤٣ نقد الدكتور مصطفى جواد لـ (فوات
الوفيات) بتحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد .
د - المجلد : ٤٥ نقد محمد عبد الغني حسن لديوان الخالدين
جمع وتحقيق الدكتور سامي الدهان .
هـ - المجلد : ٤٨ تعليقات عبد الله كنون والدكتور أمجد

الطرابلسي لتحقيق اسم الشاعر المصري
(ابن جدار) .

و - المجلد : ٤٩ الإعلان عن (ديوان خالد بن يزيد
الكاتب) بتحقيق الدكتور صالح الأشر .

ز - المجلد : ٥٧ مقالة لعلي حيدر النجاري ابن الشيخ
رسول ، مصحح طبعة الجوائب لديوان
البحري .

ح - المجلد : ٦٠ ملاحظات على ديوان بشار للدكتور محمد
حموية وتعليق الدكتور شاكر الفحام عليها .

٩١ - مجلة المعرفة الدمشقية (العدد : ٣٦ شباط ١٩٦٥) مقالة
(شاعر عباسي ذاتي : خالد بن يزيد الكاتب) للدكتور صالح
الأشر .

٩٢ - مجلة معهد المخطوطات العربية (مصر : المجلد : ٢ ج ١ مايو
١٩٥٦) نقد الدكتور ناصر الدين الأسد لكتاب (العثمانية)
للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون .

٤ - المحتوى

١	٠	إهداء
٥	٢٢٥	تمهيد : التصحيف والتحريف في كتب التراث الأدبي المحققة : المشكلة وأهميتها
٩	٢٢٩	١ - معاناة المشكلة خلال تجربتنا مع المخطوطات وعملنا فيما حقّقناه منها
١٣	٢٣٣	٢ - لون من التصحيف والتحريف يقصر الذهن أحياناً عن تصويبه لضيق النظرة
١٦	٢٣٦	٣ - لون ثان يغفل المحقق أو يتغافل عن ملاحظته ويُهمل التنبيه عليه !
٢٢	٢٤٢	٤ - لون ثالث يُنبّه المحقق عليه بعلامة أو تعليق في الحاشية
٢٨	٢٤٨	٥ - لون رابع يحكم المحقق عليه خطأ ، وهو غير مُصحّف ولا مُحرّف
٣٣	٢٥٣	٦ - لون خامس يشبه المحقق في المتن ترجيحاً له على الصحيح المنبوذ في الحاشية .
٣٧	٢٥٧	٧ - لون سادس يقبله المحقق ويدعمه بشرح في الحاشية يخدع القارئ فلا يرتاب فيه
٤١	٢٦١	٨ - لون سابع في الأشعار يسهل تصويبه بإرشاد من الوزن والقافية
٤٧	٢٦٧	٩ - لون ثامن يصعب تصويبه لتحقيق نصّه عن نسخة خطية يتيمة وحيدة
٥٨	٢٧٨	١٠ - لون تاسع من عويص التصحيف وغامض التحريف يتطلّب تضافر جهود المحققين لإصلاحه

٣٠٥	صالح الأشر	
٦٥	٢٨٥	١١ - لون عاشر يحكم بعض النقاد بوقوعه في النصوص التراثية المُجمع على صحتها
٦٧	٢٨٧	١٢ - موقف العلماء المُصحِّفين ممن يَنْبَهِهم على أخطائهم قديمًا : بين الرفض للحق والإذعان له دون تخرُّج أو استكبار
٧١	٢٩١	خاتمة : جبل الرواد من كبار العلماء المحققين ينبغي أن يكونوا قدوة لمن بعدهم لتضافر جهودهم على تحمل العبء الكبير
٧٣	٢٩٣	الفهارس
٧٤	٢٩٤	كتب التراث التي اختيرت منها الأمثلة على ألوان التصحيح والتحريف
٧٧	٢٩٧	المصادر والمراجع الأخرى
٨٢	٣٠٢	المجلات
٨٤	٣٠٤	المحتوى

معروف الأرنؤوط

١٨٩٢ - ١٩٤٨

رائد الرواية التاريخية في سورية

عبد اللطيف أرنؤوط

عرف لبنان منذ منتصف القرن التاسع عشر نهضة ثقافية ومعرفية متميزة بحكم انفتاحه على العالم ، واهتمام الغرب بنشر لغاته وثقافته فيه ، وكثيراً ما تنوّه كتب الأدب بدور الأدباء اللبنانيين الذي نزحوا إلى مصر ، وأسهموا في نهضتها الفكرية في مجالي الصحافة والأدب ، دون أن تُشير إلى اسهام معروف الأرنؤوط الأديب المبدع ، والنائر المجدد في تطوير النثر العربي وتخليصه من قيود السجع والتكلف ، وعَرَضَ معانيه وأغراضه حيّة بأفانين من غنيّ الخيال ، وتحليته بديع الصور ، وتطويعه للتعبير عن أدق خلجات النفس الإنسانية ، وروح العصر ، حتى ليتمكن أن يعدّ من أبرز رواد النثر الحديث .

مرّ على وفاة هذا الأديب الكبير ما يقارب نصف قرن من الزمن ، غير أن ريشته الساحرة ما زالت ترود أعلامنا ، وإليه يعود الفضل في إطلاق العبارة العربية وتحريرها من جمودها وغثائها ، وانبعاث ما عفى عليه الزمن من مفرداتها الجميلة ، وتأليفها بقالب ساحر ، دون خروج على أصول التعبير فيها ، أو ندّ عن قوانين نظمها .

وما أحوج كتابنا اليوم أن يتسلمنوا على آثاره ، ويتخذوا منها الهدي

[(٥) انتخب الأستاذ معروف الأرنؤوط عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق في ١٠/٨/١٩٣٠] لجنة المجلة .

والمثل ليدركوا أن التجديد لا يكون بتغريب اللغة عن منابتها ، وتحطيم قوالبها ، وإنما هو بعث وإحياء لأساليبها الرائعة ، واستغلال لطاقتها الكامنة .

فمن هو معروف الأرناؤوط ، وما هو ؟

معروف أرناؤوط أديب ألباني الأصل ، يعود نسبه إلى مدينة (الونية) ، وقد جدّه حسن آغا المولى يوسف إلى بيروت في منتصف القرن التاسع عشر أيام الدولة العثمانية مقصي عن بلده بسبب نزعاته القومية ، وتولّى أمن مدينة بيروت ، فنجح في عمله ، حتى نال رضا الدولة العلية بعد نفيه ، فعينه مرافقاً عسكرياً للمتصرف خليل باشا إضافة إلى عمله ، وتزوج سيدة لبنانية هي مريم ابنة يوسف ساسين أرملة الشيخ مصطفى الرفاعي . فرزق منها بغلامين أحدهما أحمد الأرناؤوط والد معروف ، وقد عانى التجارة ، وتزوج امرأة دمشقية فاضلة تعزّز بدينها ، وتواظب على الصلاة والعبادة ، وتحفظ سيرة الرسول ﷺ وصحبه الأكرمين ، فكان لها أكبر الأثر في غرس حب الإسلام والاعتزاز بأخبار أعلامه في نفس ولدها معروف .

تحدث الكاتب عن أمه فقال : « يوم كانت أمي تجلس إليّ في ليالي الشتاء لتقصّ عليّ أروع ما عرفته عن حياة سيد قریش وصحبه » . فكانت تلك القصص البذرة التي أنتشت وأبدعت فيما بعد روائع رواياته التاريخية . وكان حظ معروف من العلم خيراً من حظ أبيه ، فقد انتعشت مدينة بيروت ثقافياً ومعرفياً وعلمياً في زمانه ، وشاعت فيها المدارس الخاصة ، فانتظم الطفل في أحد الكتاتيب ، وكان شيخه حسن الحبال شديد التمسك بعثمانيته لشدة تدينه ، وهو الذي عمل فيما بعد في الصحافة وأنشأ جريدة أبابيل فتعلّم معروف على يديه القراءة حتى صار يحفظ نصوصاً من القرآن الكريم ، ويستظهر من سير الفرسان .

ثم دخل المدرسة العثمانية أو (الكلية العثمانية الإسلامية) التي كان يديرها الشيخ أحمد عباس الأزهرى بحزم وحسن تدبير ، وكان حريصاً على زرع بذور الوطنية وحب العربية في نفوس طلابه ، وتعليمهم اللغات الأجنبية ، والتمرس بالخطابة ونظم الشعر ، فتأثر معروف بكتاب (أم القرى) لعبد الرحمن الكواكبي الذي كان يدرس في المدرسة ، مما عزز نزعتة الإسلامية العربية ، ودرس اللغة الفرنسية على المعلم يوسف حرفوش الذي كان يلقي تلاميذه تاريخ القبطات القومية في الغرب ، لينفذوا من خلالها إلى الإيمان بحق العرب الشرعي في الاستقلال والحرية . وقد زامل معروفاً في الكلية نفر من التلاميذ أصبحوا فيما بعد من أعلام الفكر والقومية ، منهم : عمر فاخوري ، والشهيد عمر حمد .

برزت مواهب معروف منذ الطفولة ، فمارس الخطابة والكتابة ونظم الشعر ، وعرفته بيروت في السادسة عشرة من عمره يقف بين عمالقة البيان فيها ، فيلقي قصيدة في تكريم الشاعر معروف الرصافي بمناسبة زيارته لها ، فلفت أنظار الناس ، ويتفاءلون له بمستقبل أدبي مشرق .

وانطلق الشاب معروف يُدبج المقالات والقصائد وينشرها في الصحف ، ويترجم عن اللغة الفرنسية قصصاً متوالية بعربية فصيحة وبيان مشرق ، فترجم لكبار الكتاب الفرنسيين أمثال : فرانسوا كوييه ، وتيوفيل غوتييه ، والكسندر دوما ، وألفريد دي موسيه ، وميشيل زيفاكو ، وغيرهم من أعلام القصص البوليسية ، ثم تشجع فنشر بعضها بطبعات تجارية لا يتجاوز حجمها ثلاثين صفحة ، بقصد التسلية ، وترجية الفراغ ، ليجني من ورائها ما يكسب به رزقه ، ويدرب قلمه على الكتابة ، وقد ساعده إلمامه باللغات العربية والتركية والفرنسية في الاطلاع الواسع على الأفانين المتنوعة من الأساليب الأدبية . وكانت سورية ولبنان آنذاك بلداً واحداً ، فقرأ السوريون مقالات معروف وقصصه التي بدأ ينشرها في

الصحف البيروتية الموالية لحكومة استانبول بتزعة عثمانية رسخها تعلمه في الكلية العثمانية ، فكتب في جريدة (البلاغ) وصاحبها محمد باقر ، وجريدة (الرأي العام) لطفه مدور ، وعمل مترجماً عن اللغة الفرنسية ، فترجم (الفردوس المفقود) لجون ملتن ، ووضع قصة (الصحفي الشريف) ، وغير ذلك .

وكان أول عمل إبداعي أصدره كتابه عن أبي العلاء المعري الذي أسماه : (فردوس المعري) وهو رحلة خيالية استوحاها من رسالة الغفران ، أراد بها أن يكرم ذلك العبقرى الأعمى ، فرفعه إلى مصاف كبار الأدباء في العالم ، وطاف به فوق جبل الأولمب ، ثم استقر في مدينة باريس بلد الثقافة ، فكان موضع تكريم وإعزاز من آلهة الشعر والجمال وعباقرة الكلمة على مدى العصور ، وفي عام ١٩١٤م بعد اندلاع نار الحرب العالمية الأولى ، سيق معروف إلى الخدمة الإلزامية في استانبول على ضفاف البوسفور ، فتعرّف إلى بعض أدبائها ، وتمتع بسحر جمال الطبيعة فيها ، حيث البحر يعانق اليابسة ، وحمل معه كتاب الله وسيرة نبيه مع دعوات أمه ورجائها أن يستمسك بعرى الإيمان ، ويفزع إلى القرآن كلما حزبه شدة .

ثم تخرج الدولة العثمانية من الحرب مهزومة ، فيتزعزع إيمان معروف بقدرتها على صون الخلافة الإسلامية ، ويدرك أن أمله في إعادة المجد الغابر سيكون بيد العرب ، ولا سيما أنه علم بقيام الثورة العربية في الحجاز سرّاً ، فلم ينتظر حتى يشهد بأسى نهاية الدولة العثمانية . بل هرب من الخدمة في الجيش العثماني سنة ١٩١٦ ولسان حاله يقول : « ولقد خرجت من الحرب وأنا أحمل في قلبي كثيراً من الهم وكثيراً من الشعر ، فأما الهم الذي حملته ، فلقد سرب إلى نفسي من انكسار هذه الأمة التي أحببتها ، ومن إخفاقها في جني ثمار كدحها ، وجدّها ... » .

ويصل في فراره ماشياً إلى زحلة بعد سير أربعة أشهر ، عانى فيها ألواناً من الجوع والعطش والخوف ، ويتوارى زمناً في قرى الجبل ، ويعلم آنذاك أن والده فارق الحياة ، مما ضاعف من أحزانه ، ثم ينسل إلى حوران ومنها إلى (العقبة) فيلتحق بجيش الشريف حسين ، ويدخل بعد عامين مع جيش الشريف دمشق في خريف ١٩١٨ ، فيجعلها دار إقامة له ، ويسكن في حي متفرع من سوق الحميدية ، ويعمل في الصحافة ، ويؤسس مع قاسم عثمان جريدة (الاستقلال العربي) التي عاشت شهوراً . ثم مجلة (العلم العربي) التي جعلها مجلة أدبية شهرية عام ١٩١٩ ، ولم يُصدر منها إلا عدداً قليلاً واحداً .

ثم يصدر جريدة سماها (فتى العرب) ظل يعيش معها ، ويرتفق من ريعها إلى أن مات عام ١٩٤٨ م .

وجريدة (فتى العرب) امتد عمرها ثلاثين عاماً ، وكان لا ينصرف عنها إلا إلى كتابة رواياته التاريخية التي نشر أكثرها سلسلة في جريدته . وكان يدبج فيها المقال الرئيس « الافتتاحية » ، ويختار لها المقالات والأخبار من الصحف العربية والخارجية ، ويكتب الأخبار المحلية ورسائل الجهات على أنها من مراسلين خصوصيين ، ويشرف على طبعها في أربع صفحات ، ويتابع حساباتها واشتراكاتهما ، ومثل هذه الأعمال تحتاج على حد تعبير أحد الصحفيين إلى عشرين شخصاً في الحد الأدنى .

واستقر معروف في دمشق ، وتزوج ، ورزق ثلاثة أولاد ، وأسس لصحيفته مطبعة أسماها (فتى العرب) كان فيها شريكاً لابن عم له من جهة زوجته وهو مظهر شيخ الأرض ، وطبع في هذه الدار معظم آثاره .

وتنقلت به الأحوال ، فلم يدم الحكم الفيصلي في سورية أكثر من عامين ، وخاب أمل معروف في نهضة عربية إسلامية ، وضايقه الفرنسيون فهادنهم في جريدته ، ووقف على الحياد إزاء سياستهم ، إلا أنه حسّه الديني

ما لبث أن وجهه نحو تركيا فسخر جريدته لمدح الثورة الكمالية والتنويه بمنجزاتها ، واتخذ من غاياتها وأسبابها ما يؤلف به قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

وكان القراء من أنصار الدولة العثمانية يتلقون جريدته في شوق ولذة ، ويجدون فيها طلبتهم . ومع أن معروفاً نجح في ميدان الصحافة إلا أنها لم تكن المجال الحقيقي لموهبته ، فقد وُلد ليكون أديباً ، بل روائياً موهوباً ، وكأنما امتزجت الرواية بلحمه ودمه ، وقد ساعده على ذلك ثقافته واطلاعه الواسع على أدب الغرب ، وافتقار الأدب العربي إلى الأدب الروائي ، والحاجة الملحة إلى تزويد صحيفته بما يشوق القراء ويمتعهم ، فانصرف إلى القصة والرواية ، ولم تخل جريدته يوماً من نسائم القصة ، بل كانت كتاباته السياسية تلبس ثوب السرد الروائي .

شخصية معروف الأرناؤوط :

تحدث عنه عارفوه وأصدقاؤه ووصفوه ، فقال فيه وجيه بيضون صديقه وزميله في الصحافة : « وجه اجتمعت إليه ضروب من الوسامة والوضاء والملاءة » .. وعينان كأنما رتق فيهما النعاس ، فهما غافيتان في يقظة ، مستيقظتان في غفوة ، وبسمة ناعمة هادئة في مطاويها معان عما انطوت عليه الحياة من أفراح وآلام ، فإذا أخذته بجملته على وهلة ، وب نظرة مجملة تكذبك الحساب في حقيقة عمره ، ارتفع من نضارته وما يخالط هذه النضارة من أناقة يُسقط عدة سنوات من مجموعة أيامه ، ولأن صحته الوقور ، ولهجته الساخرة ، واستغراقه الحالم ، وانكماشه الدائم يمثله على غير ما عرف به ، ويغيب كثيراً من سجايه ... » .

كان ربعة من الرجال ، يمشي متخائلاً ، يستهويك حديثه ، ولهجته مزيج من اللبنانية والدمشقية ، مولع بالدعابة ، لاذع النكتة ، طيب النفس

كالأطفال ، كان صبوراً على المحن ، متسامحاً في العداوة ، مترفعاً عن الغيبة ، لا يذم النفر الذين يتعرضون له بالأذى ، سهل الخلق ، لين العريكة ، جزل المروءة ، رقيق الحس ، رقيق النفس ، كريماً ، متفائلاً يتناول الحياة من وجهها المشرق ، ولا تفارقه الابتسامة حتى في أيام مرضه ، وكان رديء الخط ، لا يكاد خطه يُقرأ ، يكتب متعجلاً بسيولة وتدفق ، وهي سمة من سمات النموذج الانفعالي ، وكان مولعاً بالزجيلة لا يفارقها وهو يعمل فصورته الذاتية تختلف عن صورته التي يكونها القارئ عنه من كتاباته ، فقد روى عن نفسه أنه كان في طفولته معابثاً ، صاحب مقالب وحيل ، ومن طرائفه أن الناس من قرائه كانوا يحسبون أنه شيخ وقور معتم ، فلما مرّ بدمشق وفد من وجهاء الهند وعلمائها من قرائه والمعجبين به ، راحوا يسألون عن فضيلته للسلام عليه ، وما زالوا حتى اهتمدوا إلى مكتب جريدته ، وهم يتوقعون أن يروا شيخاً ملتحياً ، وأدرك معروف حرج موقفه فأعلمهم أن صاحب الفضيلة غائب ، وسوف يستدعيه ليره ويسلموا عليه ، واستعان بأحد المشايخ من ذوي العمام الضخمة واللحي الضافية ، « ولا تسل عن حسن لقياهم واحتفائهم به ، وتبركهم الشديد بتقبيل يديه والتماس دعائه » .

وفاته :

في عام ١٩٤٨ اشتد به المرض ، فبدل نضرتة شحوباً وحيويته انكساراً ، وأسلم الروح إلى بارئها في ٣٠ كانون الثاني ، وسكت القلم المفرد ، فخسرت العروبة والإسلام بفقده علماً ، لم يضاهه في الكتابة الإبداعية إلا مصطفى صادق الرافعي ، غير أن عبارة معروف تبدو أكثر عفوية وتألّفاً ، وخياله أعلى تحليقاً ، وأقرب إلى روح العصر ، أما المهجريون فقد ماثلوه في النفس الإبداعية دون أن يجاروه في متانة النسيج وبرء التعبير من الضعف والتردي ، واستغلال طاقات اللغة العربية الكامنة ، وتفجيرها

في دروب التجديد .

معروف الأرناؤوط الروائي :

في عام ١٩٢٩م أصدر روايته التاريخية (سيد قریش) رسم فيها حياة العرب في فترة البعثة النبوية ، وصوّر معجزة النبوة وأثرها في حياة العرب ، وقد سُئل عن أسباب كتابة هذه الرواية ، فأجاب أن السبب هو إظهار الحقيقة التي حاول طمسها أعداء الإسلام ، ولا سيما بعد أن قرأ كتاب فلورندا البيزنطية للكاتب الفرنسي رينيه دي سيكونزاك ووجد فيه المغالطات عن فتوحات العرب في الأندلس ، والحضارة الإسلامية ، فكانت رواية (سيد قریش) صوت الحق وصوت التاريخ ، ولعل من الأسباب في التحول إلى التاريخ هو التضييق والكبت الذي فرضه الانتداب الفرنسي على الأدباء ، فاتجه إلى التاريخ والرواية ليعبر من خلالهما وبصورة غير مباشرة عن دعوته إلى اليقظة ، وقد طبع روايته طبعة ثانية في ثلاثة أجزاء ، استغرقت ألف صفحة من القطع الكبير وأدخل عليها ملاحق تاريخية وتعديلات ، وأصدرها في حلة جديدة سنة ١٩٣١م . ومعروف لا يروّعك بفنّه الروائي في هذه الرواية ، فإن سيد قریش لا تخلو من عيوب فنية كثيرة ، إذا أجريتها على معيار النقد الروائي المعاصر ، فهي تاريخ في ثوب روائي ، أكثر منها رواية فنية ، وقد طغى فيها الأسلوب على التحليل والتعليل ، لكنها لا تفتقر إلى الخيال المجنح الفني ، والحبكة الفنية ، والأسلوب الرائع المصنّف .

وأصدر بعدها روايته التاريخية الثانية (عمر بن الخطاب) عام ١٩٣٦ في جزأين أولهما (ليالي شاعر) والثاني (فرسان سيد قریش) ووعد بإصدار الجزأين الثالث والرابع ، ولم يصدرهما لأسباب لا نعرفها ، وتناول في الرواية معارك الحرية بين الفرس وعرب العراق ، والروم وعرب بلاد الشام ، ورسم شخصية الخليفة عمر رضي الله عنه ، ونزع فيها نزعة إنسانية ، إذ جعل الشعوب المقهورة تسهم في الانتفاض على حكم الرومان حتى الروم

أنفسهم ، وأفاد من رحلاته في وصف جغرافية بلاد الشام ، ومن ثقافته التاريخية المحصلة من المصادر في تحليل الوقائع ، وأوجد بعض الشخصيات التي ليس لها أساس تاريخي إلى جانب الشخصيات التاريخية ، وكتبها ببيان أدبي راق مجنح يقترب من لغة الشعر .

وفي عام ١٩٤١ أكمل ما رسمه من الفتوح العربية الإسلامية برواية (طارق بن زياد) التي وضعها فصور فيها فتح إفريقية والأندلس ، وما نهض به العرب والبربر من دور في ذلك ، ورسم فيها مواقف رقيقة من الحب والجمال ، وطبيعة الأندلس الساحرة ، ودور العرب الحضاري ، ومعجزة الأمويين في توسيع رقعة بلاد الخلافة العربية الإسلامية .

وكانت آخر رواياته التاريخية (فاطمة البتول) صدرت في عام ١٩٤٢ روى فيها مجريات بيعة يزيد ، والصراع بين معاوية وعلي ، ثم يزيد والحسين ، وما كان من ضحايا الفتنة ، وأثر الانقسام في تمزيق وحدة الصف ، وبدا فيها حزناً لمأساة الحسين منتصراً له في قيامه بحقه .

والغريب في هذه الروايات أن معروفاً تتجلى فيه عروبة النزعة وهو ألباني النسب ، وكان ثقافته العربية ، وحياته في رحاب الأرض العربية ، قد جبلته بجبلتها ، بل يتجاوز أبنائها اعتزازاً بتاريخهم ، ووعياً لماضيهم ، واستشراً لمستقبلهم ، ويبدو أن الحكم الفرنسي قد حال بينه وبين التصريح بطموحه في نهضة عربية إسلامية ، فوجد في التاريخ ضالته فهو يذكر الأمة العربية بماضيها ، ويحفزها بصورة غير مباشرة إلى النهوض واليقظة .

يقول وجيه بيضون : « وسيدكره التاريخ مؤرخاً لرسالة العربية في أمجادها ومفاخرها استمدتها من خياله ، فإذا هي الإيمان خلص من الريب » .

ووصف الدكتور سامي الدهان أسلوب معروف في الروايات التاريخية فقال : « كان معروف يكتب على الورق ، كما ينسكب الربيع على

الطبيعة ، فيورق ويُزهر ويُعطر ويسحر ، ويضحك ويتسم ، ويغني وينشد ، وتشرق من خلال ذلك ألوان زاهية وأنوار مشرقة .

يرسم المعركة فتسمع القعقة والدوي ، ويصف الليل الساجي ، فترى الأشباح تسبح في الظلام ، ويصور المحبين فتحس الصدور والثغور والقُدود تلتقي وتنفصل ، كل ذلك في كلمات جمعت للكاتب وجعلت طوع بنانه ، يصفها ويرصفها لتحل في المحل المناسب ، وتقع في الموقع المرضي ، ولا تكاد تنبو لفضة إلا في القليل ، فكأنه يقول الشعر من غير قواف ، أو كأنه يرصف الدرر في السطور من غير أن تحس له تصنعاً كبيراً ... » .

وقد تناول أعلام الأدب في تلك المدة روايات معروف بالنقد ، فعُدوها فتحاً جديداً في الأدب العربي ، استطاع مؤلفها أن يجعل لغة أبطاله حافلة بالشعر والعطر والموسيقا .

مكانته الأدبية :

دخل معروف الأرناؤوط غمار الحياة الأدبية ، واللغة العربية ما زالت مشدودة إلى ماضيها ، والمدرسة الرومانسية كانت هي السائدة ، والأساليب النثرية تسير على أصول البلاغة العربية في التعبير ، وتقوم على تزويق العبارة وإظهار البراعة ، إذ لم تكن قد تخلصت من تأثير ماضيها الأدبي الذي يُعنى بالمزاج والترادف والتوازن ، والاحتفاء بصوغ القوالب التعبيرية ، فكان طه حسين أستاذاً لنمط من الكتابة يجمع بين متانة اللغة والتفنن في تقسيم العبارة بنفس طويل ، فهو لا يقودك إلى الفكرة مباشرة ، وكان الرافعي يعتمد في كتاباته على جمال العبارة ، وموسيقا التركيب ، وروعة الصورة ، ولم تستطع الفنون الأدبية الدخيلة كالقصة أن تحرر فنَّ الترميل من هذه الأساليب البديعية إلا بعد زمن . فالبلاغة عندهم أن يتجلى الإبداع في النص شكلاً ومضموناً ، وساعدهم على ذلك تمكنهم اللغوي وسعة معرفتهم

التي جمعت بين القديم والحديث ، ومعروف الأرنؤوط أحد أعلام تلك المدرسة .

كان معروف ابن عصره ، فهو يُعنى بقالب التعبير عنايته باللغة ، ويلتمس التأثير في قرائه بفنية الكلمة وسحرها ، فالقصة عنده ليست تعبيراً عن الحياة ، وتصويراً لها بلغة الحياة فحسب ، وإنما هي نص أدبي يجب أن تتوافر له عناصر الفن في الشكل والمضمون .

ونقاد اليوم يقلّدون النقد الغربي في تسفيهم هذه الأساليب في كتابة القصة أو الرواية أو المسرحية ، بحجة أنها تبعتها عن الحياة ، وواقع الأمر أن الإنسان العادي في عالمنا الشرقي عامة والعربي خاصة يستخدم كثيراً من الأساليب البلاغية والمؤثرات الأدبية في تعبيره ، فهو يبالغ حين يتحدث ويطنب ويحمل كلامه ويعمد إلى الصور البيانية .

ومعروف أرنؤوط يكتب عن شخصيات تاريخية عاشت مع شباب اللغة ونقائها ، فلم يعد كثيراً عن مشاكلة الواقع حين كتب رواياته بلغة أدبية تشاكل ما كان يكتب في عصورها الماضية ، فالحوار الأدبي عنده يناسب الشخصيات ، وإن كان يندأ أحياناً عن هدفه في رسمها إلى أغراض بلاغية ، ويؤخذ عليه أنه لم يُحسن تركيب رواياته في بنية تستبعد أثر التاريخ وطابعه ، ولكنه مع ذلك يظل من رواد هذا الفن الذي حمل لواءه قبله وبعده كتاب آخرون أمثال جرجي زيدان ومحمد حسين هيكل و

* * *

مات معروف الأرنؤوط لكن أدبه يبقى خالداً يقدّم للأجيال دروساً في القومية والعقيدة والاعتزاز بالتراث الإسلامي ، فهو حرز تُصان به مقدرات هذه الأمة التي تكاثرت عليها المحن ، ولكن رايته ستظل مرفوعة بفضل أعلامها المخلصين .

مراجع البحث

- ١ - بين الصناديق خمسين عاماً : تأليف وجيه بيضون ، ٢٣٠ صفحة .
- ٢ - قدماء ومعاصرون : تأليف الدكتور سامي الدهان ، ٢٤٤ صفحة .
- ٣ - معروف الأرناؤوط : (ملحق جريدة النهار) للأستاذ إبراهيم يوسف يزبك .

التعريف والنقد الأندلس

في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار

تحقيق

إميليو مولينا لوبس وخاينتو بوسك ييلا

الدكتور شاكر الفحام

نعمتُ بقراءة المقالة الممتعة التي حبرها أستاذنا الجليل حمد الجاسر في مجلة المجمع (مج ٦٦ ، ج ٤) بعنوان : (أنساب الرشاطي الأندلسي ومختصراته) ، فقدّم لنا في مقالته الجامعة أنفس الفوائد ، قد نقرّ عنها وبحث في خزائن الكتب ونوادير المخطوطات فأجاد وأطاب كالعهد به دائماً .

ومنذ أيام وقع بيدي كتاب : (الأندلس في اقتباس الأنوار ، وفي اختصار اقتباس الأنوار) وهو الكتاب السابع في سلسلة المصادر الأندلسية ، قام بتحقيقه الأستاذان إميليو مولينا لوبس وخاينتو بوسك ييلا (مدريد - ١٩٩٠ م) . فرأيتُ أن أعرف بالكتاب وألخص محتواه ليكون لاحقاً أضمه إلى مقالة أستاذنا حمد الجاسر حفظه الله للصلة الوشيعة بينهما .

عمد الأستاذان المحققان إلى انتقاء ما جاء من الأنساب الأندلسية في كتاب اقتباس الأنوار للإمام الرشاطي ، وما جاء في اختصاره لأبي محمد بن الخراط الإشبيلي فأصدراه بين دفتي هذا الكتاب ..

وقد ترجم المحققان للإمام أبي محمد عبد الله بن علي الرشاطي

اللخمي (٤٦٦ - ٥٤٢ هـ) ، وذكرنا أنهما رجعا في هذه الترجمة إلى بغية الملتمس للضبي ، والصلة لابن بشكوال ، وكتابي التكملة والمعجم لابن الأبار ، والوفيات لابن خلكان ، والمطرب لابن دحية ، ونفح الطيب للمقري (ص ١٧ - ١٨ من المقدمة باللغة الإسبانية) .

ثم ترجمنا لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الخراط (٥١٠ - ٥٨١) ، وذكرنا أنهما رجعا في هذه الترجمة إلى عنوان الدراية للغبريني ، وصلة الصلة لابن الزير ، وبغية الملتمس للضبي ، والتكملة لابن الأبار ، والدياج المذهب لابن فرحون ، ونفح الطيب للمقري (ص ١٩ - ٢٠ م) .

ووصف المحققان المخطوطات التي استعانا بها في تحقيق الأنساب الأندلسية المنتزعة من كتاب الرشاطي واختصاره ، فذكرنا القطع المخطوطة الثلاث من كتاب اقتباس الأنوار (ص ٣١ - ٣٥ م) ، ثم وصفا مختصر ابن الخراط الإشبيلي الذي تحتفظ به مكتبة الأزهر (ص ٣٥ - ٣٧ م) ، وعرضا من بعد لوصف مخطوطة القبس للبليسي (ص ٣٧ - ٣٨ م) فنقلا ما كتبه الأستاذ عبد البديع في صفتها .

وقد تحدث الأستاذ حمد الجاسر في مقاله المذكورة آنفاً عن هذه المخطوطات الثلاث ، ويّين أن للبليسي اختصارين لكتاب اقتباس الأنوار : أولهما القبس ، والثاني المختصر الذي تحتفظ بمخطوطته مكتبة الأزهر ، وقد جمع فيه بين اقتباس الرشاطي ولباب ابن الأثير^(١) .

* * *

(١) وفي مختصر البليسي نقول من كتب أخرى كقوله في ترجمة الأندي : « ... قلت : زاد الذهبي في نسبه ... واستدرك ابن كثير هذه الترجمة على السمعاني ... » =

بدأ المحققان بذكر ما جاء في مختصر البليسي من الأنساب المبتدئة بحرف الألف مما لم يرد في المخطوطات المعروفة لكتاب اقتباس الأنوار ، فأوردا :

(الأشوني ، الأقليشي ، الإلبيري ، الأندي ، الأندلسي ، الأوريولي) (ص ١٥ - ٢١) .

ثم نقلنا من السفر الأول من كتاب اقتباس الأنوار للرشاطي الأنساب :

(الباجي ، البتي ، البجاني ، البرياني ، البزلياني ، البطليوسي ، البطروبري ، البلدي ، البلوطي ، البلنسي) (ص ٢٥ - ٤٦) .
ومن السفر الثالث الأنساب :

(الكشكنياني ، اللاردي ، اللبي ، اللورقي ، الماردي ، المالقي ، المجريطي ، المدوري ، المروي (نسبة إلى مدينة المرية) ، المرسي ، المرشاني ، المتجيلي ، المنبي (نسبة إلى منية عجب بقرطبة) ، المغامي) (ص ٤٩ - ٦٩) .

ومن السفر الخامس الأنساب :

(القبري ، القبشي ، القرطبي ، السبتي ، السرقسطي ، الشبيني ، الشذوني ، الشرقي ، الشمتاني ، الشتريني ، الشتجالي ، الواداشي ، الوقشي ، الوشقي ، الياسي ، اليابري) (ص ٧٣ - ٩٥) .

فتلك أربعون نسبة ساقها المحققان من كتاب اقتباس الأنوار ، وست

ساقاها من مختصر البليسي .

* * *

وانتقلا من بعدُ إلى كتاب اختصار اقتباس الأنوار لأبي محمد عبد الحق الاشيلي المعروف بابن الخراط ، وصدّراه بنقل من كتاب صلة السمط لابن الشباط استدركا فيه ما فات النسخة المخطوطة لابن الخراط فذكرنا :

(الإستعجي ، الإشبيلي ، الأندلسي) (ص ١٠١ - ١٠٣)

ثم نقلا من السفر الأول من كتاب اختصار اقتباس الأنوار لابن الخراط الأنساب :

(الباجي ، البتي ، البجاني ، البرياني ، البزلياني ، البطليوسي ، البطروبري ، البلدي ، البلغي ، البلوطي ، البنسي ، البلسي ، البلدودي ، البسطي ، البشتي ، البشكلاري ، البتي ، البياري ، البياني ، التاكرني ، التاريخي (ينسب إلى التاريخ لاعتناؤه به) ، التدميري ، التطيلي ، الجالطي ، الجليقي ، الجزري ، الجياني ، الحجاري ، الخطابي ، الداني ، الدلائي ، الخيطي ، الرباحي ، الربضي ، الرصافي ، الريي ، الزهراوي ، الطالقي ، الطبلاطي ، الطبيخي ، الطرطوشي ، الطلمنكي ، الطليطي ، الطماطي ، الكشكنياني ، اللاردي ، اللبي ، اللورقي) (ص ١٠٧ - ١٥٦) .

ونقلا من السفر الثاني من كتاب اختصار اقتباس الأنوار لابن الخراط الأنساب :

(الماردي ، المالقي ، المجريطي ، المدوّري ، المرسي ، المروي ،

المرشاني ، المتجيلي ، المنبي ، المغامي ، الموروري ، الصقلي ، العدوي ،
الغرناطي ، الغريشي ، الفتوري ، القبري ، القبشي ، القرطبي ، القرموني ،
القطيني ، القلساني ، القلعي ، القسطلي ، السبتي ، السرقسطي ، الشبيني ،
الشذوني ، الشمنتاني ، الشنتريني ، الشتجالي ، الوادآشي ، الوقشي ،
الوشقي ، اليابسي ، اليابري) (ص ١٥٩ - ١٩٩) .

فتلك أربع وثمانون نسبة اختارها من اختصار اقتباس الأنوار لأبي
محمد بن الخراط ، وصدرها بثلاث اختارها من كتاب صلة السمط لابن
الشباط .

ثم ذكرنا مصادر التحقيق (ص ٢٠٣ - ٢٠٥) فالفهارس
(ص ٢٠٩ - ٢٤٤) .

* * *

ألف الرشاطي كتابه سنة ٥٢٧هـ^(٢) ، وأشار إلى كثير من المصادر
التي أخذ عنها ، مثل ابن الفرضي (وقد أكثر من الرجوع إليه) واليعقوبي ،
والرازي ، وابن حارث ، وأبي الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن حزم ،
وأبي عمر بن الحذاء ، وأبي بكر الزبيدي ، والأمير ابن مأكولا ، وابن
يونس ، وابن أبي حاتم ، وأبي محمد علي بن أحمد (ابن حزم) ، وابن
الخلولاني ، وابن مفرج

وقد قام المحققان بتخريج التراجم التي وردت في كتابي الاقتباس
والاختصار وغنيا بتصحيح النصوص وإكمالها بالاستئناس بما جاء في
المصادر الأخرى ، وأحالا في تخريج تراجم ابن الخراط أيضاً على ما جاء منها
في اقتباس الرشاطي .

(٢) الأندلس في اقتباس الأنوار ... ص ٦٠ ، ١١٦ .

ولكنهما أغفلا تخرج جملة من النصوص جاءت في المصادر التي عادا إليها كثيراً ، كقول ابن الخراط (ص ١٣٧) : « ذكر الحميدي أن عبد الرحمن بن الحكم الخطابي المرسي شاعر غزير المادة » فقد أغفلا تخرجه في جذوة المقتبس : ٢٥٣ (رقم ٥٩٥) ، وبغية الملتبس : ٣٥٠ (رقم ١٠٠٨) وهما من مصادرها المتداولة .

ومن ذلك تخرج المصادر التي ترجمت للعذري (ص ١٣٩) ، واغفاهما ذكر جذوة المقتبس وهو أولى المصادر بالذكر ، لأنه أقدم المصادر الأندلسية التي ترجمت له وأوسعها ، ولأن الحميدي أخذ عنه وسمع منه (الجذوة : ١٢٧ - ١٣٠) .

أما نقول الرشاطي الأخرى التي أشار إلى مصادرها فلم يقم الباحثان بالعودة إليها ولو كانت من المصادر المطبوعة القريبة المتداولة مثل كتاب الإكمال لابن ماكولا (ص ٦١ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٦٤) .

كذلك لم يترجما لطائفة من الرجال كان يحسن الترجمة لهم . لقد ترجمنا للأمير ابن ماكولا (ص ٦١) وأغفلا الترجمة لأبي الخطاب بن حزم (ص ٣٢ ، ٨٨ ، ١٢٠ ، ١٩٣) وأمثاله من العلماء والأدباء .

ووقع في الكتاب أغلاط كثيرة ، طائفة منها أغلاط مطبعية مبعثها العجلة . وقد رأيت الإشارة إلى جملة منها تدل على ما وراءها .

١ - في ص ٢٦ بيتان أنشدتهما الباجي :

إذا كنت أعلم علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعه
فلم أكون ضنيناً بها وأنفقها في صلاح وطاعه
وصدر البيت الثاني تحتل الوزن ، وصواب إنشاده : فلم لا أكون

ضنياً بها . وجاء على الصواب في المصادر الأخرى مثل بغية الملتبس :
٢٨٩ ، والصلة لابن بشكوال ١ : ٢٠٠ (رقم ٤٤٩) .

٢ - في ص ٢٨ جاء صدر البيت : وفي كل حال لم تزال بخيلة
والصواب : لم تزال بخيلة ، (انظر الذيل والتكملة ١/١ : ٢٧٤) .

٣ - في ص ٤٤ السطر ٧ - ٨ : « مع أنه إذا دام أحد أن يصيب
من دينه شعره ... » والصواب : ... إذا رام أحد ... ، بالراء .

٤ - ص ٤٤ س ١٢ : « وقال له : ملك لا تساعد الحاجب في
فعله » والصواب : مالك لا تساعد الحاجب ... ؟

٥ - ص ٥٤ س ٢ - ٣ : « ومسايرة ما بين مدينة ماردة
وقرطبة » والصواب : ومسيرة ما بين مدينة ، وقد جاءت على
الصواب : ص ١٥٩ .

٦ - ص ٥٤ س ١٠ - ١١ ، يتحدث عن فضل رخام ماردة :
« فلما وليت ماردة تطلبتّه وانتقلت منه كلما استحسنّت ... » .
والصواب : وانتقيت منه كلّ ما استحسنّت .

٧ - ص ٦٤ س ٢ - ٣ ، ص ١٦٦ س ٢ - ٣ : « المتجيل
وهو لفظ أعجمي ، منت : جبل ، وجبل : صغير ... » .
والصواب : وجيل : صغير ، (جيل بياء مثناة تحتية) .

٨ - ص ٦٤ هامش : « الصدي : الوافي ... »

الصواب : الصفدي (بتقديم الصاد على الفاء) .

٩ - ص ٦٦ هامش : « يؤثر على أسطر عديدة » العبارة ركيكة ،
ومثله ما جاء ص ٤٣ هامش ، وص ٩٢ هامش .

يقال في العربية : أثر في . ولكن المعنى المراد لا يحسن فيه استعمال هذا الفعل .

١٠ - ص ٦٨ س ٢ ، ص ١٦٨ س ٢

جاء في ص ٦٨ مغم ، وفي ص ١٦٨ مغم ، ولم يعلق المحققان بشيء . قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « مغم ويقال : مغم ، بالفتح فيهما : بلد بالأندلس ... » فأوضح أن الاسم لبلد واحد . وجاء في الصفحتين المذكورتين آنفاً : « وفيها الطفل الذي لا يشبه طفل لجودته وكثرته .. » ..

والصواب : « ... الذي لا يشبه طفل ... » وجاءت العبارة صحيحة في الروض المعطار : ٥٥٥ (مغم) .

يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان (مغم) : « وفيها معدن الطين الذي تغسل به الرؤوس ، ومنها ينتقل إلى سائر بلاد المغرب » . ويقول صاحب الروض المعطار : ٣٩٤ (طليطلة) : « وعلى مقربة من طليطلة قرية تسمى بمغم ، في جبالها وترابها الطين المأكول ، يتجهز به إلى مصر والشام والعراق ، ليس على قرار الأرض مثله في لذة أكله ، وتنظيف الشعر به ... » .

١١ - ص ٧٤ الهامش رقم (٢) رقم ٦٥ والصواب رقم ٦٤

١٢ - ص ٧٦ س ٤ قال في صفة جامع قرطبة : « ... من أجل مصانع الدنيا لكبر مساحة ، وأحكام صناعة ... » .

والصواب : « ... من أجل مصانع الدنيا كبر مساحة ، وأحكام (بكسر الهمزة) صناعة ... » وجاءت العبارة على الصواب (ص ١٧٩) .

١٣ - ص ٨٦ س ٤ - ٥ : « أدركته وكان صديق أبيه رحمهما الله » .

الصواب : أدركته وكان صديق أبي رحمهما الله .

١٤ - ص ٨٩ س ٢ - ٣ : « شتجالة ... ويقال لها أيضاً : جنجالة ، وإليها ينسب الوطاء الجنجالي لعمله بها » .

الصواب : الوطاء ككتاب (وروي عن الكسائي فتح الوار) وهو خلاف الغطاء . فلا يجوز تشديد الطاء .

وجاء في ص ١٩٤ س ٢ : « ويقال لها أيضاً : جنجانة » ، بالنون ، وهو خطأ ، والصواب : جنجالة ، باللام .

١٥ - ص ٩٥ س ٢ - ٥ : « يابرة : مدينة ... ينسب إليها عبدون اليابري ... لم أجد له عندي إلا قوله في الخيري :

قمر وأثواب الظلام تظله ويخفى إذا ما الصبح أهدق حاجبه
وجاء البيت (ص ١٩٩) :

قمر وأثواب الظلام تظله ويخفى إذا ما الصبح أهدق حاجبه
والشطر الأول ، على هذه الرواية ، من البحر الكامل . والشطر الثاني من الطويل . ولعل صواب إنشاده رواية الضبي في بغية الملتبس :

يتم وأثواب الظلام تظله ويخفى إذا ما الصبح أشرق حاجبه
وقد أنشد الحميدي (الجذوة : ٣٨٢) والضبي (البغية : ٥٢٣) البيت منسوباً إلى ابن عبدون اليابري في الباب الذي عنوانه : (باب من نسب إلى أحد آبائه ولم أعلم اسمه) .

وجاء في الجذوة (ص ٣٨٢) والبغية (ص ٥٢٤) بيتان في الخيري

أيضاً يتردد في أولهما معنى بيت اليابري وهو :

ينمّ على الإمساء طيب نسيمه ويخبو مع الاصباح كالمستتر
١٦ - ص ١٠٢ س ١ « الأشبيلي » والصواب : « الإشبيلي » بكسر

الهمزة .

١٧ - ص ١١٤ ص ٤ - ٥ : قال في صفة أبي محمد عبد الله بن
محمد بن قاسم بن حزم « ... كان صالحاً ... ذا علم بارع وصدع
بالحق لا يأبى فيه ملائمة لائم » .

وملائمة صوابها : ملامة .

والعبارة غير مستقيمة ، لا تدل على المراد ، ولفظة (يأبى) فيها قد
تكون محرفة .

وقد جاءت صفة أبي محمد عبد الله في موضع آخر (ص ١٨٤) :
« كان فقيهاً ... صليباً في الحق لا يخاف في الله لومة لائم » . وهي عبارة ابن
الفرضي في تاريخه (١ : ٢٨٥) .

١٨ - ص ١١٨ س ٦ - ٧ : « ينسب إليها [إلى بلنسية] جماعة
من العلماء ، منهم جحّاف بن يمن القاضي ، أحرقه القنيطور النصراني عند
أخذه بلنسية سنة ثمان وثمانين وأربع مئة » .

لم يعلق المحققان بشيء على هذه العبارة . وقد سبق (ص ٤٥ -
٤٦) في الحديث عن بلنسية أن قال الرشاطي : « ينسب إليها جماعة من
العلماء منهم جحّاف بن يمن ، ولاء أمير المؤمنين الناصر ... أحكام
القضاء بموضعه ، فلم يزل قاضياً إلى أن استشهد في غزاة الخندق سنة سبع
وعشرين وثلاث مئة . ذكره ابن حارث » .

وما قاله الرشاطي مطابق لما جاء في ترجمة جحاف بن يمن في كتب أصحاب التراجم .

أما الذي أحرقه القنيطور سنة ٤٨٨ هـ فهو جعفر بن عبد الله بن جعفر بن جحاف بن يمن قاضي بلنسية (انظر بغية الملتبس : ٢٤٠ - ٢٤١) ، وأحرق معه الكاتب الشاعر أبا جعفر أحمد بن عبد الولي البتي (الأندلس في اقتباس الأنوار : ٢٨ ، بغية الملتبس : ١٨٢ ، الذيل والتكملة ١/١ : ٢٧٦) .

١٩ - ص ١٢٣ س ٤ : « قال أبو علي : أجاز في جميع رواياته عن شيوخه ... » .

الصواب : أجاز لي جميع رواياته عن شيوخه . وقد جاءت على الصواب في بغية الملتبس للضببي : ٣٣٢ .

٢٠ - ص ١٢٣ السطر الأخير : « وذكره غيرهم » . الصواب : « وذكر غيرهم » .

٢١ - ص ١٣٢ س ٥ - ٦ : « روى بالأندلس عن أبي عبيد الجبيري ... وأبو بكر الزبيدي ... » الصواب : وأبي بكر الزبيدي .

٢٢ - ص ١٣٣ س ٦ - ٧ : « والرجل من الجلالقة يقادم عدة من الافرنجة »

الصواب : يقاوم

٢٣ - ص ١٣٤ س ٣ - ٤ : « وكل قطعة من وسط البحر جزيرة إن قطعت وفصلت ... »

الصواب : إذ قطعت وفصلت ...

- ٢٤ - ص ١٣٦ س ٩ : « وسمع بمكة من أبي مسلم الكشي ... » .
الصواب : وسمع بمكة من أبي مسلم الكشي ، بالشين المعجمة .
- ٢٥ - ص ١٣٦ س ١٠ : « وسمع ببغداد من أبي قتيبة ... » .
الصواب : وسمع ببغداد من ابن قتيبة ...
- ٢٦ - ص ١٤٠ جاءت ترجمة الخيطي بعد الداني والدلائي ،
والصواب أن تسبقهما ، لأن المؤلف قد نسق أنسابه وفق الترتيب الهجائي .
لم يشر المحققان إلى ذلك .
- ٢٧ - ص ١٤٢ س ٦ - ٨ : « وينسب كذلك موسى بن مطروح
الربضي ... ذكره الحميدي » .
- علق المحققان أن الحميدي ذكره في الجذوة ، الترجمة ٨٨٧ ،
والترجمة المشار إليها ترجمة يحيى بن الحكم الغزال . لقد وقع تحريف في
اسم المترجم ، صوابه : يوسف بن مطروح الربضي . وذكره الحميدي في
الجذوة : ٣٤٦ (رقم ٨٧٧) والضبي في البغية : ٤٧٨ (رقم ١٤٥١) .
- ٢٨ - ص ١٤٤ س ٢ - ٣ : « رية كورة من كور الأندلس ...
لها جند الأردن من العرب ... » الصواب : رية ... بها جند الأردن من
العرب . قال في الروض المعطار (ص ٧٩) : « رية : كورة من كور
الأندلس ... نزلها جند الأردن من العرب » ، وانظر نفح الطيب
٢٣٧ : ١ .
- ٢٩ - ص ١٤٥ س ٤ : « وأهل قرطبة ينتقلون منها إلى الآن رخامها
وعمدانها » الصواب : ينقلون منها ...
- ٣٠ - ص ١٤٨ س ٣ : « ... إنه ولد الرشيد موالي الوليد ... »

الصواب : انه ولد الرشيد مولى الوليد ...

٣١ - ص ١٦٦ س ٤ : « ينسب كذلك أبو عمرو أحمد بن

سعيد ... » .

الصواب : أبو عمر ، كما جاء في ص ٦٤ ، وقد أطبقت على ذلك

كتب التراجم : تاريخ ابن الفرضي ، والجدوة والبغية ...

٣٢ - ص ١٧٣ س ٣ : « ويقال : عدوة ، بالضم والكسر ، وقوي

بها جميعاً .

الصواب : وقرئ بهما

٣٣ - ص ١٨٤ السطر الأخير ، ص ١٨٥ السطر الأول : « كان

يشبه بسفيان الثور في استقضاء المستنصر بالله في موضعه استغفاه

فصرفه ... »

الصواب : كان يشبه بسفيان الثوري [في زمانه] ، استقضاء

المستنصر بالله في موضعه ثم استغفاه فصرفه (انظر تاريخ ابن الفرضي ١ :

٢٨٥) .

٣٤ - ص ٢٠٤ س ١٥ : « روض المعطار » الصواب : الروض

المعطار .

٣٥ - ص ٢٠٥ س ١ : « ترسيع الأخبار » الصواب : ترصيع

الأخبار .

* * *

وكتاب الرشاطي ، وهو كتاب نسب وتراجم ، يمحور بالفوائد ، وقد

اجتزأت بنماذج من درره النفيسة في اللغة والأدب والتاريخ ...

- ١ - معنى ارش الين : نخلتهم وعطيتهم (ص ٢٩ س ٣ ، ص ١١٠ س ٣)
- ٢ - والبلدة أيضا : منى ، كانوا يسمونها البلدة ... (ص ٣٦ س ٨ ، ص ١١٥ س ٦)
- ٣ - في ترجمة أبي الحكم منذر بن سعيد البلوطي فوائد جمعة (ص ٣٧ - ٤٤) :
- جلب إلى الأندلس كتاب العين للخليل ، رواه عن أبي العباس بن ولاد وعن أبي جعفر النحاس ، وكان أخطب الناس ، وله الخطبة الشهيرة أمام الناصر لما احتفل في الجلوس لدخول رسول ملك القسطنطينية ، وأثرت عنه الموعظة التي وعظ بها الناصر حين انهمك في بناء الزهراء .
- ٤ - ومن الفوائد اللغوية :
- الجوف في مصطلح الأندلسيين يعني الشمال (ص ٥٤ س ٢ ، ١٣٣ س ٢ ، ١٣٥ س ٢ ، ...)
- تهتم به الخلفاء (ص ٧٦ ، ١٧٩) ، يستعمل الأندلسيون تهتم به بمعنى عني به ، فهي ترادف كلمة (اهتم) في الاستعمال الحديث .
- عدوة الوادي : شطه . وعدوتاه : شطاه ... ويقال : عدوة ، بالضم والكسر وقرئ بهما جميعاً (ص ١٧٣ س ٢ - ٣) .
- النسبة إلى مدينة (المرية) : المروي . وينسب إليها الأمير ابن ماكولا : (المريي) (ص ٦١ س ١ ، ص ١٦٤ السطران الأخيران)
- رأيت تحت خزانة كانت في بيته خريطة مملوءة دراهم ... (ص ٨٦ س ٧)
- وفي اللسان : « الخريطة : هنة مثل الكيس تكون من الخرق والأدم

- تشرح على ما فيها ، ومنه خرائط كتب السلطان وعماله .
- ٥ - سبتة : مدينة على الخليج الرومي ... والذي سمعتُ أبدأ في سبتة ، بفتح السين ، وفي النسب إليها بكسرهما (ص ١٨٧ س ٢ - ٥) .
- ٥ - ويبدع الرشاطي في صفة بعض المدن وروعة بنيانها كوصفه مدينة ماردة ، ومدينة قرطبة وجامعها ، وسرقسطة (ص ٥٤ ، ١٥٩ ، ٧٦ ، ١٧٩ ، ٨٠ ، ١٨٨) .
- ٦ - ألف أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التبان اللغوي المرسي كتابه الموعب في اللغة ، فأرسل إليه أبو الجيش مجاهد صاحب دانية ألف دينار على أن يزيد في ترجمة الكتاب : « مما ألفه لأبي الجيش مجاهد » ، فرد الدينير وأبى من ذلك ... (ص ٦٢ ، ١٦٣) .
- ٧ - قصة محمد بن عبد الله بن أبي عيسى وزوجه أخت أبي عمر أحمد بن سعيد (ص ٦٥ - ٦٦) وفيها دلالة على اعتداد المرأة بنفسها وكبريائها .
- ٨ - البحر الأعظم المسمى بأقيانس المعروف عندنا بالأندلس ببحر الظلمة (ص ٧٩ ، ١٨٧) .
- ٩ - يقال إن قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي وأباه أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس (ص ٨١ ، ١٨٩) وانظر الفقرة (٣) .
- ١٠ - شجر الشبين هو الصنوبر ، كثير بجزيرة يابسة (ص ٨٢ ، ١٩٠) .
- ١١ - يتحدث عن أحمد بن مسعود الأزدي الشمتاني ، وأنه أديب شاعر ، شعره على نحو طريقة أبي الفتح البستي (ص ٨٦ - ٨٧) .
- ١٢ - ومما يدل على روح الدعابة والظرف التي عرف بها بعض

العلماء ما ذكر عن الوقشي أنه اختصم إليه رجلان فقال أحدهما : يا فقيه ، هذا الرجل اشتريت منه اثني عشر تيساً حاشاك . فقال له الفقيه : فقل : أحد عشر ... (ص ٩١) .

١٣ - ويقول في تفسير كلمة باجة : رأيت في بعض التواريخ ان تفسير باجة في لغة العجم : السلم (ص ١٠٧) .

١٤ - كورة تدمير سبع مدائن : اوربولة وبلتلة ولقنت ومولة وبقسرة واية ولورقة (ص ١٣٠) .

ومرسية من بلاد تدمير . وقد ذكرنا تدمير ... وسمينا هناك بلادها ، وليس مرسية مما ذكرنا هنالك ، لأنها مدينة محدثة بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم (ص ٦٢ س ٢ - ٣ ، ص ١٦٣ س ٢ - ٣) .

١٥ - يتحدث عن تطيلة فيقول : « وهي محاذية لأهل الشرك الذين يسكنون مدينة بمبلونة ، يقال لهم : البشقنس ، ولسانهم البشقنة غير لسان الجلالقة » (ص ١٣١) .

١٦ - يتحدث عن أبي يحيى زكريا بن خطاب بن إسماعيل الكلبي التطيلي ، وأنه كانت له رحلة إلى المشرق سنة ٢٩٣ هـ ، وسمع كتاب النسب للزير بن بكار سمعه من الجرجاني ... (ص ١٣١) .

وتفصيل ما أوجزه ابن الخراط قد جاء في تاريخ ابن الفرضي (١) : (١٧٧) : « سمع بمكة كتاب النسب للزير بن بكار من الجرجاني ، حدثه به عن علي بن عبد العزيز والجمحي والعائذي عن الزير » .

١٧ - ... والجزيرة ما بين الفرات ودجلة ، قيل لها الجزيرة لأنها مثل الجزيرة من جزائر البحر ، مشتقة من الجزر وهو القطع . وكل قطعة من وسط البحر جزيرة إذ قطعت وفصلت عن تخوم الأرض والجزائر

كثيرة ، فجزيرة الأندلس قيل لها جزيرة لأنها بين البحر وبلاد النصارى فهي منقطعة عن أهل ملتها ... والجزائر كثيرة كجزيرة ميورقة ومنورقة وجزيرة يابسة وصقلية ... وكل قطعة في وسط البحر لا يعلوها فهي جزيرة (ص ١٣٤) .

١٨ - طالق : مدينة بالأندلس بقرب إشبيلية ... وكانت دار مملكة الأفارقة بالأندلس (ص ١٤٦) .

١٩ - فريش : موضع بالأندلس بين الجوف والغرب من قرطبة ... والغالب على أشجارها القسطل (ص ١٧٥) .

٢٠ - شتجالة ... ويقال لها : جنجالة ، وإليها ينسب الوطاء الجنجالي لعمله بها (ص ٨٩ ، ١٩٤) .

* * *

أختم هذا العرض بتعداد أبرز المصادر والمراجع التي ترجمت للرشاطي ، أو ذكرت شيئاً من خبره .

١ - الصلة لابن بشكوال (ط مجريط ١٨٨٢ م) ١ : ٢٩١ ، رقم ٦٤٨ .

٢ - بغية الملتبس للضبي (ط مجريط ١٨٨٤ م) : ٣٣٦ رقم ٩٤٣ ، وانظر شيئاً من خبره في الترجمات ذوات الأرقام : ٣٨ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ١٠٤ ، ٤٤٢ ، ٧٤٣ ، ١٢٤٢ ، ١٤٩٧ (ص ٤٩٧ من هذه الترجمة) .

٣ - معجم البلدان لياقوت الحموي (ط ليزيغ ١٨٦٧) ٢ : ٧٨١ (رشاطة) .

٤ - المطرب لابن دحية (القاهرة ١٩٥٤ م) : ٦١ ، ١٢٠ .

- ٥ - المعجم لابن الأبار (ط مجريط ١٨٨٦م) : ٢١٧ - ٢٢٢ ، رقم ٢٠٠ .
- ٦ - التكملة لابن الأبار (ط مجريط ١٨٨٩م) : ٢ : ٧٥٦ ، رقم ٢١٥١ .
- ٧ - وفيات الأعيان (تح. احسان عباس) : ٣ : ١٠٦ - ١٠٧ .
- ٨ - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة للأنصاري المراكشي (ط بيروت ١٩٦٥) : ١/٥ : ٢٣٤ (ترجمة أبيه) ، ١/٥ : ٢٣٤ - ٢٣٥ (ترجمة ابنه) .
- ٩ - تذكرة الحفاظ للذهبي : ٤ : ١٣٠٧ - ١٣٠٨ .
- ١٠ - سير أعلام النبلاء للذهبي : ٢٠ : ٢٥٨ - ٢٦٠ .
- ١١ - البداية والنهاية لابن كثير : ١٢ : ٢٢٣ .
- ١٢ - لب الباب للسيوطي (ط بريل ١٨٦٠) : ١١٧ .
- ١٣ - نفح الطيب (تح. احسان عباس) : ٤ : ٤٦٢ .
- ١٤ - تاج العروس (رشط) .
- ١٥ - كشف الظنون لحاجي خليفة : ١ : ١٣٤ (اقتباس الأنوار ...) .
- ١٦ - هدية العارفين : ١ : ٤٥٦ .
- ١٧ - الأعلام للزركلي : ٤ : ١٠٥ .
- ١٨ - معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٦ : ٩٠ .

جامع الأصول

في أحاديث الرسول وتتمته

مأمون الصاغرجي

جامع الأصول كتاب جمع فيه مؤلفه ابن الأثير الأصول الستة التي تعدُّ أمَّ كتب الحديث وأشهرها في أيدي الناس ، والتي بأحاديثها أخذ العلماء واستدل الفقهاء وأثبتوا الأحكام ، وهي : صحيح البخاري ومسلم ، وموطأ مالك ، وكتب السنن الثلاثة : سنن أبي داود السجستاني ، والترمذي ، والنسائي . وأصحاب هذه الأصول من أشهر المحدثين في الإسلام وأكثرهم حفظاً ، وأعرفهم بمواضع الخطأ والصواب ، وإليه المنتهى في هذا الفن ، لذلك تلقت الأمة كتبهم بالقبول والرضا ، فأحب ابن الأثير^(١) أن يضم هذه الكتب الستة في كتاب واحد يكون جامعاً لمتون الحديث ، على أن يحذف الإسناد والمكرر ، ثم يعزوها إلى الأصل الذي أخرجها منه ، وكان قد تقدّمه في ذلك رزين بن معاوية العبدري

(١) هو المبارك بن محمد أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الموصل ، يكنى أبا السعادات ويلقب مجد الدين ، ويعرف بابن الأثير ، والأثير لقب أبيه أثير الدين أبي الكرم ، وشيخان القبيلة التي انتسبت إليها أسرته ، والجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر ، وهي بلدة صغيرة على الشاطئ الغربي لدجلة شمالي الموصل ، وبها توفي سنة ٦٠٦ هـ .

ويعرف بابن الأثير أشقاء ثلاثة حازوا المجد من أطرافه ، فأكبرهم صاحب الكتاب الذي نتحدث عنه وهو مؤلف النهاية في غريب الحديث ، وثانيهم علي المتوفى سنة ٦٣٠ هـ وهو صاحب الكامل في التاريخ وأسد الغابة واللباب في الأنساب ، وثالثهم الوزير الكاتب نصر الله المتوفى سنة ٦٣٧ هـ صاحب كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .

السرقسطي الأندلسي المتوفى ٥٣٥هـ ، إذ جمع الأصول الستة تلك في كتاب سماه « التجريد للصحيح الستة »^(٢) ، بيد أنه وجدده قد أودع مؤلفه فيه أحاديث في أبواب ربما كان غيرها أولى بها ، وكرر فيه أحاديث كثيرة وأغفل غيرها لغرض ما ؛ فكان هذا هو الباعث لابن الأثير على تهذيب كتاب رزين وترتيبه وبنائه من جديد ، فبوّبه وشرح غريبه وسماه « كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول »^(٣) .

وبقي هذا الجامع مخطوطاً لا ينتفع به إلا الأقلون ، إلى أن قُيِّض له أن يظهر للناس بين الأعوام ١٩٤٩ و ١٩٥٥م^(٤) على يد الشيخ محمد حامد الفقي بمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ، أخرج منه اثني عشر جزءاً ، وأشار في خاتمة الجزء الثاني عشر ص ٣٩٣ أن سيتلوه الجزء الثالث عشر ، ويتدئ بالخواتم وهي مفاتيح الكتاب التي لا غنى له عنها . ولأمر نجمله توقف الكتاب عن الصدور ، ثم تلا ذلك وفاة الشيخ الفقي عام ١٩٥٩م^(٥) رحمه الله ولما يتم الكتاب بعد .

وبعد نحو من عشرين سنة على طبعة الشيخ الفقي قام بإعادة تحقيقه ونشره الأستاذ الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، وذلك في سنة ١٩٦٩م ، وامتازت هذه من سالفها بأن الأستاذ عبد القادر نهض بتخريج الأحاديث الواردة فيه ، مبيّناً درجة كل حديث من حيث الصحة والحسن والضعف ، وقد صدر من هذه الطبعة أحد عشر مجلداً ، واشتركت الطبعتان في توقفهما عند آخر كتاب اللواحق ، أي عندما يعادل ثلثي الكتاب .

(٢) انظر جامع الأصول ٤٩/١ .

(٣) انظر جامع الأصول ٥٢/١ .

(٤) ذكر بعضهم أنه طبع في الهند سنة ١٣٤٦هـ ، ولم أقف على هذه الطبعة انظر

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٦٥ ، ص ٦٣٥ .

(٥) انظر ترجمة الشيخ الفقي في معجم المؤلفين ١٧٢/٩ .

والآن بعد مضي نحو من عشرين سنة على طبعة الأستاذ الأرناؤوظ
ظن كثير من الناس أن الكتاب انتهت أجزاءه وكمل بإصدار جزأين في
فهرسة أحاديثه ، وربما كانت هذه المدة المنصرمة على مضي الطبعة الأولى
والثانية ، والطبعات المصورة المتعددة التالية لهما قد رسخ عندهم أن الكتاب
تمَّ بهذا القدر ، ولكن الواقع يثبت خلاف ذلك ، فالمؤلف عندما وضع
كتابه بناء على ثلاثة أركان^(٦) : الأول خصّه بالمبادئ ، وفيه تحدث عن
الباعث على عمل الكتاب ، ومبدأ انتشار علم الحديث وجمعه وتأليفه ،
واختلاف الناس ومقاصدهم في تصنيف الحديث ، ثم كيفية وضع
الكتاب ، وفرّع في طرق نقل الحديث وما اصطلحه أهل هذا الفن في ذكر
أنواع الحديث وطبقات المحدثين جرحاً وتعديلاً ، فاستغرق ذلك مئتي
صفحة ونيفاً . والركن الثاني خصه بالمقاصد ، وهي الكتب المقسّمة على
حسب اختلاف معاني الأحاديث في ثمانية وعشرين حرفاً من حروف
المعجم ، وحسب الحرف الذي ابتداء به معنى الحديث ، مثال ذلك :
الإيمان ، البرّ ، التفسير ، الثناء ، الجهاد ، الحج ، الخلق ، الدعاء ...
وهكذا كل معنى تجده في كتاب ، وكل كتاب يندرج في أحد الحروف
الثمانية والعشرين^(٧) ، وقد استغرقت هذه الكتب بقية الجزء الأول إلى آخر
الجزء الحادي عشر منه .

أما الركن الثالث فقد خصّه بالخواتم أو الخواتيم ، وهي أربعة الأجزاء
التي نحن بصدد التعريف بها ، وقد أشار ابن الأثير إلى هذا الركن في مقدمته
ص ٢٥ من الجزء الأول بقوله : « وقد أفردت باباً في آخر الكتاب يتضمن
أسماء الجماعة المذكورين في جميع الكتاب ، إن كان صحابياً أو تابعياً أو
غيره ، ورتبته على حروف (أ ب ت ث) » . وقال أيضاً في ص ٦٧ ،

(٦) انظر جامع الأصول ١/ ٣٤ ، ٣٥ .

(٧) بلغ عدد هذه الكتب ١٢٩ كتاب .

٦٨ من مقدمته : « لما استقرَّ وضع الأحاديث في الأبواب والكتب والحروف تتبَّعَتْها فوجدت فيها أحاديث ينبو بها مكانها ، وإن كان أولى بها من غيره من سائر الأمكنة ، وكان طالب تلك الأحاديث أو بعضها ربما شذَّ عن خاطره موضعها والتبس عليه مكانها ، أو مشتبهة على طالبها ، وخرَّجت منها كلمات ومعاني تعرف بها الأحاديث ، وأفردت لها في آخر الكتاب باباً أثبت فيه تلك المعاني مرتبة على حروف (أ ب ت ث) مسطورة في هامش الكتاب وبإزائها موضعها من أبواب الكتاب » .

وأثبت المحقق راموز الورقة الأخيرة من النسخة الأولى ، وفيها تبيان للركن الثالث من الكتاب ، وفيه : الفن الأول في التنبيه على أحاديث مجهولة الموضع ، والفن الثاني في الأسماء والكنى والأبناء والألقاب والأنساب ...

والخلاصة : إن هذه الأدلة واضحة في أن الكتاب لمَّا يته إلا بإصدار الركن الثالث منه ، وبعد هذه السنين المنصرمة تهاً لإتمامه دار للنشر تنهض بطبعه وتسمى باسم مؤلفه ، وهي دار ابن الأثير - بيروت ، فأصدرته في أربعة أجزاء محققة بإشراف الأستاذ الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في العام الفات ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م وهذه نبذة عنها :

الجزء الثاني عشر : تحقيق محمود الأرناؤوط ، ويتضمن :

الفن الأول من الركن الثالث : وهو فهرس للتنبيه على الأحاديث المجهولة الموضع ، سماه المحقق « فهرس الألفاظ الخفية »^(٨) . (من ص ٢٥

(٨) قال ابن الأثير في مقدمة هذا الجزء ص ٢٥ : « قد استخرجنا من تلك الأحاديث التي ربما اشتبه موضعها كلمات هي أشهر ما فيها ، كان الحديث يعرف بها ، فإنه لا يخلو الإنسان أن يعرف من ذلك الحديث كلمة يُستدل بها » . قلت : وهذا يناقض معنى الاسم الذي أطلقه المحقق ، ولو أنه سماه « فهرس الألفاظ المشتهرة » لكان أشبه بالصواب ، لأن هذه الألفاظ اشتهرت فاستدل بها على موضع الحديث .

إلى (٢١٤) .

الفن الثاني من الركن الثالث وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول : وفيه ذكر النبي ﷺ وما يتعلق به من مولده وأسمائه وأسماء مراضعه ومنشئه وتنقله وصفاته وأزواجه وسراريه وأولاده وأسماء أعمامه وعماته ومرضه ووفاته ومدة عمره . (من ص ٢١٥ - ٢٨١) .

الباب الثاني : في ذكر جماعة من الأنبياء ومن يتعلق بهم (ص ٢٨٢ - ٢٩٧) .

الباب الثالث : في ذكر العشرة من الصحابة المبشرين بالجنة (ص ٢٩٨ - ٣٢٠) .

الجزء الثالث عشر : تحقيق محمود الأرناؤوط . ويحتوي هذا الجزء

على :

الباب الرابع : وفيه ذكر تراجم الصحابة رضي الله عنهم ثم من بعدهم من التابعين وغيرهم ممن لهم ذكر أو رواية في الكتاب ، سواء كان جاهلياً أم قديماً ، وسواء كان اسم قبيلة أم من اشتهر بكنية أو لقب أو نسب . وقد رتب المؤلف هذه الأعلام جميعها على حروف المعجم ، وكل حرف قسمه إلى فرعين أو ثلاثة ، ففرع للصحابة وآخر للتابعين فمن بعدهم ، وثالث لغير هذين الفرعين من جاهلي قديم أو غيره ، وربما جاء آحاد الحروف من النساء واحدة أو اثنتان فسلكه المؤلف في أسماء الرجال ، ابتداءً هذا الجزء بحرف الهمزة ص ٧ ، وانتهى بنهاية حرف الخاء المعجمة عند ترجمة الخولاني ص ٤٦٤ .

الجزء الرابع عشر : تحقيق رياض عبد الحميد مراد ، ويتضمن قسماً من الباب الرابع الذي ذكرته آنفاً في الجزء الثالث عشر ، فيبتدئ بحرف الدال ترجمة دحية الكلبي (ص ٥) وينتهي بنهاية حرف العين المهملة ؛

ترجمة العيشي (ص ٨٦٠) .

الجزء الخامس عشر : تحقيق محمد أديب الجادر ، وفيه تنمة الباب الرابع الذي ذكرتُ بدايته في الجزء الثالث عشر ، فيفتح الجزء (ص ٥) ببداية حرف الغين المعجمة ، ترجمة غالب بن أبجر إلى آخر حرف الياء ، ترجمة اليماني (ص ٥٩٣) . وفيه أيضاً :

الباب الخامس : وفيه ذكر جماعة لهم ذكر ورواية ولم يصرح بأسمائهم في الأحاديث التي مرّ ذكرها في الكتاب ، فنبه المؤلف على اسم من عرفه منهم ، وهذا الباب من الأبواب المهمة في الكتاب ، (من ص ٥٩٤ إلى ٦١٥) وقد عرف هذا الفن في اصطلاح المحدثين بـ « الأسماء المهمة » أو « المبهمات » ، وقد أفردت له مؤلفات خاصة .

ويحوي هذا الجزء أيضاً الفن الثالث^(٩) من الكتاب ، وهو فهرس لجميع الكتب الواردة في الركن الثاني الذي أملت إليه في ص ٣ (من ص ٦١٦ - ٦٨٤) ثم خاتمة الكتاب (من ٦٨٥ - ٦٨٨) .

(٩) جاء في المطبوع بعنوان « الفن الرابع » وهو خطأ .

مطبوعات مجمع اللغة العربية

في عام ١٩٩١م

مأمون الصاغرجي

عبد الله كنون - سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة ورد شبهات الحاقدين والدقة - تأليف الدكتور عدنان الخطيب (٨٢ صفحة) .

الأستاذ كنون عضو مراسل في مجمع دمشق منذ عام ١٩٥٥ ، وفي مجمع القاهرة منذ عام ١٩٦٢ ، وكان عضواً في كل من مجمع بغداد وعمان والمملكة المغربية ، وأميناً عاماً لرابطة علماء المغرب ، وعضواً عاملاً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . وقد كان للأستاذ كنون - رحمه الله - مشاركة وافرة في النشاط الجمعي علماً وأدباً ولغةً وتاريخاً ، وكان له نشاطات ثقافية بارزة متعددة ، اختاره الله إلى جواره عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م . فكتب الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق مؤلفاً لطيفاً في ترجمته تخليداً لذكراه ، استهله بلمحة تاريخية عن مدينة فاس مهد الأستاذ كنون وعاصمة المغرب الأقصى ، وخصّ من اشتهر من بيوتاتها بالذكر بيت كنون المنتسبين في أصلهم إلى الأدارسة ، وألح إلى هجرتهم من فاس إلى طنجة بسبب الاستعمار الفرنسي ، وبتنجة استقرت أسرته وبها نشأ وتلقى علومه .

ثم تحدث الدكتور الخطيب عن الفقيد ونبوغه المبكر ، وبخاصة في كتابه « النبوغ المغربي في الأدب العربي » إذ ألفه وهو في العشرينات من

عمره ، ملمعا إلى صده الواسع في الجامعات الأوربية ، وتنويه بروكلمان وجيوفاني بيانكي به (ص ١٨) .

وتناول الدكتور الخطيب بالبحث أبرز الجوانب الثقافية في حياة كنون ، تجلّى ذلك في كونه كاتباً مسلماً ، وأديباً ناقدًا ، وشاعراً مرهف الإحساس . واختار نماذج من مآخذه على كتاب « المنجد في الآداب والعلوم » ، (ص ٢٤) وذكر منتخبات من أشعاره (ص ٤٠) ، وأفرد فقرة لنشاطه الجمعي فذكر قائمة بأسماء المقالات التي نشرت له في مجمع دمشق خاصة (ص ٥٦ - ٥٨) ، وأشار إلى صلته بمجمع القاهرة (ص ٥٩) . ثم ختم الدكتور الخطيب مؤلفه هذا بملخص عن حفل التأين الذي أقامه مجمع القاهرة في ذكرى وفاته (ص ٦٨) ، وقائمة بمصادر ترجمته .

كتاب التوير في الاصطلاحات الطبية - تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري المتوفى نحو ٣٩٠هـ - تحقيق وفاء تقي الدين (١١٢ صفحة) .

ربما يدفع هذا الكتاب - على ضالة حجمه - التهمة عن المكتبة العربية خلوها من المعجمات المتخصصة ، بل ربما يُعدّ من أوائل الكتب التي عنت بالاصطلاحات الطبية ، وهو يمثل مرحلة مبكرة من مراحل التصنيف العلمي المنهجي .

وتبدو أهمية هذا الكتاب من كونه يمثل نواة لمعجم متخصص في ألفاظ اصطلاح عليها الأطباء في العصر العباسي قد لا يفهمها إلا أهل هذه الصناعة ، وربما كانت هذه الألفاظ عربية الأصل ولكنها اكتست معاني خاصة ، أو أعجمية معربة (ص ٤) . وقد ألمع المؤلف في خطبة الكتاب إلى أنه التقط هذه الألفاظ من بطون الكتب وتضاعيف الكناشات ، وقف عليها متفرقة في كتب شتى ، والباحث في علم الطب يحتاج في تحصيلها والوقوف على معانيها إلى تكلف شديد ربما حمله على الإعراض عنها

(ص ١٢) . وقد فسر هذه الألفاظ تفسيراً مجرداً ، مُعرضاً فيه عن ذكر الأسباب والعلل ، مدركاً أن اللغة العربية بطبيعتها تحمل معاني خارجة عن مقصود الأطباء في صناعتهم .

قسم المؤلف كتابه في عشرة أبواب ، أدرج فيها أسامي العلل والطبائع في بدن الإنسان ، وذكر أسماء أشياء تستخدم في العلاجات والقراذيل ، كما ذكر الأوزان والمكاييل المستخدمة في هذه الصناعة .

اعتمدت المحققة في إخراج النص والتعليق عليه على عدد من النسخ وصفتها في مقدمة الكتاب ، وأحسنّت عملاً إذ صنعت فهرس متنوعة ، يجد الباحث نفسه في أمس الحاجة إليها ، ففهرس لمواد الكتاب ، وآخر لأسماء النبات ، وثالث لأسماء الحيوان ، ورابع لأسماء الأدوات .

تاريخ مدينة دمشق - تأليف الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر - المجلد الحادي والأربعون - تحقيق سكيّنة الشهابي (٤٨٥ صفحة) .

يتضمن هذا المجلد التراجم من : عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن أبو القاسم المقرئ ، إلى عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة .

سلكت المحققة في إخراج النص والتعليق عليه المنهج الذي أوضحته في مجلد ترجمة عثمان بن عفان ، وبقية الأجزاء التي عنيت بإخراجها من التاريخ ، والتزمت بصنع فهرس فنية تضمنت أسماء المترجمين والأعلام والشيوخ والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر والأماكن والأيام والوقائع والكتب التي ذكرها المصنف .

تاريخ مدينة دمشق - تأليف الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر - السيرة النبوية (القسم الثاني) - تحقيق نشاط غزاوي (٤٧٠ ص) .

تضمن هذا المجلد- ١٤ أربعة عشر باباً من السيرة النبوية ، يبدأ بالباب الثالث عشر « باب عروجه ﷺ إلى السماء واجتماعه بجماعة من الأنبياء » ، وينتهي بالباب السادس والعشرين « باب مختصر من دلائل نبوته » عند خبر حنين الجذع . وكانت المحققة قد أخرجت القسم الأول (طبع سنة ١٩٨٤) وفيه اثنا عشر باباً .

وقد بينت في مقدمتها الموجزة الأصول التي اعتمدتها في التحقيق ، وأشارت إلى الخروم الواقعة فيها ، واتبعت في إخراج النص والتعليق عليه المنهج الذي أوضحت في القسم الأول ، وتوجت عملها بصنع فهرس فنية انتظمت فيها الموضوعات وأسماء الشيوخ وسماعات هذا الجزء والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر .

ومما يحسن الإشارة إليه هنا أن ما طبع في المجمع من تاريخ ابن عساكر حتى إصدار هذا الجزء بلغ أربعة عشر مجلداً ذكرت في الصفحة الأخيرة من غلافه .

آراء وأنباء انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق السادة الآتية أسماؤهم
أعضاء مراسلين في المجمع :

١ - من جمهورية مصر العربية :

- الدكتور شوقي ضيف .

- الدكتور كمال بشر .

٢ - من الجمهورية الجزائرية :

- الأستاذ مولود قاسم .

- الدكتور أبو القاسم سعد الله .

٣ - من أسبانيا :

- الدكتور خيسوس ريو ساليديو .

٤ - من ألمانيا :

- الدكتور رودلف زهايم .

٥ - من المملكة العربية السعودية :

- الأستاذ حسن عبد الله القرشي .

- الأستاذ عبد العزيز الرفاعي .

- الأستاذ عبد الله خميس .

٦ - من الجمهورية العربية السورية :

- الدكتور صلاح الدين المنجد .
 - الدكتور شاكر مصطفى .
 - الدكتور عبد الله عبد الدايم .
 - الأستاذ عبد المعين ملوحي .
 - الدكتور عبد السلام العجيلي .
 - الدكتور عبد الكريم الأشر .
 - الدكتور عمر الدقاق .
 - الدكتور خالد الماغوط .
- وقد صدر عن السيد وزير التعليم العالي قرار تعيينهم (القرار ذو الرقم ١٧ في ٢٥/٣/١٩٩٢) .

انتخاب لجان المجمع الدائمة

نظر مجلس المجمع في جلسته العاشرة المنعقدة في
(١٢/٦/١٤١٢ هـ - ١٨/١٢/١٩٩١ م) في لجان المجمع الدائمة وأقر
تأليفها على النحو الآتي ذكره :

لجنة المصطلح : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٢٢/ن تاريخ
١٦/١/١٩٩٢ م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب
الأستاذ المهندس وجيه السمان
الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان
الأستاذ الدكتور مختار هاشم
الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا
الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم
الأستاذ الدكتور عادل العوا
الأستاذ جورج صدقتي

ومن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .
مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة الأصول : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٢٣/ن تاريخ ١٦/١/١٩٩٢ م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
الأستاذ أحمد راتب النفاخ
الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص
الأستاذ الدكتور مختار هاشم

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .
مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .
لجنة المخطوطات وإحياء التراث : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٢٤/ن تاريخ ١٦/١/١٩٩٢ م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب
الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
الأستاذ الدكتور مختار هاشم
الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا
الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد
الأستاذ الدكتور عادل العوا

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .
مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .
لجنة المجلة والمطبوعات : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٣٦/ن تاريخ ١٦/١/١٩٩٢ م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
الأستاذ أحمد راتب النفاخ
الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

الأستاذ الدكتور محمد إحصان النص

الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

الأستاذ جورج صدقني

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

الأستاذ أحمد راتب النفاخ في ذمة الله

الدكتور إحسان النص

فقد مجمع اللغة العربية بدمشق عضواً بارزاً من أعضائه العاملين هو
المرحوم الأستاذ أحمد راتب النفاخ الذي اختاره الله لجواره صبيحة يوم
الجمعة الحادي عشر من شعبان ١٤١٢ هـ الموافق للرابع عشر من شباط
١٩٩٢ م ، فأثار فقده عميق الأسى والحسرة في نفوس ذويه وزملائه
وأصدقائه وطلابه . تغمده الله بفيض رحمته وجعل مثواه جنان الخلد .

لقد فقد مجتمعنا بفقده ركناً من أركانه الوطيدة ، وفقدت الأمة
العربية باحثاً محققاً قل نظرائه في أقطار الوطن العربي .

كان الفقيد قمة شائخة من قمم البحث العلمي ، وكان بحراً فياضاً
في مجال الدراسات الإسلامية واللغوية والأدبية وكل ما يتصل بالتراث العربي
الإسلامي ، نهل من معينه الثرّ المئات من الباحثين واغترف من موره
الآلاف من الطلاب من أبناء العروبة الذين قرؤوا عليه في الجامعة .

كان الفقيد لا يرضن بما لديه على طالب علم يقصده للاستشارة برأيه
وتوجيهه ، ينفق الساعات الطوال في مراجعة ما أشكل أمره على أصدقائه
وطلابه من عويص العضلات اللغوية والأدبية والنحوية . كان أبذل الناس
لما عنده ، يسخو بعلمه وكتبه ووقته على قاصديه ، لا يضيق بمهمة تناط به
أو يبحث يكلف مراجعته ، جليسه الدائم كتاب الله والكتب التي تحفل بها
مكتبته الزاخرة بأمهات المراجع وعيون التراث ، وكان بيته مقصد طالبي
المعرفة والعلماء .

ولد الفقيه الكريم سنة سبع وعشرين وتسعمئة وألف بمدينة دمشق ، وهو سليل أسرة تنقلت بين حوران وبعليك لتستقر آخر الأمر بدمشق ، وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية والجامعية فيها ، ولما حصل على الإجازة في الآداب عام خمسين وتسعمئة وألف عينَ أستاذاً للعربية في إحدى ثانويات مدينة درعا . وبعد ثلاث سنوات عينَ في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق . (كلية الآداب) لتدريس العربية ، فنهض بهذه المهمة على خير وجه وتخرج به كثيرون ، ثم أوفد إلى جامعة القاهرة لنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه فحصل على الماجستير عام ثمانية وخمسين وتسعمئة وألف ، وكان موضوع رسالته دراسة حياة الشاعر ابن الدمينه وشعره وتحقيق ديوانه . ثم سجل موضوع رسالة الدكتوراه في القراءات وأنجز الجانب الكبير منها ، ولم يكن بينه وبين نيلها إلا استيفاء بعض جوانبها ، ولكن أمراً ما دفع راتباً إلى الإحجام عن إنجازها والرجوع إلى دمشق لمعاودة التدريس في جامعته ، فخرس البحث العلمي بذلك دراسة متعمقة في القراءات القرآنية لا يقوى على النهوض بها إلا أولو العزم والكفاية من العلماء ، ولم يكن همّ الفقيه الحصول على الألقاب العلمية والتباهي بها بل كان زاهداً في ذلك كل الزهد ، وهمّه إنما هو في تحصيل العلم الصحيح ليس غير .

لم يكن الفقيه ممن يتعجلون في إنجاز بحوثهم وإنما كان يؤثر الأناة والروية وإمعان النظر ، وطبيعته المتأنية المدققة هذه هي التي حملته على التريث في إنجاز رسالة الدكتوراه ، وهي تفسر كذلك عدم إقدامه على تأليف الكثير من الكتب والدراسات واكتفائه بالقليل الذي يطمئن إلى صحته وسلامته من المآخذ والهفوات . وقد عني بالتحقيق فجاء صنيعه غاية في دقة الضبط ، وقد قام بتحقيق كتابين أولهما ديوان ابن الدمينه ، والثاني كتاب « القوافي » للأخفش .

ومن آثاره صنع فهرس لشواهد سيويه ، وقد يَسَّر بهذا الفهرس السبيل على الناظرين في كتاب سيويه ، وعني الفقيد كذلك بجمع مختارات من الشعر الجاهلي وضعها بين أيدي طلابه في الجامعة ، واختياره ينم عن تذوق لعيون الشعر الجاهلي وخبرة وافية بدقائق معانيه .

وإلى ذلك عني الفقيد بنقد بعض ما نشره المحققون من كتب التراث ، إيدفعه إلى ذلك غيرته الشديدة على التراث ، وحرصه على عدم العبث به ، وكانت هذه الغيرة وذاك الحرص ربما دفعاه إلى أن يعنف أحياناً في نقده ، وعذره في ذلك نظرتة المثالية إلى تحقيق التراث الذي ينبغي أن يكون عنده بريئاً من آفات التصحيف والتحريف ، وإلى المحقق الذي ينبغي أن يكون عنده مستوفياً عدة البحث والتحقيق ، متأنياً في عمله ، طويل النفس في تفصي مظان البحث وموارد التحقيق . وقد نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق وفي غيرها من المجلات نقداً حول تحقيق طائفة من كتب التراث المنشورة ، ومنها : « رسالة الغفران » للمعري ، و « المحتسب » لابن جنّي ، و « القوافي » للأخفش ، و « إعراب القرآن » المنسوب للزجاج . وقد ردّ إلى الصواب ما وقع فيه محققو هذه الكتب من أخطاء التصحيف والتحريف وشرح المعاني وغيرها .

وفضلاً عن إسهام الفقيد في تحقيق كتب التراث ونقد ما ينشر منها ، كان له مشاركته البارزة في أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق ، سواء في تقويم البحوث التي ترسل إلى المجمع لنشرها في مجلته أو في معالجة المشكلات التي تعرض في جلساته ، وكان - رحمه الله - ي بذل من الجهد في قراءة بحوث المجلة وتقويمها ما يوهي قوى أولي العزم .

وللفقيد أصدقاؤه من كبار العلماء والباحثين في شتى أقطار العروبة والإسلام ، وكلهم عرفوا له مكانته العلمية ورسوخ قدمه في علوم العربية والدراسات الإسلامية والقرآنية ، فالحسارة بفقدته جسيمة لا تعوّض ، والله

نسأل أن يتغمده بشآيب رحمته ، ولئن قل لبثه في هذه الدنيا الفانية ،
لمقامه في جنة الخلد التي ندعو الله أن يجعلها مثواه أبقي وأخلد .

توصيات

مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة

في الدورة الثامنة والخمسين

(١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)

عقد مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة دورته الثامنة والخمسين في
المدة (٢٣ رجب - ٧ شعبان ١٤١٢هـ = ١/٢٧ - ١٠/٢/١٩٩٢م) ،
وقد نوقشت وأقرت في جلساته الثلاث عشرة مصطلحات في الجغرافيا
والجيولوجيا وعلوم الأحياء والزراعة والحاسبات والرياضيات والفيزياء والعلوم
الطبية والتربية الرياضية والهندسة الميكانيكية .

وألقى الأساتذة المشاركون بحثاً في تعريب التعليم الجامعي وفي
موضوعات متنوعة نحوية ولغوية وتاريخية وجغرافية وأدبية ، وناقشوا أعمال
اللجان اللغوية : لجنة الأصول ، ولجنة الألفاظ والأساليب ، ولجنة
اللهجات ، واستعرضوا جزءاً من المعجم الكبير .

وقد ختم المؤتمر جلساته بإصدار القرارات والتوصيات . وهذا نص
ما جاء في توصيات المؤتمر :

١ - يؤكد المؤتمر توصياته السابقة بأن يُعنى في مرحلة التعليم
الأساسي بحفظ الناشئة للأجزاء الثلاثة الأخيرة من القرآن الكريم على
الأقل ، لتستقيم الملكة اللغوية لهم ، ويتمثلوا قيمه الجمالية والسلوكية
والاجتماعية .

٢ - يوصي المؤتمر الدول العربية وجامعاتها بتعريب التعليم الجامعي
في جميع مراحلها ، وتعد المعجمات العلمية المتخصصة التي أصدرتها مجامع

اللغة العربية الركيزة التي تقوم عليها حرمة التعريب .

٣ - يوصي المؤتمر حكومات الدول العربية بإنشاء مؤسسة على مستوى الوطن العربي ، على أن تكون هذه المؤسسة مستقلة وذات جدوى اقتصادية ، وتكون مهمة هذه المؤسسة العمل على ما يلي :

أولاً : نقل العلوم والتقنيات والمهنيات الحديثة والمعجمات المتخصصة والموسوعات والدوريات وما أشبه ذلك إلى اللغة العربية .

ثانياً : نقل تراث الفكر والأدب العالمين إلى اللغة العربية .

٤ - يوصي المؤتمر الدول والحكومات العربية بالحرص على أن تكون اللغة العربية (لغتنا القومية) هي اللغة التي تلتزم بها جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

٥ - يوصي المؤتمر جميع الدول العربية المتتمة إلى جامعة الدول العربية بضرورة الالتزام بالحرف العربي في الكتابة باللغة الفصحى ، ويؤكد المؤتمر دعوته السابقة إلى حكومة الصومال بالعودة إلى الأبجدية العربية .

٦ - يوصي المؤتمر جميع الدول الإسلامية أن تلتزم بما كانت ملتزمة به من استعمال الحرف العربي في كتابة لغاتها القومية .

٧ - يؤكد المؤتمر توصيته السابقة ببذل الجهود لوضع معجم كبير للعامي الذي له أصل في الفصحى المشترك في البلدان العربية ، حتى تتقارب وتتعارف بلغة مشتركة .

٨ - يؤكد المؤتمر توصيته السابقة بدعوة اتحاد الجامعات اللغوية العلمية ، والجامعات ، والهيئات العلمية إلى توحيد المصطلحات في جميع العلوم بالوطن العربي ، حتى تنتهي البلبلة فيها ، ويتعاون علماؤنا في نهضة العلوم ببلادنا نهضة جماعية عربية .

٩ - يؤكد المؤتمر توصيته السابقة بزيادة عدد الساعات في تدريس

اللغة العربية ، مع العناية في النصوص بالضبط الكامل ، ومع تيسير القواعد للناشئة والاستعانة في ذلك بما أقره المجمع من تيسير لهذه القواعد .

١٠ - يوصي المؤتمر بالعناية في التدريس للناشئة ، وفي جميع وسائل الإعلام ، وفي الإذاعتين المسموعة والمرئية باستخدام الفصحى ، ولتحقيق ذلك يوصي المؤتمر بإعداد المذيعين والمذيعات إعداداً لغوياً سليماً نطقاً وكتابة .

١١ - يؤكد المؤتمر توصيته السابقة بضرورة إصدار تشريعات تقضي بكتابة اللافتات على المحال التجارية والشركات والفنادق بالعربية إلى جانب اللغة الأجنبية ، كما تحظر كتابة الأسماء الأجنبية عليها بحروف عربية .

١٢ - يدعو المؤتمر رجال الدولة وجميع المسؤولين في الوطن العربي أن يلتزموا في خطبهم وبياناتهم الموجهة إلى الجماهير باللغة العربية السليمة ، لما لذلك من تأثير عميق في نفوس الجماهير ، وتمثيلها القويم للبيان العربي .

نقش جُديد بالخط الآرامي

في مدينة متسختا - سامتافرو

المؤلف : قسطنطين تسيرتيلي

غسان منيف عيسى

صدر هذا الكتاب (وصفحاته ٨٠ صفحة بالقطع الصغير) في مدينة تفليس عاصمة جورجيا (بلاد الكرج) سنة ١٩٩٠ م ، باللغتين الروسية والانكليزية ، ويتحدث مؤلف الكتاب عن كشف مدفن في مدينة متسختا بجورجيا يعود تاريخه إلى القرنين الثاني والثالث للميلاد ، ويحوي بقايا جشتين ، ومجموعة من الأواني البرونزية والفضية والذهبية . وبلغت المؤلف الانتباه إلى وجود صحن فضي يحمل نقشاً بالخط الآرامي ، ويبين صلاته الوثيقة بالكتابة الأرمازية (الاسم الحالي للآرامية في جورجيا وما جاورها) ، ونقوش بلاد الرافدين .

ثم ينتقل المؤلف إلى مقارنة النقش الجديد بالنقوش الآرامية الأخرى ، فيبين وجود تشابه ملحوظ بينه وبين نماذج النقوش الآرامية التي استخدمتها الشعوب الإيرانية على نطاق واسع (بين القرنين الثالث قبل الميلاد والثالث للميلاد) ، ويتألف النقش من ستة عشرة حرفاً (من اليمين إلى اليسار) وهي غير متصلة .

ويعمد المؤلف إلى تحليل للحروف على نحو مفصل بالاعتماد على المقارنة بين حروف النقش الجديد والحروف التي كشفت في النقوش الآرامية الأخرى (مثل نقوش شمالي بلاد الرافدين ، والنقوش البارثية (الفرثية) ، ونقوش مدينتي نيبور في جنوبي العراق ، وتدمر . ويخلص إلى أن النقش آرامي يحمل عبارة : « تيريدت بر بيتاً نبجه » ومعناها : « تيريدت الأمير

(هذا الصحن) ملكه .

ويبين المؤلف معتمداً على اقتراضات علماء الآثار أن قسماً من هذه الأدوات المكتشفة في المدفن ، ومن ضمنها الصحن الفضي قد وصلت إلى جورجيا هدية قدمها دبلوماسيون ، وأن الصحن يخص أسرة من عليّة الناس (قد تكون أسرة ملكية) .

ويرجح المؤلف أن النقش بارثي ، إذ كان الخط الآرامي متداولاً في المملكة البارثية ، لأن اللغة الآرامية انتشرت في الامبراطورية البارثية الواسعة ، وقد بلغت من الازدهار أن نطقت بها عدة شعوب إلى جانب لغاتها المحلية .

ويعتمد المؤلف على تحليل التشابهات الجزئية بين حروف نقش متسخيتا - سامتافرو وحروف لنماذج من النقوش البارثية (مثل وثائق نيسا ، ولوح كومس ، ومخطوطة افرومن رقم ٣ ، ولوح ينبور ، ونقوش أخرى) محاولاً تحديد تاريخ النقش . ويرجح في ختام تحليله أن تاريخه يعود إلى القرن الأول للميلاد .

التقرير السنوي

عن أعمال الجمع في دورته الجمعية
(١٩٩٠/٩/١ - ١٩٩١/٨/٣١)

أولاً - مجلس الجمع

عقد مجلس الجمع في دورته الجمعية (١٩٩٠ - ١٩٩١) تسع عشرة جلسة كان مما تم فيها :

أ - عرض على المجلس الكتب الواردة إلى الجمع من مؤسسات علمية مختلفة ، تضمنت إعلام الجمع بضروب مناشطها الثقافية المتصلة بالتراث العربي والإسلامي ، والرغبة في مشاركة الجمع فيها ، وقد أقر ما يجب في شأنها . ومن تلك الكتب :

١ - كتاب من المملكة المغربية (١٩٩٠/١٠/١٥) حول سبل تعزيز التعاون بين الجمع ومكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم طبقاً للمادة التاسعة من الجدول التنفيذي للاتفاق الثقافي بين الجمهورية العربية السورية والمملكة المغربية .

٢ - كتاب من جامعة دار السلام (١٩٩٠/١١/٢٢) يتضمن تقريراً ثقافياً بشأن اللغة السواحلية وطرق إغنائها وتطويرها .

٣ - كتاب من لجنة التعريب في جامعة قطر (١٩٩٠/١٢/٣١) ، تبدي فيه رغبتها في الحصول على معلومات تفصيلية عن جهود التعريب .

٤ - كتاب من مؤسسة فورد التربوية (١٩٩١/٢/١٠) تعرب فيه عن رغبتها في مشاركة الجمع ببرامجها لبحوث الشرق الأوسط في العلوم الاجتماعية والقضايا الراهنة .

٥ - كتاب من مؤسسة كاتالا لدراسات البحر المتوسط في إسبانيا (١٩٩١/٣/٢٥) ترغب في التعرف على نشاطات الجمع .

٦ - كتاب من بيت الحكمة بتونس (١٩٩١/٤/١٤) بشأن إقامة حلقة بحث عن شكسبير في العالم العربي .

٧ - كتاب من الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية (١٩٩١/٤/٢٠) لترشيح من يراه من العلماء لنيل هذه الجائزة .

٨ - كتاب من أكاديمية المملكة المغربية (١٩٩١/٥/٩) حول دورها في حماية اللغة العربية ورغبتها في زيادة التعاون مع الجمع .

٩ - مذكرة من سفارة المملكة المغربية بدمشق (١٩٩١/٥/٢٠) تتضمن ما تعده المصالح التابعة لمكتب تنسيق التعريب بالرباط في مجال تعريب المصطلحات وتوحيدها على المستوى العربي ، والمشاريع المزمع إنجازها في المستقبل .

١٠- كتاب من مكتب تنسيق التعريب بالرباط (١٩٩١/٥/٢٦) يطلب فيه تزويده بما استجد من مصطلحات في مجال الطباعة .

١١- كتاب من وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية (١٩٩١/٥/٢٢) بشأن موافاتها بالنهج الذي يتبعه المجمع في وضع المصطلحات العلمية ؛ لاعتماد قواعد موحدة للترجمة والتأليف والنشر .

١٢- دعوة من اتحاد المجامع العالمية (١٩٩١/٦/٤) لتمثيل المجمع في اجتماعات الاتحاد الأكاديمي في بروكسل في (٩ - ١٥/٦/١٩٩١) .

ب - جدد المجلس انتخاب الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان عضواً في اللجنة الإدارية لمدة أربع سنوات أخرى بدءاً من ١٩٩١/٢/٤ .

ج - اطلع المجلس على التقارير المقدمة عن أعمال لجان المجمع : لجنة المجلة والمطبوعات - لجنة المخطوطات وإحياء التراث - لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة - لجنة الأصول .

د - استمع المجلس إلى شرح مفصل من اللجنة المشكلة للاطلاع على مشروع ترميم المدرسة العادلية الكبرى ودار الكتب الظاهرية المقدم من مديرية الآثار وإلى اقتراحات اللجنة بشأن توظيف غرف المدرسة العادلية وقاعاتها لتكون أكثر تأدية للمناشط الثقافية التي يضطلع بها المجمع ودار الكتب الظاهرية فوافق على المشروع .

ثانياً - أعمال لجان المجمع

١ - اللجنة الإدارية

عقدت اللجنة الإدارية في هذه الدورة الجمعية خمس عشرة جلسة بحثت فيها شؤون المجمع ودار الكتب الظاهرية ، وأصدرت عدداً من القرارات الإدارية والمالية . وقررت إهداء مجلة المجمع إلى عدد من المؤسسات العلمية العربية والأجنبية وإلى بعض الباحثين والدارسين . وقامت بشراء مجموعة من الكتب الجديدة لمكتبة المجمع . كما وافقت على تعيين بعض العاملين الوكلاء للعمل في المجمع ودار الكتب الظاهرية .

٢ - لجنة المجلة والمطبوعات

عقدت لجنة المجلة والمطبوعات في هذه الدورة ست عشرة جلسة تدارست فيها جملة كبيرة من المقالات الواردة إلى المجلة ، وقررت نشر ما رآته صالحاً منها . وأشرفت على طباعة عدد من كتب التراث المحققة التي وافقت لجنة التراث على نشرها .

٣ - لجنة المخطوطات وإحياء التراث

درست اللجنة في هذه الدورة عدداً من كتب التراث المحققة المقدمة إليها ، فأحالت ما أقرته منها على لجنة المجلة والمطبوعات لنشره ، وبقي عدد منها ما زال قيد النظر والدراسة .

٤ - لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة

عقدت لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة في هذه الدورة تسع جلسات ، تدارست فيها عدداً من الأمور المتعلقة بالمصطلحات وطرق توحيدها ، وضرورة تنسيق الجهود المبذولة بشأنها بين المجمع ومكتب تنسيق

التعريب التابع للجامعة العربية والمجامع اللغوية ، وغيرهما من المؤسسات العربية المعنية بأمور المصطلح . وتداولت اللجنة في المصطلحات الفيزيائية الواردة إليها من المجمع الأردني .

وقدمت اللجنة تقريراً يوضح النهج الذي يتبعه المجمع في اعتماد المصطلح فنوقش في مجلس المجمع وأقر . ثم صدر كتاب إلى السيد وزير التعليم العالي (رقم ٢٧٢/ص تاريخ ١٦/٧/١٩٩١م) هذا نصه :

السيد وزير التعليم العالي

إشارة إلى كتابكم رقم ٣٨٠٢/ت تاريخ ٢٢/٥/١٩٩١م بشأن بيان النهج المتبع في مجمع اللغة العربية لاعتماد المصطلح .

نبين ما يلي :

١ - لقد بذلت جهود كبيرة وواسعة لوضع المصطلحات العلمية والفنية والتقنية والقانونية وسواها من فروع المعرفة الإنسانية ، قامت بها المجامع والجامعات ولا سيما جامعات الجمهورية العربية السورية ، ومؤتمرات التعريب ، والمؤسسات العلمية ، والأفراد المختصون .

وهذه الثروة الكبيرة من المصطلحات ينتقى منها المصطلح العربي المقابل للفظ الأعجمي طبقاً للقواعد التالية بعد تحري المعنى الصحيح للمصطلح الأجنبي :

- (١) يفضل اللفظ العربي على المعرب ، إلا إذا اشتهر المعرب .
- (٢) تفضل الاصطلاحات العربية القديمة الواردة في المعجمات والمؤلفات العربية القديمة .

(٣) تفضل الكلمة الواحدة على كلمتين فأكثر إذا أمكن ذلك .

(٤) يقتصر على اسم واحد للمعنى الواحد في العلم الواحد .

٢ - إذا كان المصطلح الأجنبي جديداً ، ولم نجد ما يقابله في كتب المصطلح العربية المتوافرة فيلجأ :

(١) إما إلى ترجمته ووضع لفظة عربية سليمة تؤدي معناه ، وذلك بطريق الاشتقاق أو المجاز أو النحت أو التركيب المزجي .

(٢) وإما إلى تعريبه حين تعذر وضع لفظ عربي مقابل .

٣ - في موضوع السوابق واللاحق قدمت المجالس قواعد عدة تعين الباحثين والمتصدين لوضع المصطلح .

وقد أودع الأستاذ مصطفى الشهابي كثيراً من هذه القواعد في كتابه : المصطلحات العلمية في اللغة العربية (ص ٧٦ - ٧٩) .

كذلك فإن المعجم الطبي الموحد أورد جملة من السوابق واللاحق المستعملة في المصطلحات الطبية (ثلاث صفحات في مطلع الكتاب) .

وان مجمع اللغة العربية بدمشق ليسعه أن يبذل كل عون صادق في هذا المضمار ، فيشارك في اللجان المؤلفة لبحث أمور المصطلح ، ويؤدي الرأي في كل الاستشارات اللغوية التي ترسل إليه ، ويفتح صدر مجلته لنشر الباحث المفيدة التي تنتهي إليها اللجان في باب المصطلح . ويقدم كل ما في وسعه في سبيل خدمة هذه اللغة العربية الشريفة .

ثالثاً - مشاركات الجمع خارج القطر

شارك الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب الرئيس في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته السابعة والخمسين (١١ - ٢٥/٢/١٩٩١م) .

وقد ألقى بحثاً في المؤتمر عنوانه (قراءة في فهرست ابن النديم) .
كما شارك الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام في المؤتمر نفسه ، وألقى بحثاً عنوانه (ألفاظ ومعان ليست في الفصحى ولكنها من الفصح) .

رابعاً - استقبال أعضاء عاملين

استقبل الجمع في هذه الدورة عضوين جديدين من الأعضاء العاملين وهما :

١ - الأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة . واحتفل باستقباله

مساء الأربعاء في ١٤/٣/١٤١١ هـ الموافق ١٩٩٠/١٠/٣ .

٢ - الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم . واحتفل باستقباله مساء

الأربعاء في ٢٨/٣/١٤١١ هـ الموافق ١٩٩٠/١٠/١٧ م .

وأقيم حفلا الاستقبال في المدرسة العادية الكبرى .

خامساً - انتخاب أعضاء جدد في الجمع

- انتخب مجلس الجمع في ٧/٥/١٤١١ هـ الموافق ١٩٩٠/١١/٢٤ م

- العماد مصطفى طلاس

- الأستاذ الدكتور عادل العوا

- الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

– الأستاذ جورج صدقني

– الأستاذ سليمان العيسى

أعضاء عاملين في المجمع .

٢ – انتخب مجلس المجمع في ١٣/٨/١٤١١ هـ الموافق ٢٧/٢/١٩٩١

السادة الآتية أسماؤهم أعضاء مراسلين :

من جمهورية مصر العربية :

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف

الأستاذ الدكتور كمال بشر

من الجزائر :

الأستاذ الدكتور مولود قاسم

الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله

من إسبانيا :

الأستاذ خيسوس ريو ساليدو

من ألمانيا :

الأستاذ رودرف زهايم

وانتخب مجلس المجمع في ٢٧/٨/١٤١١ هـ الموافق ١٣/٣/١٩٩١

السادة الآتية أسماؤهم أعضاء مراسلين أيضاً :

من المملكة العربية السعودية :

الأستاذ عبد العزيز الرفاعي

الأستاذ عبد الله بن خميس

الأستاذ حسن عبد الله القرشي

من الجمهورية العربية السورية :

الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد

الأستاذ الدكتور شاكر مصطفى

الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الدائم

الأستاذ عبد المعين الملوحي

الأستاذ الدكتور عبد السلام العجيلي

الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشر

الأستاذ الدكتور عمر دقاق

الأستاذ الدكتور خالد الماغوط

سادساً - مطبوعات المجمع

أ - الكتب التي نجز طبعها

١ - المجلد الحادي والأربعون من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر

(عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن - عبد الرحمن بن

المسور بن مخرمة) تحقيق الأستاذة سكيمة الشهابي .

٢ - السيرة النبوية (القسم الثاني) - من تاريخ مدينة دمشق لابن

عساكر . تحقيق الأستاذة نشاط غزاوي .

٣ - عبد الله كنون . تأليف الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام .

٤ - كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية - لأبي منصور

القمرى . تحقيق الأستاذة وفاء تقي الدين .

ب - الكتب التي يجري طبعها

١ - كشف المشكلات وإيضاح العضلات - لجامع العلوم

الأصبهاني . تحقيق الدكتور محمد الدالي .

- ٢ - المجلد الثاني والأربعون من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر
(عبد الرحمن بن مصاد - عبد العزيز بن عمر)
تحقيق الأستاذة سكيئة الشهابي
- ٣ - المجلد الثالث والأربعون من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر
(عبد العزيز بن عمير - عبد الواحد بن زيد)
تحقيق الأستاذة سكيئة الشهابي

سابعاً : مشاركة المجمع في معارض الكتب

شارك المجمع بالتعاون مع دار الفكر في المعارض التالية :

- ١ - معرض فرانكفورت للكتاب - الثالث والأربعين ٩ -
١٩٩٠/١٠/١٤ .
- ٢ - معرض المغرب الأول للكتاب العربي ٢٦/١٠ -
١٩٩٠/١١/٥ .
- ٣ - معرض القاهرة الدولي - الثاني والعشرين ٨ -
١٩٩١/١/١٥ .
- ٤ - معرض تونس الدولي - العاشر ٣ - ١٢/٥/١٩٩١ .
- ٥ - معرض طهران الدولي الثالث ٧ - ١٧/٥/١٩٩١ .
- ٦ - معرض باريس الأوربي العربي الأول للكتاب ٤ -
١٩٩١/٦/٩ .

ثامناً - مكتبة المجمع الخاصة

اقتنت مكتبة المجمع في هذه الدورة الجمعية (١٩٣) كتاب
و(٣٩٤) عدد من المجلات والدوريات .

تاسعاً - ميزانية المجمع

بلغت الاعتمادات التي رصدت للمجمع في ميزانية الدولة العامة لعام ١٩٩١ مبلغ (٣,٢٧٦,٠٠٠) ليرة سورية ، ورصد له من الميزانية الاستثمارية للعام نفسه مبلغ (١,٠٠٠,٠٠٠) ليرة سورية .

صرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية العامة حتى تاريخ ١٩٩١/٨/٣١ مبلغ (١,٨٦٠,٠٠٠) ليرة سورية . وصرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية الاستثمارية حتى التاريخ المذكور مبلغ (٥٠,٠٠٠) ليرة سورية .

عاشراً - دار الكتب الظاهرية

- ١ - بلغ عدد الكتب الواردة إلى الدار خلال الدورة الجمعية المذكورة (١٧٢) كتاب باللغة العربية و(٢٠٠) كتاب باللغة الأجنبية . وأصبح مجموع ما في الدار من الكتب (٧١٧٦٦) عنوان .
- ٢ - وورد إليها (١٢٩) عدد من المجلات والدوريات باللغة العربية ، إضافة إلى (١٤١) عدد باللغة الأجنبية .
- ٣ - بلغ عدد المطالعين في هذه الدورة (٣٠,٠٠٠) مطالع .
- ٤ - وبلغ عدد الكتب المعارة (٣٧,٠٠٠) كتاب ، وعدد الدوريات المعارة (٩٨٠) .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأول من عام ١٩٩٢

أ - الكتب العربية

وفاء تقي الدين

أسرار البلاغة - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي ،
تحقيق محمود محمد شاكر - جدة ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م .

أسس إدارة الأعمال التجارية الصغيرة - كليفورد م. بومباك ، جامعة
ايوا ، تحرير وتدقيق الدكتور رائد السمرة - مركز الكتب الأردني
١٩٨٩ .

اسكالتني أفضل المعلمين في أمريكا - جاي ماثيوز ، تدقيق وتحرير
الدكتور فاروق منصور - مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله الثوري مما فسر من آيات الحماسة أولاً
وثانياً - أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المعروف بأبي محمد
الأعرابي ، تحقيق وتقديم الدكتور جورج قناز ١٩٨٨ .

أفكار عظيمة في الإدارة دروس من مؤسسي ومؤسسات العمل الإداري

- تأليف و. جاك دنكان ، ترجمة محمد الحديدي - الدار
الدونية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

الإمام الحميني ، الاستيطان والصهيونية - سمير أرشدي ، والدكتور رياض
سليمان عواد - دار عواد ١٩٩١ .

الإمام الحميني ، سياسة اللاشريعة واللاغربية - سمير أرشدي ، والدكتور
رياض سليمان عواد - دار عواد ١٩٩٢ .

أوضح اليان في تفسير القرآن ، جزء عَمَّ - تأليف محمد حسين الحسيني
الجلالي - مؤسسة المعارف للطبوعات ، بيروت ١٩٩١ م ،
١٤١١ هـ .

البحث عن أنشودة الفتى الحزين - فاسيلي اكسيونوف ، ترجمة د. قيس
الوهابي ، مراجعة أحمد محمد منيب .

بحوث ودراسات في اللغة وتحقيق النصوص - تأليف الدكتور حاتم صالح
الضامن - جامعة بغداد ، كلية الآداب ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م .

بلوغ سن الرشيد في الحجرة - تأليف يَمُثي فَرَس ، ترجمة هنري مطر ، تدقيق
وتحرير الدكتور رائد السمرة - مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

تاريخ الحياة الثقافية في أميركا - لويس ييري ، ترجمة أحمد العناني - مركز
الكتب الأردني ١٩٩٠ .

التراث الحضاري العربي الإسلامي خارج الوطن العربي - عدد من
الباحثين للمؤتمر الاستثنائي لوزراء الثقافة العرب الذي كان مقرراً

عقده ببغداد سنة ١٩٩٠ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس
١٩٩١ .

تربية دجاج اللحم - تأليف الدكتور علي أكبر التيمي ، تبسيط جاسم
الحسون - سلسلة الكتب الثقافية للراشدين ، المنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩١ .

التعليم العالي عن بعد ، وجهات نظر للتعاون الدولي ولتطورات حديثة في
التكنولوجيا إصدارات مؤتمر اليونسكو للاستشارة الدولية بشأن
التعليم عن بعد على المستوى العالي المنعقد بأستراليا ١٩٨٧ ، ترجمة
الدكتور كمال يوسف اسكندر - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،
تونس ١٩٩٠ .

تقارير علمية لمجموعة من الاختصاصيين - تحرير يحيى أحمد كوسا - دار
البشير ١٩٩١ .

التسيق الإقليمي للمواقع في الولايات المتحدة وكندا - تأليف ستيفن
إس . بيردسال ، جون دبليو . فلورن ، ترجمة فيصل زواتي ،
تحرير وتدقيق الدكتور رائد السمرة - مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

تنظيم الأسرة - إعداد إبراهيم جعفر سليمان - الكتب الثقافية للراشدين ،
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩١ .

حمية القيادة ، الطبيعة المتغيرة للقوة الأمريكية - تأليف جوزيف
س. ناي ، ج.ر. ، ترجمة عبد القادر عثمان ، تدقيق وتحرير
الدكتور فاروق منصور - مركز الكتب الأردني ١٩٩١ .

دليل الصحفي في العالم الثالث - تحرير ألبرت ل. هستر ،
واي لان ج. تو ، ترجمة كمال عبد الرؤوف - الدار الدولية للنشر
والتوزيع ١٩٨٨ .

دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في
العصر الوسيط - الدكتور يوسف العش ، ترجمه عن الفرنسية
نزار أباطة ومحمد صباغ - دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٤١١ هـ
١٩٩١ م .

رحلة أمريكية - تأليف ريتشارد ريفز ، ترجمة صلاح الدين الشريف -
الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

روح الرأسمالية الديمقراطية - تأليف ميخائيل نوفاك ، ترجمة غالي عودة -
دار البشير ، عمان ١٩٨٩ .

السياسات التنموية ، مقدمة حول القضايا والمسائل العالمية - جون
ل. سايتز ، ترجمة سمير حمارة - دار عمار ، عمان ١٤١١ هـ
١٩٩٠ م .

شجرة الجامعة في مصر ، رؤية تاريخية تحليلية - سليمان حزين - مطبعة
جامعة القاهرة ١٩٨٥ ، في مناسبة العيد الخامس والسبعين
لجامعة القاهرة ١٩٠٨ - ١٩٨٣ .

شذرات مضيئة عن علم الحياة الحيوانية في التراث العلمي العربي
الإسلامي - الدكتور محمد مروان السبع - معهد التراث
العلمي العربي ، جامعة حلب ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م .

الصحفي المحترف - جون هوهنبرج ، ترجمة محمد كمال عبد الرؤوف -
الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩٠ .

ظاءات القرآن ويليده كتاب الفرق بين الظاء والضاد - نظم أحمد بن
عمار المقرئ ، وشرح إسماعيل بن أحمد التجيبي ، وتأليف
سعد بن علي الزنجاني ، تحقيق وتقديم محمد سعيد المولوي - دار الفكر
المعاصر ١٤١١ هـ ١٩٩١ م .

عشاء في مطعم المشتاقين للأهل - آن تايلر ، ترجمة وتقديم د. أمين
العيوطي - من روائع الأدب الأمريكي المعاصر ، مركز الأهرام
للترجمة والنشر ١٤١١ هـ ١٩٩١ .

عشرة شعراء مقلون - الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن - جامعة
بغداد ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م .

فهرس الأطروحات والرسائل ١٩٥٣ - ١٩٨٤ - الجمعية المغربية
للتأليف والنشر - الرباط ١٩٨٧ م .

في بيتا مدمن ، كيف نمنع الكارثة ؟ - إبراهيم نافع - مركز الأهرام
للترجمة والنشر ، القاهرة ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

قصائد من قلم الشاعر الأمريكي ولاس ستيفنز - ترجمها د. أحمد
يعقوب المجدوبة - مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

قضايا دستورية - فريد و. فرندي ، مارتاج هـ. اليوت ، ترجمة وتعليق
المستشار ياقوت العشماوي - دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٨ .

القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربية - شحادة الخوري -
دمشق ١٩٩١ .

كيف تحكم أمريكا - ماكس سكيد مور ، مارشال كارتر وانك ، ترجمة
نظمي لوقا ، مراجعة محمد علي ناصف - الدار الدولية للنشر
والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٩٨٨ .

مدخل إلى النظام التشريعي في الولايات المتحدة - تدقيق وتحرير الدكتور
رائد السمرة - مركز الكتب الأردني .

المراسل الصحفي ومصادر الأخبار - تأليف هيربرت سترنز ، ترجمة سميرة
أبو سيف - الدار الدولية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٩٨٩ .

المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير - تأليف أبي محمد عبد الله بن
مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة -
دار ابن كثير ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

مسؤوليات الصحافة - تأليف روبرت شمول ، ترجمة ألفرد عصفور ،
تدقيق وتحرير الدكتور رائد السمرة - مركز الكتب الأردني
١٩٩٠ .

المطهري العقري الرسالي دراسة لأفكاره من خلال المؤتمر الدولي الذي
عقد في دمشق - المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية
الإيرانية بدمشق ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

مقدمة في الاتصال الجماهيري - جون ر. بيتز - مركز الكتب الأردني
١٩٩٠ .

المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلك (انجليزي - فرنسي -
عربي) - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس
١٩٩٠ .

من قضايا اللغة العربية المعاصرة - عدد من الباحثين - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٠ .

نحو التآلف والاتفاق ، بناء علاقات إيجابية - تأليف روجر فيشر وسكوت براون ، ترجمة د. محمد محمود رضوان - الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

ندوة تناوب دورات الهطول المطري في منطقة دمشق - جمعية أصدقاء دمشق ، عقدت في المركز الثقافي العربي ، دمشق ٢٠ أيار ١٩٩١ .

نصوص محققة في علوم القرآن الكريم - تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن - جامعة بغداد ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية - بروسترك. ديني ، ترجمة د. ودودة عبد الرحمن بدران ، مراجعة شويكار محمد زكي - الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

نظم الإعلام المقارنة - ل. جون مارتن ، أنجو جروفر شودري ، ترجمة علي درويش ، مراجعة د. محمد محمود رضوان - الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

نوبة حراسة وقصص أخرى - ترجمة وتقديم د. نهاد صليحة - من روائع الأدب الأمريكي المعاصر ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

الهجرات العربية من الجزيرة إلى الهلال الخصيب - الدكتور حسن حدة - العربي للنشر والطباعة والتوزيع دمشق .

وراء الصفحة الأولى ، نظرة صريحة على صناعة الحيز - تأليف ديفيد
إس. برودر ، ترجمة عبد القادر عثمان ، تحرير وتدقيق الدكتور
رائد السمرة - مركز الكتب الأردني ، ١٩٩٠ ،

وقائع نزع السلاح ، الأسلحة التقليدية ، الجهود الرامية إلى الحد منها
وتخفيضها - الأمم المتحدة ، ١٩٩١ .

وقائع نزع السلاح ، التسليح ونزع السلاح ، أسئلة وأجوبة - الأمم
المتحدة ١٩٩٠ .

ب - المجلات العربية المهداة

حسين منعم

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
الأسبوع الأدبي	من ٢٩١ إلى ٣٠٦	١٩٩٢	سورية
البطريكية	١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢	١٩٩٢	سورية
بناء الأجيال	١١	١٩٩٢	سورية
التراث العربي	٤٤ ، ٤٥	١٩٩٢ ، ٩١	سورية
التعريب	٢	١٩٩١	سورية
الثقافة	كانون ثاني ، شباط ، آذار	١٩٩٢	سورية
الثقافة الأسبوعية	من ٤٩ - ٥٠	١٩٩١	سورية
الثقافة الأسبوعية	من ١ - ٩	١٩٩٢	سورية
جامعة البعث	٨	١٩٩٠	سورية
جامعة دمشق	٢٧	١٩٩٢	سورية
الحياة المسرحية	٣٧	١٩٩١	سورية
صوت فلسطين	٢٨٧ - ٢٨٩	٩١ - ١٩٩٢	سورية
الضاد	٩ - ١٢	٩١ - ١٩٩٢	سورية
طب الفم	٣	١٩٩١	سورية
عالم الذرة	١٥ ، ١٦	١٩٩١	سورية
المعرفة	٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢	١٩٩٢	سورية
الموقف الأدبي	٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧	١٩٩٢	سورية
النشرة الاقتصادية	٣	١٩٩١	سورية
نهج الإسلام	٤٦	١٩٩٢	سورية

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
آفاق علمية	٣٤	١٩٩١	الأردن
دراسات	٤	١٩٩٠	الأردن
المجلة العربية للتربية	١	١٩٩١	الأردن
تعليم الجماهير	٣٨	١٩٩١	تونس
الحياة الثقافية	٩٢	١٩٩١	تونس
المجلة العربية للثقافة	١٨ ، ١٩	١٩٩٠	تونس
المجلة العربية للعلوم	١٦	١٩٩٠	تونس
المجلة العربية للمعلومات	١٢/١	١٩٩١	تونس
الدارة	٣	١٩٩١	السعودية
مجلة جامعة الملك سعود	٢ ، ١	١٩٨٩	السعودية
مجلة جامعة الملك سعود	٢ ، ١	١٩٩٠	السعودية
حولية كلية الإنسانيات	١٣	١٩٩٠	قطر
أخبار التراث الإسلامي	٢٤	١٩٩٠	الكويت
دراسات فلسطينية	٨	١٩٩١	لبنان
الشراع	من ٥٠٤ - ٥١٨	١٩٩٢	لبنان
الفكر العربي	٦٦	١٩٩١	لبنان
الموسم	٩ ، ١٠	١٩٩١	لبنان
الدعوة الإسلامية	٨	١٩٩١	ليبيا
حولية كلية دار العلوم	١٣ ، ١٤	١٩٩١	مصر
الإرشاد	٢ ، ١	١٩٩١	المغرب
دعوة الحق	٢٨٥ ، ٢٨٦	١٩٩٠	المغرب
اللسان العربي	٣٤	١٩٩٠	المغرب
مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية	١٦	١٩٩١	المغرب
الوحدة	٨٦ ، ٨٧	١٩٩١	المغرب
العلم والتكنولوجيا	١٠ ، ١١	١٩٩١	بريطانيا
ثقافة الهند	١	١٩٩١	الهند

ج - الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء المحاسني

1 - Books:

- The World Almanac and book of Facts, 1992. - New York, 1992.
- Yearbook of socio Economic Indicators of the OIC Member countries, 1989.
- Statistical sources and Methods, vol. 6: Household Income and expenditure surveys/by International Labour Office, Geneve, 1992.
- Disarmament, Topical papers,/by u.n., vols.,5,6,7, New York 1991.
- Statistical yearbook, 1991/by Unesco. - Paris, 1991.
- The United Nations Disarmament Yearbook 1990, Vol.15, U.S.A, 1991.
- Promises, Heritage and Peace/by Sami K. Hamarneh. - U.S.A, 1986.
- Ibn Al - Quff's writing on Hygienic Regulations and the preservation of Health/by Sami k. Hamarneh. - U.S.A,
- Proceedings of the Symposium on Bilad al-Sham during the Byzantine Period, Nov. 15 - 19, 1983/ed. by Muhammad Adnan Bakhit and Muhammad Asfour. - Amman, 1986.
- Ibn Al - Quff's contributions to Arab - Islamic Medical Sciences/by Sami K. Hamarneh. - Off-Print of (Hamdard quarterly Journal of Science and Medicine Vol. XXXIV, No. I, 1991.
- Nutritions and Dietetics in Ibn Al - Quff Al - Karaki's writing/by Sami k. Hamarneh. - Vol. XXXIII, No.4, 1990 (Off-Print of Hamdard Quarterly Journal of Science and Medicine.

2 - PERIODICALS:

- Names, Journal of the American Name Society, vol.39, Nos. 1,2,1991, Published by univ. of south Dakota, American Name society newyork.
- ABN Correspondence, vol. XLII, Nov - Dec. 1991.
- Law and State, A Biannual collection of recent German contributions

to these fields, ed. by: Institute for Scientific co – operation, Tubingen, vol.44, 1991.

– Muslim Education quarterly, U.K., winter issue, vol. 8, No. 2, 1991.

– The Middle East Journal, publ. by Middle East Institute, Washington, Vol. 45, Autumn, 1991.

– Awraq, Estudios sobre el mundo árabe e Islámico contemporáneo, publ. by: Instituto de cooperacion con el Mundo Arabe, Madrid, vol. XI (1990).

– East Asian Review, publ. by: The Institute for East Asian Studies, Seoul, Korea, vol. III, No. 4, Winter 1991.

– Le Muséon, Revue D'Etudes Orientales, Louvain – la – Neuve (Belgique). Tome 104 – Fasc.3 – 4, 1991.

– Disarmament, publ. by: U.N, vol.XIV, No. 4, 1991.

– The Muslim World, publ. by: The Duncan Black Macdonald center at Hartford seminary, U.S.A, vol. LXXXI, NO; 2, April, 1991.

فهرس الجزء الثاني من المجلد السابع والستين

الصفحة

المقالات

١٩٥	الدكتور إحسان النص	كتب الأنساب العربية (٤)
٢٢٥	الدكتور صالح الأشر	ألوان من التصحيف والتحرير
٣٠٦	الأستاذ عبداللطيف أرناؤوط	معروف الأرناؤوط

التعريف والنقد

		الأندلس في اقتباس الأنوار تحقيق ايميلو مولينا لوبس وخائنتو بوسك ييلا
٣١٨	الدكتور شاكرا الفحام	
٣٣٦	الأستاذ مأمون الصاغر جي	جامع الأصول
٣٤٢	الأستاذ مأمون الصاغر جي	مطبوعات مجمع اللغة العربية عام ١٩٩١

آراء وأنباء

٣٤٦		انتخاب أعضاء مراسلين
٣٤٨		انتخاب لجان المجمع الدائمة
٣٥١	الدكتور إحسان النص	الأستاذ أحمد راتب النفاخ في ذمة الله
٣٥٥		توصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٣٥٨	الأستاذ غسان منيف عيني	نقش جديد بالخط الآرامي
٣٦٠		التقرير السنوي
٣٧١		الكتب والمجلات المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية في الربع الأول من عام ١٩٩٢ م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج ٢٤
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج ٣٩
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج ٢
- المسائل المثورة في النحو لأبي علي الفارسي
- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق ٢
- المبسوط في القراءات المشر لأبي بكر الأصبهاني
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج ٢
- المستدرک علی فهرس (الشعر)
- تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللش
- الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً
- الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا
- تح مطاع الطرايضي
- تح سكتة الشهابي
- تح غازي طلبات
- تح مصطفى الحنري
- وضع ياسين السراس
- تح سبيع الحاكسي
- تح إبراهيم عبد الله
- إعداد رياض مراد
- تح إبراهيم صالح
- للدكتور عدنان الخطيب
- للدكتور أحمد عروة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

- الهب والمحبوب للسري الرفاء ج ١ - ٤
- شعر حداد بن زهير العامري
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج ٣٨ ، ٤٠
- إعراب الحديث النبوي للمكوي (ط ٢)
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٦
- الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج ٤
- علم التسمية واستخراج المعنى عند العرب
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٥
- تح غلاونجي والنحوي
- صنعه د. يحيى الجبري
- تح سكتة الشهابي
- تح عبد الإله نهان
- وضع غزوة بلير
- وضع الحيمي والحافظ
- تح أحمد مختار الشريف
- دراسة وتحقيق د. مرابطي وطيان ومير علم
- وضع محمد خير محمد



Bibliotheca Alexandrina



0652652